المقتطف

الجزء الخامس من المجلد الرابع والثلاثين

١ مايو (ايار) سنة ١٩٠٩ — الموافق ١١ ربيع ثاني سنة ١٣٢٧

السلطان محمد الخامس

مرَّ بنا شهر لم تزَ الممالك العثمانية مثلهُ منذ امد بعيد فقد تراوحت فيهِ بين ان تحرَم الدستور وبثور ابنائها حتى يفني بعضهم بعضاً غدراً وحرباً وتمسي البلاد طعمةً لطامعين فيها وبين ان يتأيد الدستور وتنزع اسباب العداء والخصام وتنفى عوامل التفريق والتمزيق. واخيراً تغلَّب حزب الدستور اي جمعية الاتحاد والترقي وانصارها على الاحزاب المعادية لهم بعد ان صُبغت شوارع الاستانة بالدماء وتراكمت اشلاء القتلى بل شهداء التعصُّب الديني والجهل المطبق في ولايات الاناضول. وانقضت تلك الرزايا قبل كتابة هذه السطور بخلع السلطان عبد الحميد وتنصيب اخيهِ رشاد

ولقد كنا قبل اعلان الدستور نراقب احوال السلطنة العثمانية ونحن بين عاملَي الخوف والامل — الخوف من التعصُّب الديني والجنسي المستولي على عامَّة الاهلين وقد رضع فيهم بالوراثة خلقاً عن سلَفٍ واستُنبطت كل الوسائل التي تزيدهُ حتى يبقى بعض الخاصَّة مستأثرين بالسلطة يجزُّون صوف الرعية ويأكلون لحمها ويشربون دمها ولا رادع لهم — والامل ان اشتراك الناس في تحمُّل الظلم والقهر يؤلف بين القلوب المتنافرة ويجمع شتات القوى المتفرقة فتقاوم المرهقين

وكان الأمل رائدنا ولاسيما بعد ان رأينا نهوض اليابان وصيرورتها دولة عظيمة كاعظم الدول الاوربية في سنوات قلائل ولا شعبها ارقى في جنسهِ من الشعوب العثمانية ولا بلادها افضل في خصبها وموقعها من البلاد العثمانية . فجعل كتَّاب ابناء اليابانيين اغراء للعثمانيين بالجري على خطتهم والنسج على منوالهم وبقينا نتراوح بين الخوف والامل الى ان أُعلن

الدستور ورأينا الشيخ يعانق القسيس في الكنيسة والقسيس يعانق الشيخ في الجامع ويقولان ديننا الوطنية . والعربي والتركي واليوناني والارمني يتصافحون ويتعانقون ويقولون لقد تركنا جامعاتنا الجنسية واتخذنا لنا جامعةً واحدة وهي العثمانية . لما رأينا ذلك قلنا لقد غلب الامل وتحقق الرجاء . ثم انتخب النواب لمجلس المبعوثان وساد السلام والوئام وحلف السلطان يمين الولاء للدستور وجعلت الحكومة تحلُّ المشاكل الكبار واحدةً واحدة والدول الاوربية تنظر اليها بعين الاجلال والتعظيم

لكن ابت سنّة الكون ان تخالف نظامها وتقبل بهذا الانقلاب من غير سفك دم فان الذين كانوا يتنفعون من الحكم القديم وزال انتفاعهم في الحكم الجديد والذين توقعوا ان يتيلهم الحكم الجديد مغنماً فلم ينالوهُ دسوا الدسائس واستعانوا بجهل الجهلاء وتنطع المتحمسين بالدين لكي يقلبوا الحكومة الجديدة رأساً على عقب ويلغوا الدستور او يجمدوهُ الّا في يدهم ووسيلة لنيل اغراضهم . ولقد نقلنا في الجزء الماضي من المقتطف كلاماً للدكتور نظيم بك من كبار اعضاء جمعية الاتحاد والترقي قال في خاتمتهِ انهُ يجب على الجمعيَّة ان تستمرَّ على السهر والمراقبة مدة طويلة . فتم ما قالهُ ونجَّت السلطنة من العود الى الاستبداد القديم لكنها فعلت ذلك بشفار السيوف وقنابل المدافع فقد زحفت بالجنود العثمانية على الاستانة واحاطت بها واحتلتها وادَّبت العصاة وقبضت على السلطان لما ثبت لها انهُ مشترك في هذه الفتنة وافتى شيخ الاسلام بخلعهِ امام مجلس الامة المؤلف من المبعوثان والاعيان لانهُ عبث بكتب الدين وبدَّد اموال السلطنة وسفك دماء الابرياء فأُعلنت من الخلافة الاسلاميَّة والسلطنة العثمانية . وصعد الى مقام الخلافة وجلس على عرش السلطنة اخوهُ ولي العهد المشروع محمَّد افندي رشاد ففضى الى نظارة الحربية بصحبة مختار باشا الغازي واستقبل الوزراء والكبراء ونواب الامة واقسم يمين الامانة للدستور وهي محمَّد الخامس وكان ذلك في ٢٧ ابريل

والذين يعرفون سلطاننا الجديد محمد الخامس يقولون انهُ رجل حسن النية خالص الطوية محبًّا لخير الدولة وخير الرعية وقد ذاق مرارة الاضطهاد من اخيهِ فشارك الامة في ما نالها منهُ وعلم ما ترومهُ وتبتغيهِ وايقن ان حكم الاستبداد لا يطاق ولا يؤمن وان الحكم الدستوري خير للجميع ولذلك تناط الآمال بان يكون جلالتهُ حصناً حصيناً للدستور وعضداً متيناً لاركانهِ الثلاثة الحرية والاخاء والمساواة وان يحيي عهد الاصلاح الذي ابتدأ في زمن والدهِ السلطان عبد المجيد ويسعى في رفع شأن الدولة وترقية مصالح الامة فانهُ اذا فعل ذلك وجد من رعيتهِ امةً واحدة تفديهِ بارواحها وتصون ملكهُ بسفح ابنائها واموال رجالها

ولم يجد اهل الشر والفساد سبيلاً الى تكدير صفاء الامن وتمزيق احشاء السلطنة

ولقد قابلهُ مكاتب جريدة الديلي كرونكل الانكليزية بعد ارتقائهِ الى عرش السلطنة فقال لهُ من حديث طويل

ان جرائد العالم ولاسيما الجرائد الانكليزيَّة مطالبة بقضاء واجب عظيم فاني اعتقد ان الرجل الذي يدير السيف بيدهِ قوي ولكني اعتقد ان الرجل الذي يحرك القلم بانامله اقوى جميع الناس . كن رسولي وابلغ اوربا والعالم كلهُ عني ما اقولهُ لك ليعلم الجميع اني كنت دائماً راغباً في الحرية والتقدم ومؤيداً لهما ولا ازال كذلك وقد شاء الله سبحانهُ وتعالى ان ارتقي الى سرير آل عثمان وانا شاعر كل الشعور بالمسأولية الملقاة على عاتقي والواجبات المطلوبة مني والعبء الثقيل الذي اتحملهُ واوَمل بمعونة الله ان اسير في الصراط المستقيم واؤيد كل من كان شريفاً مستقيماً سواء كان من المسلمين او غير المسلمين بلا فرق ولا تمييز . نعم ان صوتي لم يسمع مدة ثلاث وثلاثين سنة ولكن صوت ضميري لم ينم

وهو كهل في الخامسة والستين من عمرهِ متوسط القامة ممتلئ الجسم لين العريكة لهُ المام بالعربيَّة والفرنسوية ومعرفة تامة بالفارسيَّة واطلاع تام على السياسة الاوربيَّة فاذا سار في الممالك العثمانية سيرة ميكادو اليابان في بلادهِ ومنع كل شغب فيها بعلة الدين فلا شيء يمنع بلوغ الامة العثمانية اعلى المقامات بين الامم الاوربيَّة . لان الاجناس التي تألفت منها من ارقى اجناس البشر وقد كان لها تاريخ مجيد لا تفوقها فيهِ امة من امم الارض وبلادها اغنى بلدان المسكونة في خيراتها الطبيعيَّة واطيبها بقعةً واصلحها للتجارة ولا تحتاج الاَّ الى حكومة تحفظ لها حقوقها ولا تقف في طريق ارتقائها

افتتاح ميناء بورت سودان

يظهر باتل نظر انهُ لا يرجى فلاح بلاد السودان ما لم تُصدِّر شيئاً من حاصلاتها توفي بهِ ثمن ما تجلبهُ من البضائع والمواد التي لا توجد فيها . والتصدير منها بطريق القطر المصري كثير النفقة لطول الشقة فرأى اولياء الامر ان ينشئوا لها مرفأً تجاريًّا على البحر الاحمر فاختاروا لذلك مكاناً قريباً من مدينة سواكن فيهِ مرسىً امين للسفن فانشأوا هناك مدينةً ومرفأً يقال انهُ لا يفوقهُ مرفأً في المسكونة في بنائهِ واتقان وسائل الشحن والتفريغ التي فيهِ لاسيما وانها كلها تتحرك بالكهربائية . وقد افتتح هذا المرفأ رسميًّا في اول ابريل فتحهُ الجناب

الخديوي باحتفال عظيم حضره جماعة من اعضاء مجلس شورى القوانين وارباب الصحف وتندوبيها من القطر المصري وسعادة السردار ورجال حكومة السودان من الخرطوم . وهاك ما بعث به الينا مندوب المقطم نجيب بك صروف من بورت سودان في ١ ابريل

وصلت بنا الباخرة برنس عباس الى بورت سودان امس الساعة الثامنة مساء بعد سفر ٥٤ ساعة كان فيها البحر الاحمر ساكناً . والهواء هنا حار ولكنهُ مقبول وكلنا بتمام العافية . وقد زينت بورت سودان زينة باهرة وقد شاهدنا الرصيف فوجدنا طولهُ ٦٣٠ متراً وهو مبني بناء متقناً على احدث طريقة والاثقال ترفع كلها بالقوة الكهربائية ونحن نستعد الآن للابتداء بالاحتفال

ومنها الساعة ٢/١ ٧ صباحاً

لما قامت بنا الباخرة من السويس ارسل سعادة السردار الحاكم العام تلغرافاً الى حضرة ستاك بك وكيل حكومة السودان الذي رافقنا في سفرنا يخبره بمجيء المدعوين ويتمنى لهم سفراً سعيداً . فتلي هذا التلغراف علينا وقت العشاء فاجاب حضرة عزتلو حسن بك بكري عليهِ شاكراً لسعادة السردار بالنيابة عن جميع المدعوين وكلف ستاك بك ان يبلغ سعادتهُ ذلك حال وصولنا . وفي هذا الصباح بكّر سعادة السردار مستصحباً معهُ سعادة سلاتين باشا وياورانهُ واتى للتسليم على المدعوين ولاطفهم كثيراً . وهذه الكلمات تكتب الآن الساعة السابعة تماماً . والمدافع تطلق ايذاناً بدخول يخت المروسة الى الميناء

ومنها الساعة ٩ صباحاً

قبلما يدخل اليخت الميناء استقبلهُ حضرة مراقب الموانى والفنارات ثم دخل بين صفين من الرايات والاعلام حتى رسا قرب الرصيف وحينئذٍ صعد سعادة السردار اليهِ مصحوباً بياورانهِ لتقديم واجب السلام والترحيب لسمو الخديوي المعظم . ثم نزل سموهُ من اليخت وكان يحيي المستقبلين بيدهِ وبعينهِ سعادة اسمعيل باشا سري ناظر الاشغال واحمد باشا حشمت ناظر المالية وما زال كذلك حتى وقف بين العلمين المصري عن اليمين والانكليزي عن اليسار . وكان قره قول شرف واقفاً هناك من العساكر المصرية والعساكر الانكليزية ومعهم الموسيقى السودانية فصدحت الموسيقى بالسلام الخديوي واطلقت الطوبجية ٢١ مدفعاً تسليماً وتعظيماً وقدم سعادة الحاكم العام اكابر موظفي حكومتهِ واركان حربهِ الى سموهِ . ثم تعهد سموهُ قره قول الشرف . وبعد ذلك صعد مع سعادة الحاكم العام وناظري الحربية والمالية ورجال المصية والحكومة السودانية واعضاء مجلس الشورى ورجال الصحافة الى الايوان

المعد لسموه . فالقى فيه سعادة الحاكم العام الخطبة الآتية باللغة الانكليزية . وترأ حضرة عزتلو شاهين بك جرجس سكرتيره العربي ترجمتها العربية وهي :

مولاي صاحب السمو المعظم

اني افتخر بالشرف الذي نالهُ اليوم اذ ارحّب بسموكم بالاصالة عن نفسي وبالنيابة عن ضباط السودان ومرظفيه وعائلاتهِ ومشايخهِ واعيانهِ واهاليهِ واعرب عن امتناننا المقرون بالاحترام على الشرف السامي الذي منحتموهُ سموكم للبلاد اذ تفضلتم ورضيتم ان تفتتحوا هذا الثغر والميناء

ان تشييد بورت سودان لعمل يحق للعالم ان يفتخر بهِ وهو بمثابة خطوة جديدة في سبيل منح السودان واهاليهِ بركات السلام والعمران فاسمحوا لي ان اقدم الى سموكم التهاني المقرونة باوفر الاحترام بنجاح هذا المشروع الذي تم تحت عناية سموكم . واني ارحب ايضاً ترحيباً قلبياً باصحاب السعادة النظار واعضاء مجلس شورى القوانين وغيرهم من الاعيان الحاضرين هنا واسدي الشكر على المساعدة التي نالتها السودان من كبار رجال حكومة سموكم

وفي اختتام الشرف بان اذكر امام سموكم الهمة والمقدرة اللتين ابداهما صاحب العزة القائمقام كندي بك مدير قسم الاشغال والقائمقام دروري بك مراقب الموانى والفنارات اللذين بمساعدة الضباط والموظفين الانكليز والمصريين والسودانيين الذين تحت امرهما قد كان لهما الفضل الاكبر في النجاح باتمام هذا العمل العظيم

والشرف ان اذكر ايضاً اسماء صاحب العزة المير الاي هيس صدر بك مدير الجمارك والمستر هرتون مورجان القاضي المدني وصاحب العزة القائمقام فلدن بك من ضباط حكومة السودان والدكتور كريسبن من ضباط مصلحة حكومة السودان الطبية الذين اتموا اعمالاً جليلة فيما يتعلق بتنظيم وادارة المدينة والميناء

وباذن سموكم سأطلب الآن من صاحبي العزة القائمقام كندي بك والقائمقام دروري بك ان يصفا بالايجاز اهم ما يتعلق ببناء المدينة والميناء وان يعرضا على مسامع سموكم اسماء الضباط والموظفين الذين قاموا بخدمات ممتازة

ثم تلا حضرة القائمقام كندي بك مدير قسم الاشغال خطبة باللغة الانكليزية وهذه ترجمتها العربية

مولاي صاحب السمو المعظم

بمناسبة افتتاح سموكم لهذا البناء الجديد اتشرف بان اعرض شرحاً موجزاً عن العمل الذي قد تم الآن مكللاً بالنجاح . ان اللجنة الخصوصية التي نظرت سنة ١٩٠٤ مسألة

اختيار افضل نقطة تكون ميناء السودان وتنتهي سكة حديد البحر الاحمر قررت اختيار بورت سودان وتفضيلها على سواكن الميناء القديمة التاريخية . وفي اوائل سنة ١٩٠٥ خصصت الاموال اللازمة للاعمال المختلفة التي قرَّ عليها القرار وارسلت الفرقة الاولى من المهندسين والعمال الى بورت سودان ولم تكن في ذلك الحين الاَّ شاطئاً صخرياً قاحلاً ولم يبلغ عمل البناء اتمهُ الاَّ في بدء سنة ١٩٠٦ . وعند تخطيط المدينة والميناء خصص الجانب الشرقي من الميناء بتمامهِ للارصفة التجارية ومستودعات الفحم ومخازن الجمارك ووراء هذه مكاتب ومخازن الترحيلات . اما المدينة نفسها فخططت على الارض المرتفعة الواقعة غربي الميناء حيث بنيت ابنية الحكومة المختلفة ومن جملتها الثكنات والمدارس والسجن والمستشفى ومكاتب البوستة والتلغراف ومكاتب الحكومة الاعتيادية واحياء السكن . وقد بنيت نقطة الكورنتينا على الارض المنفصلة الى الجنوب من الميناء . ويبلغ طول ما بني من الرصيف الى الآن ستمائة وخمسة وعشرين متراً ويمكن خمس سفن كبيرة ان تفرغ شحنتها عليهِ في وقت واحد وعمق المياه على جانب الارض تسعة امتار في معظم الجزء . وقد وجدت صعوبة كبيرة في اعداد الاساسات عند بناء حائط الرصيف لان الشاطئ المرجاني غير متناسب فكان في بعض الاماكن ليِّناً للغاية وفي غيرها صلباً اقتضى استعمال كراكات من طرز مخصوص . ومعدات الميناء الميكانيكية تامة وهي تشتمل على خمس ونشات كهربائية ذات زاوية تمكنها من تفريغ شحن اكبر البواخر المعروفة . وست آلات كهربائية لجر السفن على جانب الارصفة وتسحب عربات السكة الحديدية على الارصفة . والرصيفان الممتدان للفحم مجهزان بآلات خصوصية لتفريغ الفحم تتألف من اربع نقالات للفحم وجسر تفريغ . وآلات تفريغ الفحم هذه من احدث ونمط طرز وكافية لتفريغ ثلاثمائة طن في الساعة . ولما كان العمل الصناعي اليدوي في السودان كثير النفقة قليل الفائدة كان من اهم الامور اعداد معدات ميكانيكية وافية بالغرض للبناء . وكل الآلات تدار بالكهربائية وتشغل من آلة مركزية كبيرة وتجهز هذه الورشة النور والقوة الميكانيكية اللازمة لورش الارصفة والنور للمدينة وللارصفة نفسها وتجهز القوة ايضاً لادارة الكبري المتحرك الذي تسير عليهِ سكة الحديد فوق الميناء . وقد بني حوض شمالي الكبري لاجل اعمال الترميم العمومية للسفن والعمل جارٍ هناك في بناء مزلقان . ويرجى ان بورت سودان وان لم تكن كبيرة الاتساع فستكون من جهة معداتها من احسن موانئ العالم . ويجدر بي في هذا المقام ان اذكر ان مجموع ما انفق على كل الاشغال المتعلقة بمدينة بورت سودان وميناتها قد بلغ ٩١٤ الف جنيه مصري

وفي الختام اسمحوا لي ان ارفع الى سموكم العالي اسماء الاشخاص الآتي ذكرهم الذين قاموا بمساعدات كبيرة في بناء مدينة بورت سودان الجديدة وميناءها : —

حضرة البكباشي ه . ه . كلي . وحضرة المستر ب . بارنت . وحضرة المستر ف . ه . كوب . وحضرة المستر ج . ا . ما كلارين . وحضرة المستر ف . س . س . بالفور . وحضرة اليوزباشي موسى افندي فهمي . وحضرة الملازم الاول عارف افندي لبيب . وحضرة الملازم الاول عبد الحميد افندي توفيق

والتمس ايضاً توجيه انظار سموكم الى العمل المتقن الذي قام به مقاولو حائط الرصيف الخواجات بنشيني وكوستانس من الاسكندرية الذين اتموا عملاً هندسياً فائقاً بطريقة مرضية الى النهاية في احوال شديدة الصعوبة . وقرأ بعده حضرة القائمقام دروري بك مراقب الموانى والفنارات خطبة اخرى انكليزية وهذه ترجمتها العربية

مولاي صاحب السمو الاعظم

اتشرف بان ارفع الى مقام سموكم العالي بعض الافادات المهمة المتعلقة بميناء بورت سودان وفائدته البحرية . فاول كل شيء كما لاحظتم سموكم ان مدخل الميناء حسن جداً فعرضه يزيد عن الف ومئتي قدم والدخول اليه سهل والمرسى فيه صالح وامين وطوله نحو ثلاثة اميال وعمقه يتراوح ما بين سبع قامات واربع عشرة قامة والسفن التي تدخله تكون مصونة من كل ريح تهب او نوء يثور . وطريقة انارة الميناء هي كما يأتي : —

قد نصب في مدخله في مكان ظاهر فنار من الدرجة الثالثة يختفي نوره كل عشر ثوان ويرى في البحر عن بعد اربعة عشر ميلاً وقد صنع هذا الفنار بحيث ينبعث منه شعاع احمر علامة على الخطر الى شعب ونجت والبر الشمالي الذي يخشى منه على السفن وشعاع آخر احمر الى شعب توارتيت والبر الجنوبي الذي يخشى منه على السفن ايضاً وشعاع ابيض الى البوغاز الامين . وفي القسم الضيق من المدخل قد نصب فنارات ثابتان من الدرجة الخامسة احدهما على الجانب الايسر للداخل الى الميناء ونوره احمر والآخر على الجانب الايمن ونوره اخضر وقد جعل لارشاد السفن الداخلة الى الميناء منارتان مصنوعتان من الحديد المشبك علو الاولى منهما اربعة وثلاثون متراً وعلو الثانية ثمانية واربعون متراً والمسافة بينهما تسع مئة واربعة وستون متراً ويتار على كل من هاتين المنارتين في الليل نوران احمران والمسافة بينهما عشرون قدماً (والفنارات التي تنبعث منها هذه الانوار هي من الدرجة الخامسة) وتتذ ما تكون المنارتان في خط مستقيم من السفينة ترى الانوار الاربعة الحمراء الواحد منها فوق

الآخر . وقد وضعت علامات على الشعب القريبة من الميناء لارشاد السفن في النهار ولذلك لا يوجد اقل خطر على السفن التي تدخل الميناء او تخرج منهُ ليلاً او نهاراً . ثم ان الارصفة وما لها من المعدات المتقنة والتسهيلات لشحن هي بحد ذاتها تجعل الميناء مرغوباً فيهِ وارى انهُ يجب ان تترى السفن القليلة الشحن بالمجيء الى هنا بدلاً من ان تنقل شحنها الى سفن اخرى من السويس او غيرها . ومما تقدم اظن ان سموكم تلاحظون ان الميناء الذي تكرمتم بتتحوه اليوم يضاهي في فائدتهِ وحسن معداتهِ افضل الموانئ الواقعة شرقي السويس

وفي الختام اتشرف بان ارفع الى مقام سموكم العالي اسمي اللفتنت درابير من البحرية الملوكية الاحتياطية مساعد مدير الموانئ والفنارات والمستر بوكسال مهندس الاحواض اللذين قاما بخدمات جليلة فيما يتعلق ببناء الميناء والارصفة

ثم رد سموهُ على هذه الخطب بخطبة عربية سنية هذه صورتها

يا سعادة الحاكم العام للسودان و يا ايها السادة

يسرني كثيراً ان احضر اليوم هذا المشهد الشائق للاحتفال باتمام هذا الميناء الجميل . فان افتتاح بورت سودان لمن الادلة الساطعة على ترقي اسباب العمران في بلاد السودان . وبتسهيل طرق المواصلات يقرب النواحي القاصية بعضها الى بعض ويوسع نطاق التجارة ويزيد منابع الثروة في البلاد فيتمتع الاهالي ببركات الامن والسعادة

واني اشارك سعادتكم في الثناء على حضرة القائمقام كندي بك وحضرة القائمقام دروري بك وعلى جميع من ساعدوهما في هذا العمل العظيم من الضباط والموظفين الانجليز والمصريين والسودانيين

وتلا حضرة بروستر بك سكرتير سمو الانكليزي ترجمتها الى الانكليزية . ولما انتهى سموهُ من رده قدم سعادة الحاكم العام اليهِ خطبتهُ في علبة من الذهب داخلها على شكل قبة ضريح الشيخ برغوث تذكاراً لفتح الميناء قائلاً اتشرف ان اقدم هذه العلبة الذهبية الى سموكم هدية من حكومة السودان لتكون تذكاراً لتشريفكم هذه الديار وافتتاحكم ميناء بورت سودان . فاجابهُ سموهُ قائلاً اني اشكر سعادتكم وسأحفظ هذه الهدية الجميلة لتكون لي ولابنائي من بعدي تذكاراً لافتتاح هذا الميناء

ثم ادار سموهُ اداة صغيرة متصلة برافعة (ونش) فتولدت قوة كهربائية رفعت آخر حجر من الفيز الرصيف واعلن فتح الميناء رسمياً . فادى قره قول الشرف السلام وصدحت الموسيقى بالسلام الخديوي وسلام جلالة ملك الانكليز

شمس العدالة في تركيا

(تابع ما قبلهُ)

الاتراك شعب حريٌّ بالاعجاب

في البلاد العثمانية خمسة وعشرون مليوناً من السكان وخمسة ملايين منهم اتراك من سلالة رجال عثمان الاول الذين خرجوا من اواسط اسيا وامتدُّوا في فتوحهم الى اوربا وهم شعب يُحبب بهِ توريٌّ باسل . نتكلم هنا عن الشعب التركي بالاستخفاف لكنهُ ليس بالشعب الذي يستخف بهِ . وحسبكم دلالة على مقدرتهِ انهُ تسلط على الممالك العثمانية ستمئة سنة . والسلطان الحالي سلطان مقتدر والذين رأوهُ يعلمون انهُ ليس كما يصورهُ ارباب الصحف المزلية فهيئتهُ تدل على انهُ رجل مقتدر وسياسي حاذق عالي الهمة مع انهُ صار في السادسة والستين من عمرهِ . ولقد كان في خلال الثلاثة والثلاثين عاماً الغابرة اي منذ تاريخ مجلس المبعوثان الاول الى الآن مهتماً بفتح المدارس وبناء المساجد وانشاء المستشفيات واخذ الاحتياطات الصحية لتحسين صحة رعيتهِ ومد السكك الحديدية ولاسيما سكة حديد الحجاز العظيمة التي انشأها من دمشق الى مكة في السنين الاخيرة

ويلي العنصر التركي عناصر مختلفة كالارمن والاكراد والشراكسة والالبانيين والسوريين والمكدونيين والبلغاريين والسربيين واليونانيين كل هؤلاء عناصر ذات مقدرة وكفاءة وهناك العرب والتاريخ شاهد ببلغ قوتهم وبسالتهم

اما المناسة الناشئة عن اختلاف الاجناس والمذاهب فلا رجاء بالتغلب عليها الاَّ بقوة الوطنية وقوة العلم وانارة الاذهان وتأثير الدين

شيدت مدارس عديدة في المملكة العثمانية في الثلاثين سنة الماضية للمسلمين والمسيحيين واظن ان عددها اليوم نحو اربعين الف مدرسة يدرس فيها نحو مليون ونصف مليون من الصبيان والبنات . وطريقة التعليم غير راقية ومع هذا فقد كنت في جنوب سورية منذ بضعة اشهر فزرت قرية صغيرة على بعد من السكة الحديدية وعلى بعد مئات من الاميال من دمشق . في تلك القرية الصغيرة مدرسة اهلية وتلامذة . وكثير مثل هذه المدارس منتشر في جميع انحاء المملكة فهذه المدارس وان لم يكن التعليم فيها غير راقٍ فانها ناجحة ومتقدمة فالمدرسة مدرسة والتلميذ الذي يقصدها الآن قد قرع باب العلم والترقي الذي يفتح الى القرن العشرين

الكليات الاميركية في تركيا

استطرد الكلام الآن الى الكلية التي لي علاقة بها فاقول انها من طبقة المدارس والمعاهد العلمية العالية المتفرقة في جهات مختلفة من السلطنة العثمانية وحبذا لو وسعني الوقت للكلام على المعاهد العلمية الاخرى كالمدارس الكاثوليكية واعمالها. واني اتكلم عن المدرسة الكلية السورية الانجيلية لانها انموذج للكليات الاميركية في المملكة العثمانية واعتقد ان لهذه الكليات افضل في انارة اذهان الاهالي وتثقيف عقولهم وهي كثيرة فمنها واحدة في عينتاب وواحدة في خربوط وواحدة في ازمير وواحدة في مرسوفان وواحدة في طرسوس وواحدة في الاستانة وهناك كلية للبنات ايضاً. وقد انشأ الاميركيون هذه الكليات في المملكة العثمانية ليتسنى للعثمانيين الحصول على المزايا العلمية والادبية التي حصلنا نحن عليها

دعوني الآن انظركم برهة الى بيروت — تلك المدينة التي اعدها اجمل مدينة في العالم — والى محلّ الكلية حيث ترون جميع الطلبة مجتمعين وعلى منبرها سيعون استاذاً ومدرساً يمثلون عناصر مختلفة عديدة مع ان اكثرهم من الاميركيين وقبالتهم ثماني مئة طالب او تسع مئة. فالى الجانب الايمن طلبة المدرسة الطبية وفي الوسط طلبة المدرسة العلمية والى الجانب الايسر طلبة المدرسة التجارية وطلبة المدرسة الصيدلية ووراءهم طلبة المدرسة الاستعدادية. وربما لا يروق لكم منظر هؤلاء الطلبة لاول وهلة لانكم لتوقعون ان تروا منظراً غريباً غير مألوف. فانهُ عوضاً عن ان يبقى الطلبة بملابسهم الوطنية يجتهدون في تقليد ملابسنا التي لا تروق لعين الناظر ولكن عندما تسألون من اين جاؤوا ومن هم يتبين لكم فوراً كيف ان تلك المدرسة وسيلة مهمة للتغلب على ما ذكرتهُ آنفاً من المنافسة وقد تظنون انهم كلهم على المذهب البروتستاني وذلك خلاف الواقع لان البروتستانت منهم يعدون على الاصابع فمنهم نيف ومئة طالب من المسلمين ونحو مئة من الاسرائيليين ومئة من اليونان ومن خمسة عشر الى عشرين طالباً من بلاد الفرس وهناك تلامذة من الهند وتلامذة من البلغار وتلميذ من صحراء جوبي. ولا كنتم من اعضاء الجمعية الجغرافية فانتم ولا مشاحة تعرفون موقع هذه الصحراء. ان طلبة المدرسة الكلية في العام الماضي انوا من ٣١٤ مدينة وقرية. ولا يخفى ان الطلبة الذين يصرفون عاماً واحداً او اربعة او عشرة اعوام في الكلية ثم يعودون الى بلدانهم المختلفة ويختلطون باهلها يكون لهم تأثير فيهم ومتى تبين لكم ذلك قدرتم هذا التأثير حق قدره وعرفتم ما لهذا المعهد العلمي من النفع الجزيل

بقي علينا المسألة الدينية وهي اهم من سواها. تعلمون ان كليتنا مسيحية وفي كلية

مسيحية مثل غيرها من الكليات المسيحيَّة في هذه البلاد وقد وُجدنا في تلك الكلية لنشرك الشبان الذين فيها على اختلاف ملاهم ونحلهم في ما يلقاه من سمو المبادىء المسيحية لا لتغيير معتقداتهم ولا لتجريعهم الدين المسيحي . ووجدنا ايضاً لنشاركهم في احسن المنافع التي تناها ونالتهم افضل ما في المكتبة وافضل ما في غرف التدريس وافضل الآداب الدينيَّة التي بلغناها . ان اولئك الشبان المسلمين يفتخرون بدينهم و يعدونهُ ديناً عظيماً فيجب علينا ان نسير معهم طبقاً للمبدإ العظيم الذي وضعهُ مؤسس الدين المسيحي حيث قال " ما جئت لانقض بل لاكمل "

اعظم صاحب للنبي

تعلمون شيئاً عن تاريخ الاسلام في اوله وعن زعمائهِ الاولين وعن الامام عمر الذي كان صديقاً للنبي ثم صار من خلفائهِ وتعلمون شدة حرص هذا الخليفة على حماية الدين والتمسك بتحريم الخمر طبقاً لنص القرآن . فقد بلغهُ مرة ان نفراً من المسلمين اصابوا الشرب في الشام فكتب الى ابي عبيدة (وكان الوالي من قبلهِ في بلاد الشام) ان ادعهم فان زعموا ان الخمر حلال فاقتلهم وان زعموا انها حرام فاجلدهم ثمانين جلدة . فبعث اليهم فألم على رؤوس الاشهاد فقالوا حرام فجلدهم ثمانين

هذا هو عمر الذي لما تولى الخلافة وقف في الناس وقال " ان اقواكم عندي الضعيف حتى آخذ لهُ بحقهِ وان اضعفكم عندي القوي حتى آخذ الحق منهُ "

في استطاعتكم الآن ان تتصوروا كيف ان اولئك الشبان المسلمين يصغون الى قراءة التوراة على المنبر يومياً والى ما يقال تفسيراً اوحقاً . ولقد قلت سابقاً اننا لا نقصد ان نجرعهم الدين تجريعاً وهم ليسوا في الكلية ليصيروا مسيحيين او ليشدينوا بدين غير دينهم كلاَّ وانما نقصد ان نشركهم معنا في ما لدينا من الكمالات او الغايات السامية . لا نطلب منهم ان يعملوا شيئاً مخالفاً لدينهم بل نقول لهم بحرية ان التهذيب لا يكون كاملاً الاَّ اذا شمل تهذيب النفس والروح وان خير ما لدينا لنشركهم فيهِ هو الكمالات الدينيَّة فاذا لم يستطيعوا دخول كنيستنا براحة ضمير فعليهم ان ينشئوا عن مدرسة اخرى غير مدرستنا

لا نجبر المسلمين ولا اليهود ولا الدروز ان يحنوا رؤوسهم في كنيستنا بل ننتظر منهم ان يكونوا هنالك كما ينتظرون منا ان نكون لو دخلنا جامعاً او مدرسة اسلامية اي احترام مكان العبادة وكذلك هم يفعلون . ونقول لهم ايضاً ان الالمام بتاريخ الديانة المسيحيَّة لازم لهم كما ان الالمام بتاريخ الديانة الاسلامية والديانة البوذية والديانة الصينيَّة لازم لنا

ويسرني ان اقول واراني اول الخليقة عينها اننا لم نُتَّهم قط بمعاملة الطلبة المسلمين او اليهود او الدروز معاملة غير عادلة

اتذكر مرة ان الطلبة المسلمين كانوا يؤدون فريضة الصوم والصلاة وهم راكع في غرفة النوم. وعلمت بعد ذلك ان بعض الطلبة من المسيحيين مقتوا بهم ولما كان ذلك مخالفاً لمشرب الكلية انتهزت فرصة اجتماع الطلبة واعتذرت اليهم عمَّا فعلهُ اولئك الذين يدعون انهم مسيحيون. فعلت ذلك وانا اعتقد انهُ امر بسيط ولكن هل تصدقون انهُ اهاج الطلبة المسيحيين فاخذوا يتساءلون قائلين الى من وجه الرئيس كلامهُ وما القصد منهُ وهل صار مسلماً حتى يعتذر الى المسلمين

وعلى هذا المنوال يكون الطلبة المسلمون عندما يتركون الكلية ملمين بمبادىء الدين المسيحي يقدرون هذا الدين الذي اوصل المسيحيين الى ما هم عليهِ حق قدرهِ وكذلك الحال مع اليهود والدروز. وليس غرضي مما ابنتهُ الاَّ ان ابين اسلوب الكلية واظهر لكم كيف اننا بين هذه الاديان المختلفة احرز المبدأ الديني بقطع النظر عن مختلف الاديان وذلك بجهرنا بمبادىء الديانة المسيحية بحرية وجلاء وهذا هو السبب في ان السعاية طالب تقريباً الذين عندنا يتألفون ثبتاً نثبتاً مع ان عدد الطلبة البروتستانت بينهم قليل جداً

الامير والفلاح متساويان في لعب الكرة

وكذلك الحال في المسائل السياسية فان كل طالب يدخل كليتنا يفهم اننا كطلبة واساتذة لا ننظر الى كلة الانقلاب بمعناها السياسي بل نفسرها بانها ضد الجهل والتباوة وبانها توجب صرف القوى الى ما يرقي العقل وينير الذهن فيدرك الطلبة بذلك تدريجاً ان في استطاعة الرجال مع ما هم عليهِ من اختلاف العناصر والاميال السياسية ان يشتركوا في مشرب واحد ووطنية واحد. اتذكر ان كثيرين من طلبة الكلية بيتوا لما زارنا المستر بريان (الزعيم الاميركي) وقرينتهُ ورأونا نكرم وفادتهما ونرحب بهما مع ان اكثرنا من الحزب الذي هو ضدهُ واتذكر ان المستر بريان القى علينا حينئذٍ خطبة رقاقة ستبقى في حافظة الطلبة زمناً طويلاً

ونراعي هذا المبدأ ايضاً في ساحة الالعاب الرياضية حيث ترون نجل الامير يلعب كرة القدم مع ابن الفلاح او ابن الطباخ. ونحن نعتقد بمنفعة لعب كرة القدم هناك وعندنا سبع عشرة او ثماني عشرة فرقة يمارسون هذا النوع من اللعب الذي ينمي في الطلبة القوة على الصبر واحتمال الضيم فاذا اصيب اللاعب بضربة شديدة فلا ينفش ريشهُ ولا يستل خنجرهُ

وهذا يجعل الطلبة يخرجون الى العالم رجالاً كما يجب ان يكون الرجال

وهذه المبادئ نفسها تنشى في غرف الطعام حيث تجدون طلبة من جميع العناصر والاديان يخدمون على المائدة مقابل اجرة تعليمهم وثمن طعامهم وهذه امثولة للاميركيين كما هي للسوريين

ما هو مصير المتخرجين من كليتنا ؟ يسهل جداً جمع الطلبة اذا قلت لهم حيّ على العلم علماً الى اسباب العمران التي امتاز بها القرن العشرون . ولكن من المحتمل ان يدور في خلدكم الآن سؤال وهو كيف تحافظون على اولئك الطلبة وكيف تخرجونهم الى العالم ؟ فالف ومئتي مئة قد تخرجوا من كليتنا بعد ان نالوا الشهادات المختلفة فمنهم الاطباء والجراحون والصيادلة وحاملو الشهادة العلمية وغيرهم . ترون منهم الاطباء في برالاناضول وبلاد مصر وبلاد السودان حتى خط الاستواء . ترون منهم القضاة والمحامين واساتذة المدارس ووعاظ الكنائس . على ان هؤلاء الالف والمئتي مئة ليسوا شيئاً ازاء العدد العظيم من الذين يدخلون الكلية ويخرجون منها قبل اتمام دروسهم او بعد اتمام بعضها

اعترف ان لي ضلعاً مع المدرسة الكلية ولكني اؤكد لكم اني اجتهدت لا توخّي الصدق والحق في ما اقوله لكم فاطلب منكم ان تحكموا بانفسكم هل هؤلاء الالف والمئتي مئة الذين خرجوا الى العالم بعد اتمام دروسهم لا يكونون قوة قادرة على حسم العداء الجنسي وهدم اركان التعصب الديني أو لا يكونون قوة لوضع اساس وطنية حقة وجامعة اخوية واتحاد بشير يستقبل مجيد السلطنة العثمانية

والحق يقال ان الصعوبات التي تعترضنا عظيمة جداً ولكن لا تنسوا ان ثماني كليات او تسعاً تعمل عملها في تركيا فاينما وجد متخرج من هذه الكليات وجد نور جديد يضيء الجهة المحيطة به . فمن عيادة ذلك الطبيب . ومن مكتب ذلك المحامي . ومن منزل ذلك الواعظ تنبعث قوة في سبيل الاصلاح والمدنية — وتلك القوى متجهة الى مركز واحد وهي تبدد ظلام الجهل والغباوة

تركيا صديقتنا الوحيدة سنة ١٨٦٣

ان والدي الجليل مؤسس هذه الكلية واول رئيس لها وهو الآن في السادسة والثمانين من عمره زار مدينة وشنطون منذ ست واربعين سنة وقابل الرئيس لنكلن . وكان اخوانه المرسلون في سورية قد كلفوه بزيارة الناظر سيورد لمفاوضته في خلاف طفيف وسوء تفاهم يتعلق باعمالهم في تلك البلاد والاستفهام من حكومة وشنطون هل تستطيع مخابرة تركيا لوضع

حد لتلك المشاكل البسيطة . فاجابهُ المستر سيورد بعد ان سمع اقوالهُ قائلاً " اتعلم يا دكتور بلس ان تركيا هي الدولة الوحيدة التي شاركتنا في العواطف والاحساسات في هذه الحرب الاهلية " . فلم يتمالك والدي بكاءهُ بل احنى رأسهُ وخرج من لندنة لانهُ فهم المراد

يجب ان لا تكتفي بارسال رسالة بسيطة من مجلس امتنا الى الامة العثمانية في هذه الساعة المهمة في تاريخها . يجب ان لا تكتفي بذلك ايها السادة والسيدات نحن ابناء هذه الجمهورية التي وان لم تنل حتى الآن كل غايتها من الحرية لكنها قد سارت في سبيلها شوطاً طويلاً في طريق لا يخلو من العقبات . ألا يجب علينا ان نرسل اليها رسالة يفهم منها اننا نؤيد تلك المدارس والمعاهد العلمية التي هي من وسائل العمران في البلاد العثمانية ان لم يكن لذلك اسباب تمنع ارسال رسالة مثل هذه

علمت ان كثيرين منكم هنا في وشنطون قد اهتموا بمشروع مجيد وهو انشاء مستشفى للعاملين في لبنان وهو اول مستشفى من هذا النوع في المملكة العثمانية وما من احد ينكر نفعهُ ولكني الفت انظاركم ايضاً الى المشروعات الاخرى التي لا تقتصر على الفوائد الصحية والعقلية بل تحاول ترقية المملكة العثمانية روحياً وادبياً ايضاً

واني اشكركم من صميم الفؤاد على اصغائكم اليَّ ولي رجاء واحد وهو انكم تزورون البلاد العثمانية فتشاهدون نور الحرية والاخاء والمساواة في تلك السلطنة السنية

ترجمة خطبة بوفون في صناعة الانشاء

تمهيد للمترجم

ان بوفون المشيء الفرنسوي المشهور وُلد سنة ١٧٠٧ وتوفي سنة ١٧٨٨ وقد كان احد الثلاثة الذين احرزوا لعصرهم في البلاد الفرنسوية اعظم ما يصل اليهِ من النفوذ الفكري من ملك ناصية البلاغة كما صرّح بذلك احد المؤلفين في كتاب لهُ في تاريخ البلاغة الفرنسوية . ومن آثاره المشهورة خطبة لهُ في صناعة الكتابة خطبها يوم انتظامهِ في عداد اعضاء المجمع العلمي الفرنسوي فصادفت من الاستحسان عند العلماء والادباء ما هي جديرة بهِ ولم تزل الى اليوم من آثار القلم المكرّمة ولن تزال فأحببت ترجمتها بالعربية ونشرها في مجلة المقتطف الشيخة عمراً وحكمةً والفتاة نشاطاً وهمةً فان تعريب مثل هذه الخطب المعبرة يعد من انفس ما يهدى الى الالباب

الخطبة

(١) قد البستموني رداء المجد الضافي يا دعوتموني اليكم ولتشتموني في سلككم . والمجد نعمة لا يصيب المرء منها الاَّ على قدر اهليته لها . لا ارى ان بواكير كتاباتي الخالية من تعلف الصنعة العاطلة من كل حلية الاَّ حلية الطبيعة تصلح اسبابًا كافية تجوزني على الانضمام الى ارباب العلم الاحياء المقام المخلين بهاء البيان الفرنسوي الذين طار صيتهم ودارت اسماؤهم على ألسنة الامم وستدور على ألسنة الاعقاب معقونة بمجد الثناء

لكن يا ايها السادة كانت لكم اسبابٌ أُخر اذ ازمعتم ان تشرفوني بالانتظام في المجمع الشريف الذي قد وسمتهُ منذ طويل بسمةٍ جديدة من الاجلال فانَّ ثنائي وان لم اكن منفردًا فيهِ لا يقلُّ رونقًا ولا بَهجة قوَّةً . لكن مَن لي ان اقوم بالذي تفرضونهُ عليَّ في هذا اليوم . ليس لي ان اقدم لكم الاَّ تمَّا لكم وهو بعض خواطر في صناعة الانشاء قد استفدتها من نفثات اقلامكم . فبطافة مؤلفاتكم والاعجاب بها قد عنَّت لذهني هذه الخواطر ويعرضني اياها على آرائكم الصائبة ستتجلي بحلية النجاح

(٢) لم يخلُ زمن من رجال يقدرون ان يقودوا الناس بقوَّة الكلام غير ان هذا لم يكن مع ذلك في القرون المستنيرة التي جاد فيها الانشاء وبلغ الكلام . فان البيان الحقيقي يستلزم شحذ القريحة وتهذيب العقل وبينهُ وبين ذلاقة اللسان بونٌ بعيد . فما ذلاقة اللسان الاَّ موهبة منحها الذين أُوتوا قوَّة الاهواء وطلاقة الالسنة وسرعة التخيُّل . فامثال هؤلاء شديدو الشعور والتأثر ويفصحون عن ذلك بقوَّة وينقلون الى قلوب الغير مثل ما يرد من التحمُّس والانعطاف بصورة آليَّة بحتة حتى كأنَّ الجسم يكلِّم الجسم وذلك لان حركاتهم واشاراتهم تتضافر وتتعاون وتتساوى فعلاً . والسواد الاعظم من الناس لا يحتاج في استمالتهم واقناعهم الاَّ الى لهجة حادَّة مؤثرة واشارات واضحة متكررة ولفظ رشيق طنان

واما القلة القليلة وهم اهل الرصانة ولطف الذوق ورقَّة الحسِّ فهم ايها السادة مثلكم لا يخلبون بالحركات ولا الاشارات ولا رنة اللفظ الفارغة . فهؤلاء لا بدَّ في اقناعهم من موادَّ ومعانٍ وبراهين كما لا بدَّ ايضًا من العلم بايرادها وتلوينها وتنسيقها فلا يكفي ان تطرب الآذان وتشغل الابصار بل لا بدَّ ان تؤثر في النفس وتمسَّ القلب بمخاطبة العقل . فما الانشاء سوى الترتيب والحركة التي تُبثُّ في المعاني فان أُحكم ربطها ووُثِّق ضمها جاء الانشاء رصينًا متينًا موجزًا . وان تركت تتعاقب ببطء تحت ظلِّ الالفاظ فمهما بلغت فصاحة الالفاظ فلا يجيء الانشاء الاَّ مشوَّشًا ركيكًا مطولاً

ينبغي للمنشيء قبل الاشتغال بنظم العبارة ان يشتغل بترتيب الخواطر الاولى والافكار الاصلية . فتهيّ عينَ لكل خاطرٍ او فكرٍ أصليّ محلاً تسعى لهُ ان يحصر الموضوع ويعرف مقدار اتساعهِ . ومتى قامت هذه الرسوم الأوليّة نصب عينيهِ تيسَّر لهُ ان يُعيِّن المسافة المناسبة بين الافكار الاصلية التي تتفرع منها الافكار التابعة والمتوسطة التي تملأ تلك المسافات . فبقوّة القريحة يمكن المرءَ ان يتصوَّر كل الافكار العموميّة والخصوصيّة بحقيقة معانيها ، وبدقة تمييز يفرّق بين العقيم منها والمثمر . وبالذكاء المكسوب بتعوُّد الكتابة يعرف اول الامر ما تكون نتيجة اعمال العقل هذه . فلا جرم ان الموضوع المتسع او المختلط ولو بعض الاختلاط يعزُّ على المرء ان يحيط بهِ بلحظةٍ او ان يدركهُ بامرٍ لاول توجيه النظر اليهِ . ويعزُّ عليهِ ايضاً ان يدرك كل متعلقاتهِ الاَّ بعد ان يطيل النظر فيهِ فينبغي والحال هذه ان يجيل ذهنهُ فيهِ كثيراً فان هذه هي الوسيلة الوحيدة الى اثبات افكارهِ وتوسيع نطاقها والسموّ بها . وكلما اعطاها بالتأمل مادةً وقوّةً سهل عليهِ ان يحسن تشخيصها بالتعبير عنها

على ان هذا الرسم ليس هو الانشاء كلهُ لكنهُ اساسهُ بما يعضد المنشئَ ويرشدهُ وينظم حركتهُ ويجري بهِ على سنن البلاغة . وبدونهِ فابلغ كاتب يضلّ السبيل ويجري قلمهُ بلا دليل فيكون كلامهُ مفطرباً وتكون معانيهِ غير منتظمة وصورهُ متنافرة . ومهما كانت الالوان التي يلوّن بها ناصعةً ومهما كانت المحسنات التي يرصّع بها التفاصيل جميلة فان كان مجمل كلامهِ مستهجناً او قاصراً عن ان يؤثر التأثير الكافي فالتأليف يكون ركيكاً . الاَّ ان القارئ مع العجز بفضل المنشيء يخالجهُ الظن ان ذلك المنشئَ خالٍ من الذكاء ومن هنا ترى الذين يكتبون كما يتكلمون لا يحسنون الكتابة وان كانوا يحسنون الكلام . وترى ايضاً الذين يسلمون لاول خاطر يخطر لهم فيهذّون بحماسةٍ لا يلبثون ان يعجزوا عن الاستمرار عليهِ

ولهذا السبب عينهِ لا يحكم الصحة بين المعاني الذين يخافون اضاعة ما يطرأ على العقل من الافكار المنفردة ولا الذين يكتبون الفصول والمقالات في الاوقات المتقطعة . ومن اجل ذلك ترى تآليف متعددة مكوَّنة من قطع لا يلتحم بعضها ببعض الاَّ بعد الجهد والعناء . وقلَّ منها ما سُبك بحرٍّ

ومع ذلك فهما اتسع الموضوع الواحد فلا يتعذر حصرهُ في مقالةٍ واحدة . فالقطع والوقف والفصل لا يسوغ ان يستعمل شيءٌ منها الاَّ عند اختلاف المواضيع او عندما يكون الكلام في امورٍ جليلة صعبة متنوعة فان القريحة تعترضها في اشباه هذه الامور العوائق الكثيرة وضرورات الاحوال فتقف حيرى

ألا وان تعدد التقسيم يضعف التأليف . نعم ان العبارة تظهر للعيون اوضح لكن غرض المؤلف يستتر تحت سجف الخفاء ولا يكون لهُ موقع في نفس القارىء فهو لا يشعر بهِ الاَّ باطراد المعنى وبحسن التحام الافكار وبسط متتابع وتدريج مستمرّ وحركة متساوية السرعة يضعفها او يلاشيها ايُّ انقطاع حصل

واحسن ما يجلي بهِ المقصود النظر في اعمال الطبيعة فهي كاملةٌ وما علة كمالها الاَّ ان كل عملٍ هو مجموع تام وهي تعملهُ على منهاجٍ ابديٍّ لا تحيدُ عنهُ . فالطبيعة تُعِدُّ سرًّا يزور نتائجها وترسم بمرَّة الصورة الاوَّلية لكل كائن حيٍّ وتبسطها وتكملها بحركة مستمرَّة وفي أجلٍ معيَّن وهو ولا ريب عمل مدهش . ولكنها المدهش حقيقةً هو ما يلوح عليهِ من الاثر الالهي

اما العقل البشريّ فليس في وسعهِ ان يوجد ولا أن يولِّد شيئًا الاَّ بعد تلقيحهِ بالخبرة والتأمل يعني ان معارفهُ هي يزور نتائجهِ . لكنهُ اذا قلَّد العظيمة في سيرها وفي عملها ترقَّى بالتأمُّل الى الحقائق العليا فاذا جمع هذه الحقائق وربط بعضها ببعض واذا افضى بهِ تدقيق النظر الى ان يؤلف مجموعًا وينهج في انشائهِ منهجًا واحدًا قرَّر على اسٍّ لا يتزعزع آثارًا خالدةً

انما لعدم رسم الموضوع واغفال التأمل فيهِ يرى ذو اللبّ انهُ في حيرةٍ فما يدري من اين يبدأ بالكتابة فتمنُّ لتكوم خواطر جمة دفعةً واذ لا يكون قد قابل فيما بينها ولا وصل بعضها ببعض يبقى في حيرتهِ ولكنهُ متى رسم رسماً وجمع ورتَّب كل ما للموضوع من المعاني الجوهرية فيعرف حينئذٍ متى ينبغي ان يشرع في الكتابة ويشعر بان النتيجة العقلية قد نضجت فيجتهد ان يجعلها تفرخ حتى لا يكون لهُ الاَّ لذة الكتابة اي ان التصوُّرات تفيض عليهِ والعبارة منقادة سهلة مندفعة بقوَّة الطبع . وحرارة التعبير تولِّد من هذه اللذَّة وتنتشر في كل الموضوع وتنفخ روح الحياة في كل عبارة وكل شيء يتزايد قوةً فالنجدة تعلو والاشباه تتلوَّن وتتحسَّن . والشعور اذا اقترن بالموضوع زاده وقوَّاهُ وعرَّفهُ بما قيل ما سيقال وعندئذٍ يعود الانشاء مفيدًا جليًّا

لاشيءَ اذهب بحرارة العبارة وجزالتها من رغبة الكاتب في ان يأتي في كل موضع بالجمل المستغربة طلبًا لاستلفات الانظار ولا شيءَ احجب لضياء الوضوح الذي تقضي البلاغة ان يكون منبثًّا في كل اجزاء الكتابة من هذه البداءة المتكلفة الناشئة عن جميع العبارات المتنافرة التي وان غشَّت وبهرت ابصارنا بنورها بضع دقائق لا نعتم ان تتركها في حنادس الابهام . وهذه الافكار لا تُقيض برئها الاَّ بالمضادَّة فان الكاتب لا يظهر الاَّ جهةً من الموضوع ويعرض عن سائر جهاتهِ

وفي العادة ان الجهة التي يختارها الكاتب يتسنى لهُ ان يفرغ اشعة عقلهِ عليها بحيث يكون قد ابعدها عن سائر الجهات التي من دأب العقل الصحيح ان يعتبر الاشياء بها (اي ان يجعلها مقياس الاشياء)

لا شيءَ اشد اجحافاً بالبيان الصحيح من استعمال هذه الافكار المكلفة وطلب هذه التصوُّرات الثانية المسترخية الفاقدة القوَّة الشبيهة بورقة من المعدن مطروقة لا تأخذ رونقاً ما لم تفقد الصلابة وكلما اكثر من وضع هذه النكت اللطيفة في كتابةٍ ما كما قلت فيها المتانة وخُسف نور البيان وشحب وجه التعبير . اللهمَّ الاَّ ان تكون تلك النكتة أُسَّ الموضوع وبعبارة اخرى الاَّ ان يكون موضوعهُ مبنيًّا على النكت ولم يكن لهُ غرض غير الفكاهة فحينئذٍ تصبح صناعة التعبير عن الاشياء الصغيرة أوعر مسلكاً من صناعة التعبير عن الامور الكبيرة

لا شيءَ اشدُّ معاندةً للجمال الطبيعي في الانشاء من التعبير عن الاشياء المألوفة بصورة غريبة اومهيرجة ولا شيءَ ينغِّص من الكاتب اكثر من ذلك وان كان يتفاهى في اجتلابهِ ما يتناسى فالناس لا يحبون بلاغةً خلافاً لما يظن بل يتقمون عليهِ انهُ قطع كثيراً من الزمان في تنضيد كلامهِ تنضيداً جديداً ابتغاء ان يخرج عن الاسلوب العامّ وهذا العيب هو عيب العلماء الفقهاء العقول فلهم من الكلم مادَّة غزيرة وليس لهم تصوُّرات فهم يشتغلون بالالفاظ ويتوهمون انهم نظموا التصوُّرات لانهم نسَّقوا الجمل . ويتخيلون انهم طيَّروا اللغة وهم قد افسدوها . لهؤلاء الكتَّاب ليس لهم انشاء وان شئت فقل ليس لهم الاَّ خيالهُ . فالانشاء ينبغي ان ينقش الافكار . وهم لا يقدرون الاَّ ان يخطُّوا الكلم . فبلاغة الكتابة تقتضي سعة العلم بالموضوع وتستدعي اطالة النظر فيهِ وذلك لكي يتبين الكاتب ترتيب افكارهِ ويكوِّن لها مجرًى وسلسلةً متصلةً كل حلقةٍ منها تمثل تصوُّرًا

ومتى شرع في الكتابة تعيَّن عليهِ ان ينظمها على حكم الرسم الاول بعضها وراء بعض غير سامح لنفسهِ ان يشذَّ عن ذلك ولا ساعٍ لها على تباين العبارة ولا معطلها حركةً غير الحركة المعينة للجمال الذي تجول فيهِ . فهذه هي جزالة الانشاء . وهذه هي الموجدة الوحدة والمرتبة السرعة وذلك هو الذي يكفي وحدهُ لاخراج العبارة مخرجاً صريحاً ساذجاً متساوي النمط واضحاً قويًّا منتظم السياق — فان انضمَّ الى هذه القاعدة الاولى التي تمليها التربية اللطف والذوق والتدقيق في تخير العبارات والتنبه الى ان لا تعمى الاشياء الاَّ تعريضاً واياءً فان تولر ذلك جزْل الانشاء — وان ضمَّ الكاتب الى ذلك ايضاً الحذر من حركة

الاندفاع الاولي وعدم المبالاة بكل ما لا فائدة لهُ الاَّ البهرجة الفارغة وضمَّ اليهِ المجافاة المستمرَّة للابهام والمزل جاء الانشاء رصيناً محكماً

واخلاصة ان من يكتب كما يفتكر و يقتنع بما يريد ان يثبتهُ للناس فهذا الاقتناع نفسهُ الذي هو تأدب في حقّ الناس وفي صحة القول يلاقي في النفوس من التأثير ما يجدر ان يلاقي مثلهُ

لكن بشرط لهذا الاقتناع الباطن ان لا يكون مقروناً بحماسة مفرطة وان يكون فيهِ من السذاجة اكثر مما فيهِ من الثقة ومن السواب فوق ما فيهِ من الحماسة فلهذا تدخيل لي ايها السادة وانا اقرأ مصنَّفاتكم انكم كنتم تخاطبوني شفاهاً بل كنتم تلقنوني العلم وكانت نفسي تتلقف حكمكم هذه وتحاول ان تطير وترتقي اليكم ولكن هيهات ذلك فان القواعد لا تقوم مقام القريحة فان لم تكن القريحة فما في القواعد غناء — ألا وان الكتابة الجيدة انما هي صحة فكر وصدق حسّ وحسن تعبير اي ان يجتمع في الكاتب العقل والحسّ والذوق . فالانشاء يقتضي اجتماع كل هذه القوى العقلية وتمرُّسها . فانما الافكار هي اسّ الكتابة واما تآخي الالفاظ فليس هو الاَّ امراً ثانوياً ومتولداً من شدَّة الحسّ فقط . فحسب المرء قليل من تحكيم السمع لجانب التنافر بين الالفاظ وان يمرّن سمعهُ ويحكمهُ بقراءة الشعراء والخطباء حتى يبلغ بهِ الطبع الى اتباع الايقاع الشعريّ والاساليب الخطابية . على ان الاتباع ما اوجد قطُّ شيئاً . ولذلك ليس اسّ الانشاء ولا لهجتهُ في تآخي الالفاظ فهو اكثر ما يكون في الكتابة الخالية من المعاني فما اللهجة الاَّ موافقة العبارة لطبيعة الموضوع فلا يجوز ان تكون مكرهة فهي تتولد طبيعياً من اسّ الشيء نفسهِ وهي شديدة العلاقة بالجهة العامة التي اليها يوجه الكاتب افكارهُ فاذا ترقّى الى التصوُّرات التي هي اشرف واذا كان الموضوع في حقيقتهِ جليلاً فاللهجة ترتقي الى هذا المقام نفسهِ فاذا استمرّت اللهجة في هذه الطبقة العالية فالقريحة تأتي ببلاغة تبثّ ضياء الوضوح — واذا استطاع الكاتب ان يضمّ الى جمال التنزويق قوَّة الوصف وفي الجملة اذا تهيأ لهُ ان يمثّل كل تصوُّر بعبارة حيَّة مبينة وان يصنع من سلسلة كل مجموع من التصوُّرات صورةً متناسبةً ومتحركةً فلهجة العبارة تكون عاليةً بديعةً لا مزوَّقةً فقط

ومن ثمَّ فالمثابرة على الكتابة انفع من حفظ القاعدة والامثلة افيد من القواعد لكن لا يؤذن لي ان أورد المقالات العالية التي اسكرني بلاغتها عند ما كنت اقرأ تبذكم فاني مضطرٌّ ان اقف عند ابداد الخواطر فانما كيف البليغة انما هي التي تجتاز الى الاعقاب

واما كثرة المعارف وغرابة الاعمال وحداثة المكتشفات فليست بالكفيلات الامينات بالبقاء على وجه الدهر. فاذا كانت التآليف التي تتضمنها لا تدور الاَّ على موادَّ تافهة او اذا كانت عبارتها منابذةً للذوق او ركيكةً او لا دلالة فيها على توقُّد القريحة فهي صائرة الى الهلاك. الا وان المعارف والصنائع والمكتشفات يسهل تناولها واقتفاؤها بل انها تكسب وتُحسن باستعمال ايدي اخرايانا في احذق من يد مكتشفها. وهذه الاشياء خارجة من الانسان. اما الانشاء فهو الانسان نفسهُ فيستحيل ان يُسلب كما يستحيل ان يُنقل ويمتنع ان يحرَّف او يزوَّر. فان كان في المقام العالي من الجزالة وحسن الديباجة حقَّ لصاحبهِ ان يعجب بهِ في كل عصر فلا يبقى على الدهر الاَّ الحقيقة. وليس الانشاء الجيد في الواقع الاَّ عدداً عديداً من الحقائق التي تبرز ببرُدِ التشبيب. فكل ما فيهِ من المحاسن العقلية وكل العلائق التي يتألف منها حقائق مفيدة بل ربما هي افيد للعقل البشري من الحقائق التي تكون اسَّ الموضوع بل هي اغلى قيمةً عندهُ

واما الانشاء البديع العالي فليس الاَّ في المواضيع الجليلة فالشعر والتاريخ والفلسفة كل منها موضوع لهُ جليل بل غاية في الخطارة اذ هو الانسان والطبيعة. اما الفلسفة فتصف الطبيعة وتصوِّرها. واما الشعر فيصفها ويحسنها ويصوِّر ايضاً الناس ويعظمهم بل يبالغ في وصفهم وهو الذي يوجد بقوَّة المخيلة الابطال والآلهة. واما التاريخ فلا يصف الاَّ الانسان ويصفهُ كما هو ومن ثمَّ فلهجة المؤرخ لا تصير عالية الاَّ حين يصف اعاظم الرجال او يذكر اعظم الحوادث وأكبر الاهواء واشدَّ الثورات وفيما خلا ذلك يكفي ان تكون العبارة رصينةً ذات فخامة

ولهجة الفيلسوف يمكن ان تصير عالية كلما أفاض في ذكر شرائع الطبيعة والكائنات بالاجمال والفضاء والمادَّة والحركة والزمان والنفس والعقل البشريّ والعواطف والاهواء وحسبهُ فيما عدا ذلك ان تكون جزلةً مزوَّقةً

واما لهجة الخطيب والشاعر فمتى كان الموضوع عظيماً ينبغي ابداً ان تكون عاليةً فهما القادران ان يضما الى عظمة الموضوع من التلوين والانسجام والتزيين ما يريدان. وعليهما قبل ان يصفا الموضوعات ويكبِّراها ان يفرغا في كل موضع ما أوتيا من قوَّة القريحة وذكائها

بيروت في ٩ آذار سنة ١٩٠٩ سعيد الخوري الشرتوني

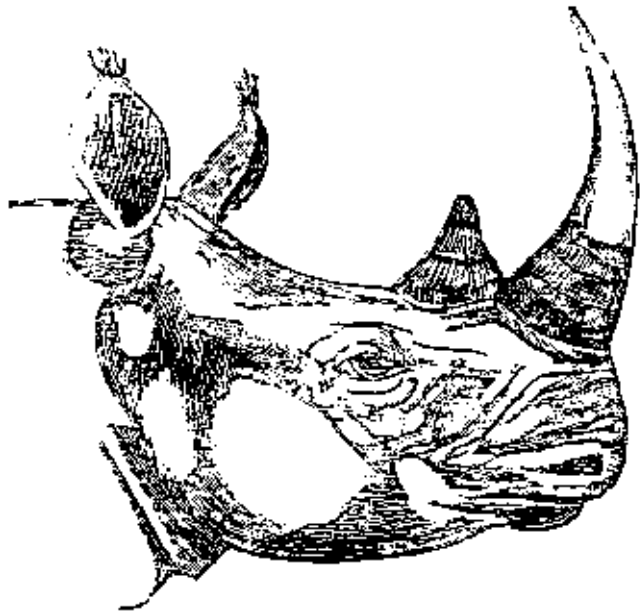

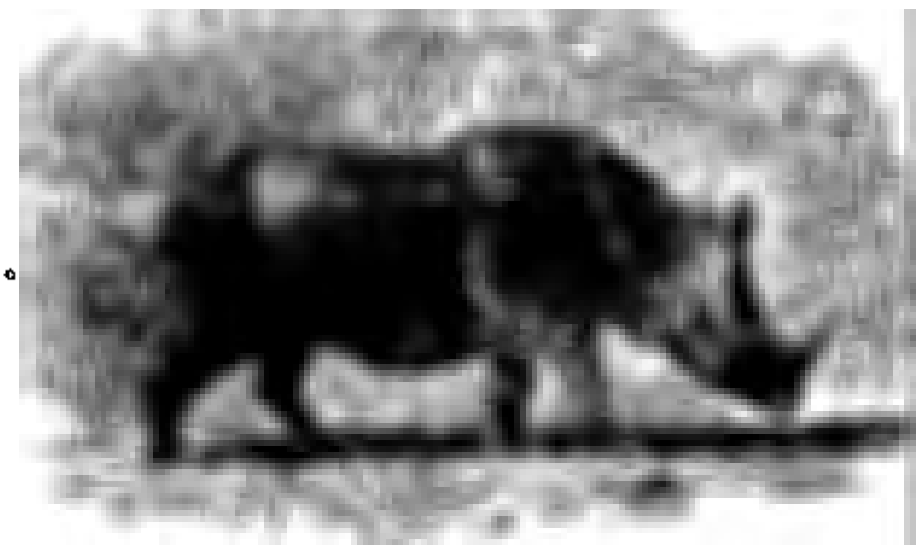

الخريش او الكركدن

معجم الحيوان

(تابع ما قبلهُ)

﴿ الكَرْكَدَّن (فارسية) . الكَرْكَنْد (معرّفة عنها) . الحَرِيش[1] (حبشية) المِرْمِيس . المِرْمِيس . السِنَاد . الحمار الهندي . وحيد القرن (ترجمة الاسم اليوناني) ﴾

E. Rhinoceros. F. Rhinocéros.

حيوانٌ من ذوات الحافر عظيم الجثة قصير القوائم غليظ الجلد لهُ قرنٌ واحد فوق انفهِ ولبعض انواعهِ قرنان الواحد فوق الآخر . وهو هندي وافريقي ويعرف في السودان بابي قرن وام قرن ويسمى قرنهُ بالخَرْتُوت والخَرْتِيت والخُرْتُوت

وقد ذكرت لهُ اسماء غير هذه في بعض المؤلفات العربيَّة وسماهُ البيروني الغندا وهي لفظة سنسكريتية . وهو الشان في مروج الذهب وفي بعض النسخ الشيان والنوشان . وحسب المسعودي ان لفظة الكركدَّن حامية وقال " الشان الذي تسميهِ العامة الكركدَّن " . وضبطها الفيروزبادي بتشديد الدال وقال العامة تشدد النون فيكون المتبي على زعمها عامياً مزدوجاً في قولهِ

وشعرٍ مدحت بهِ الكركدنَّ بين القريض وبين الرُقى

ولا بدَّ هنا من البحث في امر الحيوان الخرافي المسمّى حريشاً في المؤلفات العربية و Unicornis او Licorne عند قدماء الافرنج وهو الحيوان المرسوم على الشعار البريطاني وزعموا ان لهُ رأس الفرس وقوائم الظبي وذنب الاسد وفي وسط رأسهِ قرنٌ واحد مُصمت . ولم فيهِ اقوال غير هذه فيما يختص بشكلهِ . وقالوا انهُ يحتال لصيدهِ بان تتعرض لهُ فتاة عذراء فيستأنس بها . وكانت العرب تزعم مثل ذلك او انهم اخذوا هذه الخرافة عن غيرهم فقد جاء في الدميري ما نصهُ " الحريش نوع من الحيات ارقط قالهُ الجوهري وقال بعد هذا الحريش دابة لها مخالب كمخالب الاسد ولها قرن واحد في هامتها ويسميها الناس الكركدان وقال ابو حيَّان التوحيدي هي دابة صغيرة في جرم الجدي ساكنة جدًّا غير ان لها من قوة الجسم وسرعة الحركة ما يعجز القنّاص ولها في وسط رأسها قرن واحد مصمت مستقيم تناطح بهِ جميع الحيوان فلا يغلبها شيء ويحتال لصيدها بان تتعرض لها فتاة عذراء " الخ . وقال

(١) ترد ايضاً بمعنى الغريبة المعروفة بالعنقاء لها اربع وارجلين

القزويني « الحريش حيوان في حجم الجدي ذو عدو شديد وعلى رأسه قرن واحد كقرن الكركدان واكثر عدوه على رجليه لا يلحقهُ شيء في عدوه ويوجد في غياض بلغار وسجستان[1] »

فيرى القارئ مما تقدم ان الحريش حيوان خرافي عند بعضهم والكركدّن عند البعض الآخر ويزعم كثيرون من علماء الافرنج ان الحريش هو الوضيحي الذي تقدم ذكرهُ في عدد ماضٍ من المقتطف وذلك لان ارسطو زعم ان للوضيحي قرناً واحداً فان الناظر الى الوضيحي من جانب واحد يتراءى لهُ انهُ كذلك . ويعتقد آخرون ان الحريش حيوان قائم بنفسه فلا هو الكركدّن ولا هو الوضيحي بل حيوان آخر يوجد في بلاد التبت ويجاهل الزيتية وادلتهم على ذلك اقرب الى الخرافات منها الى الحقيقة واستادهم ضعيف جدًّا اضربت عن ذكرهِ ومن شاء فليراجعهُ في محلهِ[2] . ولا يخفى ان اكثر الحيوانات الخرافية ان لم نقل كلها مصدرها الحقيقة فالانسان لا يخلق كائنات جديدة بل ينمي في صورها حسب تخيلاته فالتنين والصنّاجة والسعلاة كانت حيوانات معروفة عند الانسان في العصور الخالية وانقرضت ولم يبقَ منها الّا الاسماء والصفات الغريبة الخارجة عن حدّ المعقول وسيأتي ذكر كلٍّ منها في موضعهِ . وسأورد الآن تاريخ الكركدّن او الحريش ملخصاً ليتضح للقارئ انهما اسمان لحيوانٍ واحد فالمسمى وحيد القرن عند الافرنج والحريش عند العرب ليس سوى الكركدّن المعروف

فاول من ذكر هذا الحيوان فيما يعلم اكتيسياس اليوناني وسماهُ الحمار الابيض وكان اكتيسياس هذا طبيباً لاحد ملوك الفرس فسمع بهذا الحيوان في تلك البلاد . وذكرهُ بعد ذلك ارسطو في كتاب النعوت وسماهُ الحمار الهندي وكذلك تجد ان الكركدّن يسمى الحمار الهندي بالعربية ايضاً . قال ارسطو ما تعريبهُ « ولم يرَ من ذوات الحافر ما لهُ قرنان لكن يوجد حيوانات قليلة جمعت بين الحافر والقرن الواحد منها الحمار الهندي والوضيحي » (الاركس)

وسُمّي هذا الحيوان بعد زمن ارسطو بالمونوكيروس اي وحيد القرن وذكرهُ بليينوس واليانوس الرومانيان بهذا الاسم وقال الاخير منهما ما تعريبهُ « وفي بلاد الهند الخيل والحُمُر ذوات القرن الواحد (مونوكيروس) يتخذ من قرونها كؤوساً اذا وضع فيها شرابٌ مسموم لا يؤذي شاربهُ » . وهو ما قالهُ مؤلفو العرب عن الكركدّن كما سيجيء . الّا ان

(١) بلغار عند علماء العرب سيبيريا وسجستان مقاطعة بين بلاد الافغان وبلاد فارس (٢) انظر حاشية بادجر وحاشية شفرلي رحلة بارنيا صفحة ٤٧ من الترجمة الانكليزية و ٥٣ من الترجمة الفرنسوية

اليانوس ذكر الكركدّن ايضاً على حدة وسماهُ كرتزوتس وبعضهم قرأها كركزونس واللفظة شبيهة بلفظة الكركدّن كما لا يخفى وهذا لا ينفي ان المسمى مونوكيروس هو الكركدّن . فاليانوس وبلينيوس لم يريا الكركدّن مطلقاً بل وصفاهُ على السماع

وجاء في كتاب عقد الجمان لعبدالله بن جبريل بن بختيشوع ما نصهُ " للكركدّ والعرب يسمونهُ الحريش والسريانيون يسمونهُ ريمًا " . وذكر ان اهل الصين يتخذون مناطق من قرونهِ . ولا يخفى ان لفظة ريم بالسريانية والعبرانية ترجمت بلفظة مونوكيروس في التوراة السبعينية وعليها اعتمد ابن بختيشوع ويظهر انهُ كان عارفاً تمام المعرفة ان هذا الحيوان المسمى مونوكيروس باليونانية هو الكركدّن بعينهِ وعبدالله هذا كان يحسن العربية والسريانية واليونانية كغيرهِ من بني بختيشوع

وقد اشتهر امر الحريش في القرون الوسطى واتخذوا من قرونهِ آنية للاكل وكؤوساً للشراب وانصبة للسكاكين وزعموا ان هذه الآنية تعرق اذا قربت من طعام مسموم (انظر دائرة المعارف الفرنسوية ومعجم لاروس) الاّ انهم كانوا يجهلون وصف الحريش ومصدر هذه القرون ولم يكن الكركدّن معروفاً عندهم . واول من وصفهُ منهم وصفاً يطابق الحقيقة ماركو بولو الرحالة البندقي الشهير وذلك في اواخر القرن الثالث عشر وسماهُ Unicornis وذكر وجودهُ في سومطرا وانكر ما نسب اليهِ من انهُ يستأنس بالفتيات . وزعم بارثيما انهُ رأى الحريش في مكة المكرّمة في سنة ١٥٠٣ للميلاد ووصفهُ وصفاً اقرب الى الخرافة منهُ الى الحقيقة انقلهُ الى القراء على سبيل الفكاهة قال ما تعريبهُ " وفي مكان آخر من الحرم (كذا) حظيرة فيها حريشان على قيد الحياة شكلهما عجيب جدًّا . فالكبير مشيها في خلقة المهر الشيّ ولهُ قرنٌ واحد في جبهتهِ طولهُ نحو ثلاث اذرع والصغير في خلقة المهر الفلوطول قرنهِ نحو اربع قبضات . والواحد منهما لونهُ كلون الفرس الكميت ورأسهُ كرأس الابل وعنقهُ معتدل في الطول ولهُ عرفٌ قصير خفيف الشعر منسدل على جانبٍ واحد . اما قوائمهُ فمستدقة كقوائم المعز ولهُ اظلاف منقسمة مشقوقٌ قليلاً وعلى مؤخر القوائم شعر خفيف . وهو حيوان شرس وثور . وهذان الحريشان اهداهما احد امراء الحبشة من المسلمين الى امير مكة " ولا اقدر ان اقول عن بارثيما الاّ انهُ كثير المبالغة فقد اخبرنا قبل هذا ان ثلثمائة رجل من ركب الحمل الشامي وهو منهم قتلوا الفاً وستمائة من الاعراب ولم يخسر الركب سوى رجل وامرأة

وجاء في رحلة الاب لوبو اليسوعي في الحبشة سنة ١٦٢٥ ذكر الكركدّن والحريش لكنهُ قال انهُ رأى الحريش عن بعد ولم يصفهُ . وفي وصف الزبيدي لما ير ما تعريبهُ

" ويوجد حيوان آخر يسميه الاحباش اروارس وهو بلا ريب ما يسميه العرب حريشاً . لهُ قرنٌ واحد ويشبه الحمار ويظن الاب نوبوا انهُ الحيوان المعروف بوحيد القرن عند القدماء " . وفي تاريخ الحبشة للودولف ان الحيوان المسمى مونوكيروس هو الحريش عند العرب . والذي نعلمهُ الآن ان لفظتي اروارس وحريش تطلقان على الكركدّن في الحبشة فيكون الحريش عند العرب والمونوكيروس اي وحيد القرن عند الافرنج هو الكركدّن

اما العرب فكان الكركدّن معروفاً عندهم ووصفوهُ وصفاً مدققاً في كثير من مؤلفاتهم وكانوا يسمونهُ الحريش ايضاً وهو الاسم الذي يعرف بهِ في بعض انحاء الحبشة في يومنا (لافاير وبروس) . ثم انهم عند ما سموا بهذا الحيوان المسمى موتوكيروس عند اليونان والرومان سموهُ الحريش ايضاً لعلمهم انهُ الحريش اي الكركدّن الاَّ انهُ اشكل على البعض منهم علاقتهُ بالكركدّن فذكرهُ الدميري وذكر الكركدّن والسناد كلّ واحد على حدة ووصف كلّ واحد وصفاً مخالفاً لوصف الاثنين الآخرين والحقيقة ان الكركدّن والسناد والحريش اسماء مختلفة لحيوان واحد وهي كذلك في كتب اللغة (انظر القاموز بارتي ولسان العرب) . ومن الغريب أن عبدالله بن بخيشوع ذكر من الف سنة تقريباً ان الكركند اي الكركدّن هو الحريش وبعض الافرنج في يومنا يعتقدون بوجود هذا الحيوان الخرافي في بلاد التبّت ومجاهل افريقية ويقولون انهُ خلاف الكركدّن (انظر حاشية بادجر وحاشية شفر على رحلة بارثيا المذكورة آنفاً)

اما قرن الحريش ويسمى الخرتوت والخرتيت والختّوت فقد زعم القدماء ان لهُ خاصة ضد السمّ وهذا الاعتقاد اصلهُ بلاد الصين والمحمول على ما اظن وانتشر منهما الى الغرب ويعتقد بهِ عامة المصريين واهل السودان الى يومنا . وجاء في مختصر نزهة المشتاق للادريسي ما نصهُ " وبها دابة تسمى الكركدّن .... ولها قرن في وسط جبهتها ... وفيها يذكر انهُ يوجد في بعض هذه القرون اذا هي شقت صورة انسان او صورة طائر او غيره من الصور .... وهذا القرن تصنع منهُ مناطق تساوي من القيمة كثيراً وحكى الجيهاني في كتابهِ ان ملوك الهند تصنع من قرن هذه الدابة انصبة السكاكين للوائد فاذا وضع الطعام بين ايديهم وكان فيهِ سمّ عرق ذلك الصناب فيعلم بذلك ان الطعام مسموم (طبع رومية صفحة ٣٨)

وفي سلسلة التواريخ ما يأتي " وفي بلاد الرهان (الشان) المُلْم وهو الكركدّن لهُ في مقدّم جبهتهِ قرنٌ واحد ... واهل الصين يتخذون منها (اي القرون) المناطق وتبلغ المنطقة ببلاد الصين الفين دينار "

وفي كتاب نخب الذخائر الذي نشره الآباء اليسوعيون في مجلة المشرق (السنة ١١ صفحة ٧٦٤) " الخرتوت ويقال خلوّ قال ابو الريحان البيروني هو حيواني يقال انهُ يؤخذ من جبهة ثور يكون في نواحي بلاد الترك بارض خرخيز وقيل بل من جبهة طائر عظيم يسقط في بعض تلك الجزائر وهو مرغوب فيهِ عند الترك واهل الصين يزعمون انهُ يعرق اذا قرب من طعام مسموم "

وفي معجم قوارس الختوّ قرن الكركدّن وقد وردت هذه اللفظة في الاصطخري وابن حوقل (صفحة ٢٨٩ و ٣٣٧) وحيث ان القدماء كانوا يجهلون مصدر هذه القرون زعم بعضهم انها من جبهة ثور او طائر وخلاف ذلك كما جاء في معجم قوارس ايضاً

اما لفظة الخرتوت فلم ارَ لها ذكرًا سوى في كتاب نخب الذخائر المذكور آنفاً وتبادر الى ذهني عند قراءتها انها محرفة عن لفظة الخرتيت فراجعت النسخة المخطوطة التي اشار اليها حضرة الاب لويس شيخو فوجدتها الخرتوت بخط واضح ويستبعد ان يكون هناك خطأ في النسخ مع وجود نسخة في بغداد واخرى في مصر وقد ذكرت اللفظة في كليهما كما هي في مجلة المشرق فاما ان يكون الخطأ من المؤلف او ان هذه المادة كانت تسمى الخرتوت في ايامهِ. اما الخرتيت فمعروف بهذا الاسم في مصر والسودان وهو قرن الكركدّن ويعملون منهُ عصيًّا وكؤوساً في ام درمان واسيوط ويبيعونها بثمن غالٍ ووصفهُ يشبه وصف الخرتوت في كتاب نخب الذخائر ويزعم العامة في مصر والسودان انهُ مضادٌّ للسموم كما اشتهر عنهُ عند القدماء. ولم اجد ذكرًا لهذه اللفظة في المؤلفات العربية الاَّ في تذكرة داود الانطاكي حيث قال " قرن الخرتيت يأتي في الكركدن " نقولهُ يأتي ينهم منهُ ان البعض يكتبون هذه اللفظة بالواو والاَّ لما نبَّه الى ذلك . اما في كتب الافرنج فقد وردت في فورسكال وير كهارت وغيرهما

﴿ الفَرَس ﴾ Equus caballus. E. Horse. F. Cheval. وهو بَرَش بالعبرانية ويُظن ان اللفظة مأخوذة من پارس اي بلاد فارس لان الفرس جاء الى الشعوب الساميّة عن طريق تلك البلاد . وفي كتب اللغة سمي الفرس بذلك لانهُ يفرس الارض برجلهِ

﴿ حمار الزَّرَد . الزِّبِرَّة (حبشية) ﴾ E. Zebra. E. Zèbre جنس من الحمر الوحشية وهو ابيض اللون ومخطط بخطوط سود . ولم اقف على اسم عربي لهذا الحيوان ولا بد انهُ كان معروفاً عند العرب لكثرة تردده الى بلاد الحبش حيث يكثر وجودهُ . اما تسميتهُ بحمار الزرد فلا اعلم من وضعها اولاً

﴿ الفَرَاء ﴾ E. Wild ass. F. Ane Sauvage. نوعٌ من الحمر الوحشية وهو

في حجم الحمار الاهلي وشبيه به ويوجد في العراق وبادية الشام

﴿ الأَحْدَر · الاخدري ﴾ E. Onager. F. Onagre نوعٌ من الحمر الوحشية وهو اكبر من الفراء واسرع ويوجد في بلاد فارس الى الهند شرقاً

﴿ البَغْل (حبشية) ﴾ E. Mule. F. Mulet. حيوانٌ متولد من الحمار والفرس

﴿ النَغْل · الكَوْدَن (فارسية) ﴾ E. Hinny. F. Hinnule حيوانٌ متولد من الحصان والاتان . والكودن لفظة فارسية بمعنى البرذون والبليد واستعارها المسعودي لهذا الحيوان المجين . اما النغل فهو الاسم الذي يعرف به هذا الحيوان عند عامة اهل الشام

Elephas. E. Elephant. F. Éléphant. ﴿ الفيل (فيل بالفارسية ومجهولة الاصل) ﴾

Elephas primigenius. E. & F. Mammoth ﴿ الماموث (تركية من معنى الارض) ﴾ نوعٌ من الفيلة انبائدة وهو شبيه بالفيل الهندي وتوجد جثتهُ مغطاة بالثلج في سيبيريا . واظن الماموث هو الصناجة التي ذكرها القزويني في كتاب عجائب المخلوقات · قال "ليس شيء من حيوانات الارض اكبر صناجة وقالوا يوجد بارض التبت يتخذ بيتاً لنفسه قرب فرسخ ومن خواصهِ ان نظرهُ اذا وقع على حيوان مات ذلك الحيوان واذا وقع نظر شيء من ذلك الحيوان عليهِ تموت الصناجة ايضاً . ثم ان الحيوانات عرفت ذلك في تلك البلاد فتعرض نفسها على الصناجة غامضة عينها ليقع نظر الصناجة عليها فتموت فتبقى طعمةً للحيوان زماناً طويلاً والله اعلم" . واصل هذه الخرافة على ما اظن ما يروى عن التتر فانهم يعتقدون ان الماموث يعيش تحت الارض كما يفعل الخلد لانهم لا يرون على وجه الارض الاَّ جثتهُ وذلك عندما يذوب الثلج عنها وتنكشف (انظر هذه اللفظة في دائرة المعارف الانكليزية وغيرها) وهذا يشبه ما قالهُ القزويني انهُ يتخذ لنفسهِ بيتاً قرب فرسخ وانهُ اذا رأى الحيوانات يموت فيبقى طعاماً لها زماناً طويلاً والواقع ان جثث هذا الحيوان التي كشفت في سيبيريا في القرن الماضي والذي قبلهُ بقيت زماناً طويلاً طعاماً للوحوش والكلاب · وذكر الاب لوبو في رحلتهِ الحبشية ان فرس النهر يعيش تحت الارض في القطب الشمالي ولا ريب انهُ يقصد بذلك هذا الحيوان المسمى ماموثاً · وكان الماموث معروفاً عند العرب لكنهم لم يذكروا لهُ اسماً خلاف الصناجة ان كان هو الصناجة ولا بأس من ايراد ما جاء في كتاب آثار البلاد عن ذلك قال " وفي كتاب سير الملوك ان القوم الذين آمنوا بهود عليهِ السلام وهربوا الى بلاد الشمال واسكنوا فيها توجد بارض بلغار عظامهم قال ابو حامد رأيت سناً واحداً عرضهُ

شبران وطوله اربعة اشبار وجمجمة رأسه كالقبة وترجد تحت الارض اسنان مثل انياب الفيلة بيض كالثلج ثقيلة في الواحد منها مائتا من لا يدري لاي حيوان هي فلعلها من دوابهم تحمل الى خوارزم الا ان طريقهم في وادٍ من الترك ويشترى من تلك الاسنان في خوارزم بثمن جيد تتخذ منها الامشاط والحقاق وغيرها كما تتخذ من العاج بل هي اقوى من العاج لا تتكسر البتة "

الدكتور امين المعلوف

مناجاة الاحلام وقرع الاوهام

لقد كثر الآن تحدث الناس بغرائب افعال العقل او النفس كما يقال ايضاً وسائر افعال الجهاز العصبي الخارجة عن المألوف من مثل التخيُّلات والشعور بما هو فوق طاقة الحواس الاعتيادية وانطباق ذلك في بعض الاحيان على الواقع مما يخلط كثيراً على العامة وبعض الخاصة ايضاً. واشتدَّت المناضلة بين الباحثين فذهب بعضهم الى ان هذه الغرائب من خوارق الاعمال التي لا تنطبق على النواميس الطبيعيَّة وعلَّلها بانها من افعال الارواح المحيطة بنا. ونقل بعض الجرائد العربيَّة تصريحات المستر ستد بما وقع له ولبعض اشياعه ونسبتهم ذلك الى مناجاة الارواح. وقد كتبت مقالة في الجريدة اجابةً لاقتراح بعضهم ادفع هذا الزعم نافيًا الغرابة غير الطبيعية فيه ومطبقًا الصحيح منها على نواميس العلم الطبيعي وعلم الامراض العصبيَّة. ونقل المقتطف مساجلة عالمين طبيعيين يذهب كلٌّ منهما مذهباً مخالفاً للآخر. فرأيت ان اسهب الكلام هنا للالمام بالموضوع من كل اطرافه لكي يتيسر للناظر بالمقابلة والاستقراء والاستناد الى العلم الطبيعي ان يحكم بما هو اقرب الى الحقيقة. وانا لا اشك في ان كل ما يجري فينا من هذا القبيل انما يجري تبعاً لقواعد طبيعيَّة نظير سائر ما يقع في الطبيعة مما هو مقرَّر اليوم انهُ بحث طبيعيٌّ بحت. ولا اشك كذلك ان معلوماتنا الطبيعية اليوم كافية وحدها لتعليل ذلك تعليلاً يزيل عنهُ كل غرابة الا ما كان من قبيل الغرائب الطبيعيَّة فقط

ان غرائب افعال العقل والجهاز العصبي معروفة للانسان منذ القديم واشهرها الاحلام التي تعرض لهُ وهو نائم — وفي تعرض للحيوان ايضاً — وقد كانت سبباً من اكبر الاسباب لاعتقاد الانسان ان فيهِ قوة غريبة عن جسمهِ تنفك عنهُ في حالة النوم وتطوف المعاهد منتقلة من مكان الى مكان ومن احساس الى احساس ثم ترجع اليهِ في اليقظة وكثيراً ما

تصدق في الانباء التي تنقلها مما حمل الاكثرين على الاعتقاد بها وظن بعضهم انهُ يمكن من مراقبة احوالها ان يستخرجوا احكاماً مطلقة والفوا الكتب في تفسيرها حشوها تارةً بالخطل وتارةً بالهذيان

وقد كانت اوهام الانسان في اليقظة كثيرة جدًّا في اول الامر لقلة تمرُّنهِ ما حولهُ من قوى الطبيعة اذ كل ما هو مألوف معروف لنا اليوم كان يبدو غريبًا لهُ . وقد بنى عليها كثيرًا من اقاصيصهِ المثولوجيَّة وحكاياتهِ الخرافية واشتغل بها زمانًا طويلاً قبل ان استهلك كثيرًا منها بالعلم شيئًا فشيئًا واقرَّها في مكانها الحقيقي

وقد كانت الامراض العصبية ولاسيما العقلية والمستيرية نظرًا لغرابة ظواهرها بالنسبة الى سائر امراض الجسم محلَّ استغرابهِ بل موضوع تكهُّنهِ وتنزُّههِ حتى ان الالفاظ التي استعملت للدلالة عليها في كل اللغات تدل دلالةً صريحة على الاعتقاد بانها حالات مستفاضة على الجسم غريبة عن مادَّتهِ وعن جوهر قواهُ كأن يقال ان بصاحبها مسًّا او دخلاً إشارةً الى الروح الغريبة الحالَّة فيهِ . وكم عذَّب النساء المستيريات وحلَّت بهنَّ النقم لاعنبا وهن ساحرات واحرقن ايضًا تخلصًا من الشيطان الحال فيهنَّ قبل ان تدار كهنَّ العلم برأفتهِ . ولا يزال هذا الاعتقاد شائعًا عند كثيرين حتى اليوم وان تلطَّف بعضهم في تسميتهِ كأن يقول ان الحالَّ شيخ . ورأفوا في معاملة صاحبهِ فاحلُّوا الرحمة محلَّ النقمة وعالجوهُ بالتعاويذ والرقى والقراءات وما شاكل . وكما انهم نسبوا بعض الحالات العصبيَّة الشديدة الوطأة الى الارواح الشريرة واخذوا في معاملة اصحابها نسبوا كذلك بعض الحالات العصبيَّة التي كانت تبدو لهم اللطف من تلك على الجسم المصاب بها الى الارواح الصالحة ورفعوا اصحابها الى مقام الاولياء والانبياء. ثم اخذ هذا الاعتقاد يضعف حتى اثبت العلم اليوم ان مثل هذه الحالات ليست سوى امراض عصبيَّة كسائر امراض الجسم ولها احكام طبيعيَّة مثلها حتى في غرابتها

وكأنَّ جمهور المتعلمين الراقين لم يتفكوا الاعتقاد بالمصدر الغريب في مثل هذه الحالات الاَّ عمَّا كان يبدو خشنًا فظًّا واما الجمُّ الغفير فلا يزال حتى اليوم يعتقد ان في اللطيف منها محلاً للنظر ومتسعًا للقول . وكثيرون يميلون الى نسبتها الى الارواح للاعتقاد المتأصل فيهم ان لم يكن رهبةً فرغبةً والذي هو بقيَّة راقية من مجموع تلك الاعتقادات القديمة الخشنة

وقد تنبَّه لهذه المسائل طوائف كثيرة من اهل الادب والعلم في اوربا واميركا وخصوصًا في انكلترا والفوا لها الجمعيات الكثيرة ليبلسوا البحث فيها حلَّة علميَّة اشترك فيها المقتنع والواهم والمتردد وانضمَّ اليهم الدجَّال ايضًا وكلٌّ واجدٌ في ذلك مصلحتهُ

فلكي يمكن البحث في هذه المسائل على اسلوب يكون منهُ فائدة للعلم لم يكن بدٌّ من تحليلها قبل تعليلها لمعرفة التصحيح فيها من المخلق والممكن من غير الممكن . فلا تحدثنا اعمال المشعوذين الذين يأتون امامنا اعمالاً كثيرة غريبة صناعية كوضع الشيء في مكانهِ ثم اخراجهُ من مكان آخر وكابتلاع السيوف والسكاكين ولم يبلع منها شيء والتكاثم مع اشخاص متباعدين والمتكلم واحد وغير ذلك من الامور المدهشة التي يجيزونها على الناظرين وليس فيها شيء من الغرابة سوى مهارة الصناعة فان امرها اليوم معروف للخاصة والعامة وانما نقتصر هنا على المسائل المقررة اليوم والتي يعترف بها العلم

ان جميع الغرائب التي تعرض للانسان نظراً على شعورهِ فيحسهُ او يعلم بما هو لوق طائفة مشاعرهِ وادراكهِ في حالتهِ الاعتيادية وتنحصر جميعها في ما نسميهِ هنا على وجه الاطلاق بالتخيلات وان اختلفت مسمياتها بحسب مدلولاتها وذلك بقطع النظر عن صحتها وعدمها لانها في اعتقادنا صحيحة كلها سواء طابقت الواقع كأن يرى الانسان وهو في مكان صورة صديق لهُ في مكان آخر مثلاً اولم تطابق الواقع كأن يحلم انهُ طائر في الجوّ كما يحصل كثيراً للاطفال في احلامهم وهم نيام . فكلاهما تخيّل حاصل لا يجوز للعلم ان ينفيهُ لئلا يتلجلج في تعليلهِ وكلاهما شعور حقيقي وان اختلف سببهما كما سيجيء

وما اطلقت اسم التخيلات على كل هذه الغرائب مع قطع النظر عن اسبابها الظاهرة والباطنة والبعيدة والقريبة الا لانضمامها تحت اسم جنس باعتبار ان اصلها واحد يسهل تعليلها وهي تشمل احلام النوم واحلام اليقظة كرؤية الاشباح وسماع الاصوات والاحساس باللمسات ومناجاة النفس التي يطلقون عليها اسم مناجاة الارواح وقراءة الافكار والوقوف على الانباء البعيدة وغير ذلك مما هو خارج عن مألوف الحواس والادراك وبالحقيقة كلها في الغرابة سواء والذي يستوقف النظر في احدها يجب ان يستوقفهُ في الآخر فليست قراءة الافكار باغرب من الاحلام ولا مناجاة الارواح باغرب من تخيل سماع الاصوات وكلها من مصدر واحد

وقبل التوسع في الموضوع لا بدَّ لي من التنبيه الى ان كل ما يقال عن الانباء بالمستقبل لا حقيقة لهُ مطلقاً الا ما كان منهُ في حكم الواقع كان ينبيء الانسان بامرٍ مقبلٍ يشرف على امر حاصل وهذا يدخل حينئذٍ في موضوع البحث في ما هو كائن في الحال حقيقة مثال ذلك — كان عندي مريض منذ عشرين سنة وكان بهِ اختلاط ذهن هستيري طال بهِ اكثر من شهرين تقلّب المريض فيهما على حالات مختلفة اظهر فيها عدَّة غرائب منها انهُ عرض لهُ في طور من اطوار مرضهِ رعاف تكرَّر مراراً عديدة في اول الامر لم نكن ندري

بالرعاف الاّ من مشاهدته ولكن بعد ان تكرّر صار المريض ينبّه به وبمقداره تقريباً قبل حصوله بنحو اربع وعشرين ساعة وكان انباؤه يصدق وتعليل ذلك بسيط لان الرعاف الذي كان يحصل لم تكن هيئاته تقع في الحال بل لا بد انهُ كان يسبقهُ بعض تغيرات احتقانية وغيرها فصار المريض اول ما يشعر بها يعرف انهُ سيعقبها رعاف فينذر به ومن شدتها وخفتها ينذر بمقدار الدم الذي سيرعفهُ فانباؤهُ هذا ليس انباء بالمستقبل بل تقرير للواقع ولذلك كل ما تسمعهُ من قبيل الانباء بالمستقبل ان لم يكن لهُ مثل هذه المسوّغات مما يجعلهُ انباء بالواقع حقيقة فهو مخرفة ودجّل من قائلهِ

وما نبّهت الى ذلك الاّ لخلط الناس والعلماء انفسهم في هذه الغرائب واعتقادهم بان الانباء بالمستقبل من الامور المقرّرة الداخلة ضمنها . واعجب من ذلك اني قرأت من مدة قريبة في احدى المجلات الفرنساوية بحثاً لطبيب في هذا الموضوع وقد عدّ فيهِ الانباء بالمستقبل من الامور الداخلة فيهِ وهذا جهلٌ فادح يُستعظم خصوصاً من طبيب يجب ان يكون ملمًّا بنواميس هذه الغرائب لان هذه الغرائب لا تحدث اعتباطاً كما يتوهم بعضهم بل تعرض للناس بناء على نواميس مقررة لا تُعرف عنها سواء كان في الصحة او المرض وتسير فيهما بانتظام على حدٍّ سوى

فنحن الان بين اقوال ثلاثة من ذوي المقام في الادب والعلم : تصريحات ستد الذي يزعم انهُ يكتب احياناً متأثرًا تحت سلطان الارواح وانهُ رأى صورة ابنهِ المتوفى وسمعهُ يخاطبهُ . ونفي العالم الرياضي نيوكم لهذه الغرائب ونسبة بعضها الى هواجس لم يمعن بالبحث عن سببها وانما نسب صحتها في بعض الاحيان الى مجرّد الاتفاق باعتبار انها من الامور الممكنة . وتسليم العالم الطبيعي السر اوليفر لدج بحصول هذه الغرائب من تفاعل العقول او النفوس بناء على مبدإ التليثيا وميلهِ الى ترجيح سببها الروحاني مما يجعل صدقها نتيجة للشعور بامر واقع لا اتفاقاً . وقد حاول ان يثني نسبتها الى الاتفاق باحصاءات تنفي الصدفة وتؤيد الارتباط السببي في زعمهِ

والحقيقة ان كلاًّ منهم على صواب وخطاء في آنٍ واحد . فستد صادق في قولهِ انهُ رأى صورة ابنهِ وانهُ يشعر في نفسهِ بانهُ يكتب احياناً تحت سلطان شخص آخر . وانما هو مخطئ في ادعائهِ ان ذلك من فعل ارواح غريبة عنهُ ولو درى انهُ مستهوىً استهواه ذاتياً من جهة ومتخيل من جهة اخرى ما في ذاكرتهِ من المحفوظات لاسباب معلومة لنا اليوم جيدًا من درس نواميس الجهاز العصبي في الصحة والمرض بما عبّرنا عنهُ هنا بمناجاة الاحلام وقرع

الاوهام " لما كان في قوله شيء يؤخذ عليه . ونيوكم مصيب في نفيه التفاعل الروحاني عن هذه الغرائب ولكنه مخطيء في انكاره سببها الطبيعي وتعويله في صدقها على الاتفاق وحده وان كان للاتفاق دخل في بعض الاحيان . واوليفر لدج مصيب في ان هذه الغرائب تجري على نواميس معلومة لنا اليوم بالتقريب ولكن خطاءه في نسبة ذلك الى تفاعل العقول او الارواح لا يغتفر لاسيما وان في المعلومات الطبيعية اليوم مندوحة لنا عن الخروج بها الى مثل هذا التعليل الغريب

وقد وقعت انا نفسي منذ ثلاث وثلاثين سنة في نفس الخطاء الذي وقع فيه اليوم نيوكم بتعليل صدق هذه الغرائب بالاتفاق وذلك في حادثة طبيب انكليزي زعم انه سمع وهو مار في لندن بالقرب من بيت احد اصدقائه الذي كان يومئذٍ بمدينة حلب صوت صديقه هذا يناديه ثلاثاً ثم علم عند وصول البريد ان صاحبه كان في تلك الدقيقة يحتضر . وقد تناولت هذا النبأ في ذلك العهد الجمعيات النفسية في انكلترا ودرّبت به كثيراً حتى ان الجمعيات العلمية شاركتها في هذا البحث وكتبت الجرائد فيه مقالات ضالية . وكنت يومئذٍ في الاستانة فاطلعت في جريدة " الكوريه دوريان " على فصل طويل عقدته جريدة " الكونستيتيسيونال " الباريزية لهذا الموضوع ونقلته عنها جريدة الاستانة المذكورة جاء فيه كاتبه على امور كثيرة من حوادث التخيلات الغريبة نسل اكثرها مما وقع لبعض مشاهير الرجال في التاريخ كنابوليون وقيصر وسواهما من انهم كانوا يرون اشباحاً ويسمعون اصواتاً تخاطبهم لا حقيقة لها في الظاهر وذهب الى انها من الغرائب التي لا تدرك . فكتبت في ذلك الحين رداً عليه باللغة الفرنساوية نشر في جريدة " الكوريه دوريان " المذكورة في ٢٥ اكتوبر سنة ١٨٧٦ ونقلته الى العربية مجلة الطبيب في بيروت . وقد حاولت في هذا الرد ان ادفع عن مثل هذه الحوادث كل غرابة غير طبيعية مستنداً في ذلك الى علم امراض العقل وما يعرض من التخيلات وانخداع الحواس في الجنون وفي سائر الحالات العصبية التدريجية التي بين الصحة والمرض وحصرت تعليل ذلك بما سميته هنا فرع الاوهام ويراد به فرع محفوظات الذاكرة لمراكز الحواس بالارتداد من الباطن الى الظاهر وذلك في الاعصاب المتهيجة المنصرفة الى التفكير في موضوع ما او الملتفتة اليه لمناسبة ما كمناسبة المرور بالبيت الباعث على التذكر بصاحبه . وعللت صحة النبإ اذا صدق قائله بما يأتي :

" والاعتراض الذي يوجه الى ذلك في مثل هذه الاحوال هو هذا : لماذا تتم الامور احياناً كما تنبيء عنها او توحي بها التخيلات ؟ والجواب على ذلك وعلى الاحلام ايضاً بسيط

وهو ان كل ممكن قد يتحقق احياناً ولكنهُ لا يتحقق دائماً ولذلك كانت اكثر التخيلات لا تتم حقيقة "اهـ . اي انني علمت ما يصحُّ منها بالاتفاق كما علمهُ نيوكم الآن ولكن الخطأ الذي كان يفتخر حينئذٍ لا يفتخر الآن بعد ان تقدمت العلوم الطبيعيَّة وباثولوجية الامراض العصبيَّة هذا التقدم الباهر

وازيد على ذلك اليوم بقولي ان غير الممكن لا يتحقق مطلقاً كأن يحلم الانسان انهُ طائر في الجو او ساقط من مكان عالٍ وهو لم يسقط فلا يمكن ان يكون مثل هذا الحلم موعزاً بهِ من الخارج او معبراً بهِ عن حقيقة واقعة مع ان صاحبهُ يحس ويرى انهُ كذلك . ويعلل في الاول بفرع الاوهام لذاكرتهِ وتجسمها لدى حواسهِ بما يكون قد ذكر لهُ في طفوليته من مثل هذه الاخبار السقيمة وغيرها من الخرافات السخيفة التي يغشون بها دماغ الطفل . وتعليلهُ في الثاني تعب طرأ على الجسم وهو ناتج من وضع او سوء هضم وبانتقال الافكار الى المناسبات والحواس في كل انتقل "به الشعور" من ضيق الى ضيق الى هول السقوط

ولكن هذا التعليل وان انطبق على الانفعالات الذاتيَّة المتحكمة من الباطن وصح على كل التخيلات الذاتيَّة التي تعرض للانسان في الحلم واليقظة من رؤية الاشباح الى مناجاة الارواح التي هي عبارة عن مناجاة احلام الانسان نفسهِ بناء على ناموس فرع تحضرات الذاكرة للاعصاب المتهيجة وناموس الاستهواء الذاتي الا انهُ توجد حالات أُخرى مصدرها خارجي محض لا ينطبق عليها هذا التعليل . وتعليل صدقها بالاتفاق وحدهُ لا يكفي مثل تراءة الافكار والعلم عن بعد مما هو مقرر اسرهُ في العلم ولا يجوز الشك فيه اليوم

على ان العلوم الطبيعيَّة والعلوم الباثولوجية العصبية قد تقدمت كثيراً من ذلك العهد واكتشفت غرائب كثيرة فيها غير خارجة في اعمالها عن نواميس الطبيعة حتى صار يجوز لنا فهم اكثر اعمال العقل غموضاً واستنتاج المجهول بناء على المعلوم

غير ان المتعصبين من العلماء — وما اصعبهم لضعف البينة بل لاقتصارهم في البحث على الجزئيات ولقلة تعويلهم على الاستقراء في الكليات — لا يزالون يميلون الى نسبة هذه الغرائب الى امور غير طبيعيَّة مع علمهم الاكيد انها في غرابتها تسير على نواميس معلومة كغرائب الامراض العصبية مثلاً انقياداً لاوهامهم التي ورثوها ابًا عن جد . وبعضهم يتصاغ اضطراراً الى التسليم بطبيعتها المادية ولكن ما رسخ في ذهنهِ بالوراثة يحملهُ على الوقوف موقف المتردد غير الجازم متوقعاً ان يكشف لهُ العلم نواميس طبيعيَّة جديدة غير معروفة لهُ اليوم . ولو تدبر هذا المتردد والمتمني في سره فشل العلم في نفي امانيهِ لعلم أنهُ لا ينتظر ان يكتشف في الطبيعة

من يوم عرف ناموس تحول القوى نواميس جديدة اصولها الطبيعية مجهولة بل كل ما ينتظر انما هو زيادة التوسع في معرفة تحولات هذه القوى واستخدامها لغرضنا بناء على انها هي والمادة من اصل واحد. والمعلوم اليوم من هذه التحولات البديعة من حركة الى حرارة الى نور الى كهربائية الى اشعة رنتجن الى اشعة الراديوم الى الاشعة الكيماوية التي ترقق الاجسام وتشفها واستخدام ذلك لنقل الاصوات بالتلفون وحفظها بالفونوغراف وخزن حركاتنا في السينماتوغراف ونقل اخبارنا في الفضاء بتلغراف مركوني ونقل المرئيات الى بعد كل ذلك كاف لان يجلو لنا اليوم اشد هذه المسائل غموضاً . واذا اضفنا الى ذلك علمنا بان العالم لا فراغ فيه وهذا يستلزم ان لا يضيع فيه شيء بل يحفظ فيه ويتحول ليجيئنا ليس من عروض هذه الغرائب لنا احياناً بل من عدم عروضها لنا غالباً لان عروضها هنا هو الشاذ وعدمهُ كان يجب ان يكون الشاذ فاذا كان عروض هذه الغرائب لا يتيسر دائماً فلحوائل طبيعيةٌ ازال العلم الطبيعي اليوم كثيراً منها وايدهُ علم بيكولوجية الدماغ والامراض العصبية نفسها كما ابنت ذلك في مجلد السنة الثالثة من مجلتي الشفاء في حادثة اختلاط ذهن هستيري من اغرب ما وقع لي ولسواي ايضاً

وبالحقيقة ان اثر كل حركة مادية او نبضة فكر يجب ان يصل الى كل شيء ويجب ان يحس بهِ كل شيء بناء على ناموس حفظ القوى واذا كنا لا نشعر بهِ دائماً فلاسباب مادية اما لضعف في حواسنا واما لضعف الاثر نفسهِ وتبدده قبل وصوله الينا فاذا امكننا ان نقوي مشاعرنا او نزيل الحوائل الأخر لم يصعب علينا ان نقف على كل ممتنع علينا في حالتنا الاعتيادية . وقد جاءت الاكتشافات المذكورة سابقاً مؤيدة لذلك كما قلت في الشفاء من ان لا بد لكل فعل من فاعل وقابل وناقل وقد تمكنا بالتلفون من تقوية الناقل ووقفنا من قراءة الافكار على قوة القابل وتمكنا كذلك بتلغراف مركوني من تقوية الفاعل والقابل معاً وعرفنا كذلك ان هذا القابل قد يشتد تأثرهُ جداً في بعض الحالات العصبية المرضية الى حد ان الانسان يقدر ان يعلم عن بعد شاسع حركات سواهُ ويسمع كلامهُ كأنهُ على كتف منهُ ولكن يشترط في ذلك شروط تجعل هذا العمل خاضعاً لنواميس معلومة نظير سائر النواميس الطبيعية كأن لا يدرك الانسان الاَّ حركات اشخاص معلومين لهُ بهم علاقة معلومة ولو بهما ابعدوا عنهُ ولا يدرك حركات سواهم ولو كانوا بالقرب منهُ لان اعصابهُ تكون متكيفة لقبول تأثيرات اولئك لشدة الاشتغال بهم خلافاً لهؤلاء

واذا كان هناك محلٌّ للشك فدرس غرائب الامراض العصبية الهستيرية كاف لان يزيلهُ اذ أثبت استطاعة الانسان لان يتأثر بالمؤثرات الخارجية فيرى عن بُعد شاسع صور

الاشخاص ويسمع كلامهم بما يفسّر لنا جيدًا شدة تهيج القابل فيهم حتى يصير يحسّ بما لا يحسّ به الانسان عادة ولان يفسّر لنا كذلك حقيقة التخيلات الذاتية الصادرة من الباطن والتي هي سبب وهم مسند والشياعر بان ارواحًا تخاطبهم او انهم يفعلون متأثرين بسلطان غيرهم

فلا يخفى ان اصحاب المرض العصبي المستيري موصوفون بقوة الذاكرة حتى ان في وسع بعضهم في هياج مرضهم ان يذكروا ادق دقائق ما جرى لهم في حياتهم كأن الذاكرة آلة فونوغرافية سيناتوغرافية حقيقية ينطبع على صفحاتها كل ما يمرّ بها من كلي وجزئي فاذا عرض ما هيج هذه الصفحات بدا ما كان كامنًا فيها كأنهُ ابن يومهِ . ومن اغرب ما اتى به المريض الذي اشرت اليهِ وذكرت حكايتهُ في الشفاء انهُ في اثناء مرضهِ الذي دام بهِ اكثر من شهرين ذكر تاريخ حياتهِ بالتفصيل والاعجب انهُ ذكر وقائع دعوى كانت لهُ في المجالس دامت ثلاث سنوات تم خسرها وكانت خسارتهُ لها سببًا لاستيلاء المرض العصبي عليهِ بعد ذلك على الفور . حتى انهُ ذكر المرافعات التي جرت فيها امام القضاء كأنها منقولة بالحرف وبفصاحة تفوق طورهُ جدًّا في حال الصحة . فليس بدعٌ ان يكون سبب التخيلات التي من مصدر باطني والتي تجعل الانسان في بعض احوال خصوصية يسمع ويرى ويلمس ما ليس لهُ حقيقة في الظاهر فزع الذاكرة نفسها للحواس المتهيجة كما في الجنون وما دونهُ من احوال اضطراب العقل بالمؤثرات المختلفة في الاعصاب المتهيجة وهي درجات كثيرة بين الصحة والمرض . ومعلوم كذلك امر الاستهواء الذاتي حتى تصير احلام الانسان لديهِ حقائق وحتى يصير بالنظر اليها بوجدانين متباينين بحسب سرعة تقلب احوالهِ العصبية يسمع حينما يخاطب الآخر وكثيرًا ما يشعر الواحد انهُ تحت سلطان الآخر يأتمر بأمرهِ حتى يزول منهُ الاضطراب العصبي الكلي كما في الجنون والجزئي كما في الاحوال المستيرية المتخيلة بحسب نوعها فيرجع انسانًا اعتياديًّا لا يتأثر بغير ما يتأثر بهِ الناس عادة . ومن هؤلاء طائفة من الناس ليس بهم جنون حقيقي او ظواهر هستيريَّة ظاهرة للعيان بل بهم من كل ذلك ظاهرة واحدة مقتصرة على امر واحد فقط وهي تهيج مركز واحد من مراكز قوام العصبية بحيث يتسخر الاستهواء فيهم على فكر واحد او شعور واحد كما هو شأن سند واضرابهِ في اعتقادهم انهم يكشفون او يعملون عملاً تحت سلطان شخص آخر غريب عنهم . ولا شك ان كثرة اشتغال العقل بموضوع يخافهُ او يهواهُ تهدهُ لاستيلاء مثل هذه الحالة عليهِ واحداث الاضطراب الشديد في جزء من اجزاء دماغهِ مع سلامة باقيهِ كما هو مشاهد كثيرًا في عموم الناس لمن يتدبر ذلك كما ينبغي

والحاصل ان الحوادث الغريبة من مثل التي ذكرها سند ليست بالحقيقة عجائبًا خالية من سبب طبيعي معلوم كما يذهب بعضهم ولا هي وحي او شبه وحي كما يذهب كثيرون وانما هي تخيلات الذاكرة لمعلوماتها الباطنة او تأثر الحواس تأثرًا قياسيًّا بالمؤثرات الخارجيَّة البعيدة الطبيعيَّة لوجود كل من المؤثر او ناقل التأثير او قابله او كلهامعًا في احوال خصوصية تزيل من بينها كل حجاب كان يحول دون الشعور بما يلزم الشعور به في كل الاحوال لولا تلك الموانع العارضة والتي ازال العلم الطبيعي وعلم الطب كثيرًا منها . وعليه فليس غريب في كل هذه الغرائب التي انجلت لنا اسرار جلها ان لم نقل كلها سوى غرابة الله عروضها لنا وخصوصًا طفورنا في تعليلها الى غرابة اغرب منها لا اساس لها الا نقل لا ينطبق على علم ولا يجيزهُ عقل حرصًا على مقتضيات اوهام ومقتضيات احلام الدكتور شبلي شميل

تولُّد السمع والبصر

هل السمع والبصر مولدان تولُّدًا بالنشوء الطبيعي . هل الاذن والعين وما فيهما من دقة الصنعة وإحكام التركيب قد تولَّدتا تولدًا بالتنوُّع الطبيعي وبقاء الاصلح كما تولد التفاح البستاني الكبير الثمر الحلو الطعم الذكي الرائحة من التفاح البري الصغير الدميم الحامض . او كما تولدت كل انواع الحيوان والنبات حسب رأي علماء الطبيعة . او هما مخلوقان بادئ بدء في الانسان وفي كل انواع الحيوان كما تراهما الآن

ان علماء الطبيعة يقولون لك ان العين والاذن مولدتان تولدًا بالنشوء الطبيعي المستمر فقد كان زمان لم تكن العين ظاهرة فيه ولا كانت الاذن بارزة ولا كان فيهما شيء من التركيب ودقة الصنعة التي تراها فيهما الآن كما سيجيء

والصوت الذي تشعر به الاذن والنور الذي تشعر به العين كلاهما اهتزاز يصل الى السماع الاول بواسطة الاذن والثاني بواسطة العين لكن اهتزاز الصوت بطيء ولا بدَّ له من مادة جامدة او سائلة او غازية يقوم بها فلا يسير في مكان خالٍ من المادة . واهتزاز النور سريع جدًّا ويسير على جناح الاثير الذي يقال انهُ موجود في كل فراغ وبين دقائق الاجسام

والجلد يشعر بالاهتزاز . وهو في الحيوانات الدنيا التي ليس فيها اعضاء خاصَّة بالبصر ولا بالسمع يشعر باهتزاز النور واهتزاز الصوت . اي ان تلك الحيوانات تستدلُّ على الصوت والنور بجلدها . فاذا اتفق ان اخصر شعورها هذا في بعض اجزاء جلدها فذلك انفع لها على

مبدأ تقسيم الاعمال كما اذا اختص قوم بنسج الثياب او ببناء البيوت او بتطييب الاجسام فذلك اصلح للقبيلة من ان يعمل كل واحد من رجالها بنسج ثوبه وبناء بيته وتطييب جسمه لان الحيوان الذي يحصر شعوره بالشور والصوت في بعض اجزاء جلده يشتد شعوره هذا فيصير هو اقدر من غيره على تحصيل المعيشة والقاء الاعداء واخلاف النسل فيقوى هذا الشعور في نسله. وعلى هذا الاسلوب زادت هذه الاجزاء نموًّا والتقاطًا الى ان تكونت الاذن والعين وانحصر الشعور بالصوت والنور فيهما

وهذا القول ليس من قبيل الفرض الذهني ولا التعليل النظري بل هو من الامور التي تقوم الادلة عليها. فاذا دخلت دارًا من دور الآثار الصناعية ورأيت انبوبة لها ثقب من جانبها ومعها كرة صغيرة من الحجر وهي تحشى بارودًا ويوضع الحجر فيها ثم توضع جمرة على الثقب حتى يشتعل البارود ويدفع الكرة الحجرية. ورأيت بعدها بندقية ذات زناد وصوانة ورصاصة بدل الحجر. ثم بندقية ذات دبك وكبسول. ثم بندقية كثيرة الطلقات مما يحشى من خزنتها استنتجت ان البنادق نشأت على هذه الصورة وتدرجت من انبوبة بسيطة الى ان صارت مثل بنادق هذه الايام. وقد ترى درجات هذه البنادق مستعملة حتى الآن عند الامم المختلفة حسب درجات ارتقائها فترى البندقية ذات الزناد والبندقية ذات الكبسول والبنادق ذات الابرة على اختلاف انواعها مستعملة عند الامم المختلفة فلا يبقى عندك ريب في نشوء البنادق وتدرجها في الاتقان. وقس على ذلك الاحذية والاثواب والسفن والمركبات وكل مصنوعات البشر فانها كلها نشأت من مبادئ بسيطة وتدرجت في الاتقان ولا تزال آثارها بين الامم المختلفة دلالة على هذا النشوء والارتقاء. فاذا وجدنا في انواع الحيوان ادلة مثل هذه على نشوء العين والاذن اضطررنا بحكم القياس ان نستنتج نشوءها وهذه الادلة موجودة في انواع الحيوان وفي الانسان ايضًا فان اذنه وعينه تتدرجان الآن في تكونهما وهو جنين في بطن امه كما تدرجتا في اسلافه كأن حياة الجنين تاريخ مختصر لحياة السلالة البشرية من اول نشوئها الى الآن

﴿ الاذن ﴾ ابسط انواع الاذن ما يوجد في بعض الحيوانات الثانية المعروفة بالسمك الجلاتيني فانها فيه كيس بسيط مفتوح او مسدود مكوَّن من الحويصلات الجلدية وبعض هذه الحويصلات قد تنوَّع قليلاً ونمت منه نوائي دقيقة كالشعر واتصلت من اسفلها بعصب متصل بالمجموع العصبي. وفي الكيس ماء وفيه غالبًا حصوات صغيرة فاذا بلغ الاهتزاز الصوتي الى ظاهر هذا الكيس اوصله الماء الذي فيه الى النتوءات الشعرية واتصل منها الى العصب

واتصل بواسطة العصب الى المجموع العصبي فيشعر الحيوان باهتزاز الصوت · في هذه الاذن البسيطة كل الامور الجوهرية التي في الاذن المركبة مهما بلغت من الاتقان كما ان البندقية القديمة التي يشعل بارودها بالمشعل او بالجمرة وتخشى بالبارود وبندق الحجر فيها كل الامور الجوهرية التي في بندقية هذه الايام

والكيس المشار اليه يتنوع كثيرًا في الحيوانات العليا وتكثر تعاريجهُ واقنيتهُ وتصير منهُ الاذن الباطنة ويضاف اليها اجزاء ثانويَّة كغشاء الطبلة والعظيمات الثلاث والاذن الظاهرة التي فيها الصماخ فتدخل اهتزازات الصوت من الصماخ وتهز الطبلة فينقل الاهتزاز الى العظيمات المشار اليها والى دهاليز الاذن الباطنة والسائل الذي فيها ومنها الى العصب السمعي فمركز السمع في الدماغ وهي كلها تنوعات عديدة نشأت مع الزمان جريًا على الناموسين الطبيعيين ناموس التنوُّع المستمر وناموس بقاء الاصلح

الشكل الاول

ترى في هذا الشكل اربعة رسوم بسيطة للاذن في درجات ارتقائها فالرسم الاول تحت الحرف ا انخفاض بسيط في الجلد وهو يفرق عن سائر الجلد في انهُ صار تجويفًا لجمع الصوت فيصير الشعور باهتزاز الصوت هناك اشد مما هو في اي جزء آخر من سطح الجلد صغتهُ مثل صغتهِ وهو مثل أذن بعض الحيوانات المائية

وفي الرسم الثاني تحت الحرف ب انحنت الحويصلات الجلدية في التجويف واستطالت حتى يكثر العدد المعرَّض منها لاهتزازات الصوت فيزيد شعورها بهِ

وفي الرسم الثالث اتصل التجويف من اعلاهُ وامتلأ سائلاً واتصل اسفل الحويصلات الجلدية بالالياف العصبيَّة وغار التجويف تحت الجلد فصارت الاهتزازات الصوتية تقع عليهِ فتنتقل بالماء الذي فيهِ الى الحويصلات السفلى ومنها الى الاعصاب · اي صار هذا التجويف يقرِّي اهتزازات الصوت مثل الطبل المشدود

وترى في الرسم الاخير ما يمثِّل الاذن الكاملة التركيب كاذن الانسان فعند الحرف

ه القناة السمعية او الصماخ وعند الحرف و الاذن الوسطى التي فيها العظام السمعية وبينها وبين القناة السمعية حاجز رقيق وهو طبلة الاذن . وعند الحرف ز الاذن الباطنة وفيها سائل يقال لهُ اللمفا الباطنة وحولها سائل آخر يقال لهُ اللمفا الظاهرة . وتحت الحرف ح جزء من الدماغ والموصل بينهُ و بين ز العصب السمعي

فاذا وصلت اهتزازات الصوت الى الاذن دخلت من الصماخ ه الى القشاء الطبلي فاهتزَّ بها واتصل اهتزازهُ بالعظيمات التي في الاذن المتوسطة فتهتز ويصل اهتزازها الى السائلين اللذين في الاذن الباطنة والاعصاب الموزعة فيها وهناك تجاويف كثيرة لا محل لشرحها هنا والغرض منها تقوية الصوت ومعرفة جهاتهِ ودرجاتهِ . وتفصيل ذلك من متعلقات علم الفسيولوجيا . واذا شرَّحتَ جنين الانسان من اول تولدهِ الى ان يبلغ اشدهُ رأيت اذنهُ تتدرَّج في تكونها على هذا النحو من البسيط الى المركب ومن الساذج الى المتقن مثلاً الدرجات التي مرَّت عليها وهي ترتقي في انواع الحيوان

الشكل الثاني

﴿ العين ﴾ وما قيل عن الاذن يقال عن العين فانها تكوَّنت اصلاً من تنوُّع حويصلات الجلد . وفي عيون الحيوانات الدنيا امثلة لتدرجها في الارتقاء من ابسط حالاتها الى اكملها . فابسطها انخفاض بسيط في الجلد كما ترى تحت الحرف ا في الشكل الثاني والحويصلات التي في اسفل هذا الانخفاض تشعر بالنور وتفرق بين النور والظلمة . وعين مثل هذه توجد في بعض انواع الحار البحري ثم يزيد هذا الانخفاض وتتقارب حافتاهُ كما ترى تحت الحرف ب فلا تعود اشعة النور تصل الى اسفل هذا التجويف الاَّ اذا اتت من جهة مخصوصة . ومعلوم ان الاشعة متى انحصرت رسمت صورة ما تأتي منهُ والاشعة الكثيرة الآتية من جهات مختلفة يختلط بعضها ببعض فتتشوش ولا ترسم صورة معلومة ويتضح لك ذلك من انك اذا دخلت غرفة واقفلت بابها وكان في الباب ثقب صغير رأيت على الحائط الداخل المقابل لباب صور الاشياح

التي قدام الباب مقلوبة ولكنها تكون واضحة جدًّا اذ كان الثقب صغيرًا فاذا فتحت الباب كلهُ اختفت تلك الصور لان النور الكثير الداخل حينئذٍ يمتزج بالاشعة التي ترسم الصورة فتتشوش ولا تعود تظهر. ثم اذا زاد التجويف عمقًا وزادت فتحتهُ ضيقًا كما ترى تحت الحرف ج زادت الصور التي يرسمها النور فيهِ وضوحًا. ونرى في هذا التجويف ان العصب قد انتشر تحت المويصلات التي تتأثر بالنور. وتُرى عيون مثل هذه في الحمار الذي صدفتهُ تشبه الاذن وهو المسمى في عرف العلماء (هالبوتس)

ثم ترتفق العين فيتكوَّن فيها عدسية لجمع النور كما ترى حول الحرف و تحت الحرف هـ. والعدسية ترسم الصورة واضحة كما يرى في آلات التصوير الشمسي وتجمعها على الجزء الداخلي من باطن العين وهو الشبكية. واذا دققت عين الاخطبوط في نموهِ يرى انها تتشى على الدرجات المشار اليها آنفًا واخيرًا تتولد القرنية والقزحيَّة امام الرطوبة البلورية وتصير العين كما تراها في الانسان وفي اكثر الحيوانات

ويظهر من ذلك ان العين والاذن تولدتا من الجلد تولدًا بالتنوع والارتقاء المستمرين جريًا على النواميس الطبيعيَّة ولا تزالان تتكونان كذلك في كل فرد من افراد الحيوان كما تكونتا في نوعهِ والاَّ فلا معنى لهذا التدرُّج فيها

غرائب الجراحة

لا مشاحة في ان العلوم الطبيَّة تقدَّمت منذ خمسين سنة الى الآن اكثر مما تقدَّمت في كل عصور التاريخ الماضية. وسبب هذا التقدم اكتشاف اصل الامراض والآفات الميكروبي اي اكتشاف الاحياء الصغيرة الميكروسكوبيَّة التي تسبِّب الامراض الجسمية والآفات الجراحية لان هذا الاكتشاف جعل الاطباء يبحثون عن الاساليب التي تقي الجسم من تلك الميكروبات قبل وصولها اليهِ وتزيلها منهُ او تخفف وطأتها بعد دخولها فيهِ كما ترى في الوقاية من الجدري بالتطعيم ومن الحمى الملارية باستعمال البعوض الذي يوصل جراثيم الملاريا ومن تعفن الجروح بالنظافة التامَّة ومن الدفتيريا والكلب بالمصل المقاوم لها

وقد عثرنا على مقالة لجرَّاح اسمهُ كين (Keen) هو من اكبر جراحي اميركا ذكر فيها بعض الاعمال الجراحية الكبيرة التي عملت حديثًا ونجحت نجاحًا تامًّا وكان الاطباء قبلاً يحسبون ان عملها ضرب من المحال فرأينا ان نقتطف منها الفقرات التالية تنويهًا بمزايا الجراحة

وتشجيعاً للذين تقضي عليهم الادواء او الآفات بمثل هذه العمليات وهم يخافون نتائجها

جراحة القلب

لقد كان الراسخ في الاذهان حتى سنة ١٨٦٧ انهُ لا يمكن ان تعمل عمليةٌ جراحية في القلب لان كل من جُرح قلبهُ مات حتماً وان عاش فلا تطول حياتهُ الاَّ بضع ساعات او بضعة ايام. ولذلك قال الدكتور بلورث وهو اشهر جراحي اوربا في عصرهِ انهُ ما من جرَّاح يجسر على عمل عملية في القلب وهو يريد ان يبقى لهُ شأن في عيون اخوانهِ الجراحين. الاَّ ان الدكتور ريرنس الاميركي حاول منذ سنة ١٨٨١ ان يعمل العمليات الجراحية في القلب وامتحن ذلك في الحيوانات وكرَّر الامتحان سنة بعد سنة وجرى غيرهُ في خطتهِ الى ان نجحت اول عملية جراحية في القلب سنة ١٨٩٧. ومن ثم اشتدَّت عزائم الجراحين وبلغ عدد العمليات الجراحية التي اجروها في القلب حتى شهر يونيو الماضي ١٤١ عملية نجح منها ٦٤. وكل احد ولو لم يدرِ شيئاً من علم التشريح والجراحة يعلم ما في العمليات الجراحية القلبية من الصعوبة والتعرُّض لخطر الشديد فانها تستلزم شق الصدر وكسر عظمين او ثلاثة من عظامهِ وشق غلاف القلب من غير ان تصاب الرئة اليسرى وتنظيف ذلك الغلاف من الدم ثم عمل العملية في القلب والدم يشخب منهُ و يعمي البصر. هذه المصاعب اشد ما يلاقيهِ الجراح ومع ذلك فقد نجح الجراحون في ٤٥ في المئة من العمليات الجراحية التي عملوها في القلب ونسبة النجاح تزيد يوماً فيوماً

وقد حاول بعضهم الوصول الى القلب بشق البطن فنجحوا في ذلك والغرض من الوصول اليهِ قد يكون لاعادة فعلهِ اذا وقف بنتة بفعل المخدِّرات كالكلوروفورم والاثير فان من يعطى الكلوروفورم او الاثير لتبنجهِ في بعض العمليات الجراحية قد يقف قلبهُ من جرَّاء ذلك فيموت. واثبت احد الاطباء انهُ يمكن اعادة الحركة الى القلب بالوصول اليهِ وافراغ بعض السوائل فيهِ ولو مضى على سكونهِ بضع ساعات

والظاهر ان القلب من اشد اعضاء الجسم استمساكاً بالحياة ومن اسرعها عوداً اليها اذا فارقها او فارقتهُ. فقد أُخرجت قلوب الحيوانات من صدورها ووضعت في الثلج ٤٤ ساعة ثم ملئت سائلاً معدًّا لذلك فعادت اليها الحركة وعادت تخفق كأنها لا تزال في صدور تلك الحيوانات ودام خفقانها ثلاث ساعات. واستخرج الدكتور كوليكو قلب الارنب بعد موتها باربعة ايام وملأهُ بذلك السائل فعاد يخفق على جاري عادتهِ واستمرَّ خفقانهُ ساعات عديدة. واستخرج قلوب بعض الموتى من الناس وملأها بذلك السائل فعادت تخفق ولما ثبت

ذلك اقدم الجراحون على اعادة الحركة الى القلب بعد سكونهِ . وقد ذكر بعضهم ٣٩ عملية من هذا القبيل عادت الحياة في ١٢ عملية منها بعد ان فارقت الجسد حسب الظاهر

ولم يكتفِ الجراحون باستخراج القلب من الصدر واعادة الحركة اليهِ بعد سكونهِ بل شقوهُ وعملوا العمليات الجراحية في صمامهِ . وكان مرض الصمامات من الامراض التي لا يرجى لها الشفاء اما الآن فصارت سكين الجرّاح تصل اليها وتشفيها بعد ان تمرّنت على ذلك في الحيوانات

ومنذ ثلاث سنوات رأيت الدكتور كرل يُميت كلبًا بالكلوروفورم حتى مات وكنت واقفًا الى جانبهِ وساعتي في يدي فلما انقطع نفس الكلب تمامًا وسكن نبضهُ ومضى على ذلك ربع ساعة حقنهُ في الشريان السباتي بمذوب الملح والادرنالين (خلاصة الغدّة التي فوق الكلية) وضغط صدرهُ مرارًا فعادت الحياة اليهِ وجعل يتنفس على جاري عادتهِ . وقد أعاد الحياة على هذه الصورة الى بعض الحيوانات بعد موتها بخمس وعشرين دقيقة . فاذا اثبتت التجارب التالية صحة هذه العملية في الانسان ايضًا فهي اسهل واسلم من شق الصدر او البطن للوصول الى القلب

جراحة الشرايين

تنتقل من القلب الى الشرايين التي تنقل الدم منهُ وتوزعهُ في كل اجزاء البدن . فلا يندر ان تُمزق الشرايين او تُقطع باطلاق الرصاص او ضرب السيوف او بغير ذلك من العوارض . وقد كان الاسلوب المتّبع في هذه الاحوال اذا كان الشريان من الشرايين الكبيرة ان يشق العضو الذي فيهِ الشريان او الوريد الى ان يوصل اليهِ ويربّط من فوق الجرح ومن اسفلهِ فاذا كان الشريان مما يصل الى اليد او الى الرجل فالغالب انهُ كان ينتج عن ربطهِ حدوث التنفرينا في اليد او الرجل

واذا انشق الشريان كما يحدث احيانًا لضعف في جدرانهِ فلم يكن سبيل الى دفع الموت من نزف الدم كلهِ الاّ بالوصول اليهِ وربطهِ لكن ربطهُ لا ينجي من الموت دائمًا لانهُ قد يحدث من ربطهِ غنغرينا فتموت المصاب . اما الآن فقد تمكّن الدكتور متاس من ربط الشريان بزمّ جدرانهِ اي بخياطتها حتى تبقى فيهِ قناة ضيقة يجري الدم فيها فيدفع الموت وتمنع التنفرينا . وقد عملت هذه العملية في ٨٥ شخصًا حتى يونيو الماضي فشفي منهم ثمانية وسبعون وأكثر هذه العمليات في اميركا

واذا قطع الشريان قطعًا بسيف او برصاصة كما يحدث كثيرًا لم يتعذر على الجراح الآن

ان يجمع الطرفين المقطوعين ويخيطهما . واول من فعل ذلك الدكتور روبرت اب من جراحي نيويورك فانهُ فتح بطن قطة وقطع شريانها الاورطي الكبير ثم ادخل فيهِ انبوباً دقيقاً من الزجاج المطهَّر وخاط طرفي الاورطي حول الانبوب واري تلك القطة لاعضاء الجمعية الطبية في نيويورك بعد اربعة اشهر واذا هي سليمة سمينة كأن لم يصبها شيء . وقطع يد كلب وابقاها عالقة بشريان ووريد لا غير ثم خاط طرفي عظمها بسلك من المعدن وخاط اطراف عضلاتها واعصابها الخ واحاط اليد بجبار من الجبس فجبرت تماماً وصارت كاختها . ولا يخفى ما في وصل الشرايين والاوردة المقطوعة خياطةً من الصعوبة لئلا يتجمع الدم في الطرف المخيط ويسدهُ ولكن الجراحين الماهرين تغلبوا على كل المصاعب وهم يخيطون الشرايين والاوردة الآن كما يخيطون الجلد وقد تمكنوا بذلك من عملية اخرى وهي نقل الدم من شخص الى آخر من غير ان يتغيَّر وتجري جلطة متهُ فتسد شرياناً من شرايين الرئة وتقطع الدورة الدموية . ولشدَّة ما في ذلك من الخطر لم تشع عملية نقل الدم قبلاً بل كان الاطباء يبدلون الدم بمذوَّب ملحي نيقي بالمراد في بعض الاحيان . اما الآن وقد صار في الامكان ان يخاط وعاء دموي بوعاء آخر فصار يسهل نقل الدم الشرياني النقي من شريان انسان الى وريد انسان آخر من غير ان تتكوَّن فيهِ جلطة دموية

مثال ذلك انهُ ولد لاحد الاطباء المشهورين طفل وبعد ولادتهِ جعل الدم ينزف نزفاً شديداً من فيهِ وانفهِ ومعدتهِ وامعائهِ . واستعملت كل وسائل العلاج المعروفة لقطع النزف فلم تفلح واشرف الطفل على الموت فاستدعى ابوهُ الدكتور كرل واستلقى الى جانب طفلهِ فعرَّى الدكتور كرل شريانهُ من ذراع الوالد وخاطهُ بوريد في ساق الطفل وجرى الدم من الوالد الى ولدهِ فلم يكن الاَّ بضع دقائق حتى احمرَّ جلد الطفل بعد ان كان اصفر شفافاً وانقطع النزف من كل جسمهِ حالاً ولم يعد وانتقل من الموت الى الحياة دفعةً واحدةً وقام معافى

وقد يرى الجرَّاح مريضاً ضعيفاً جدًّا لا يحتمل جسمهُ ان تعمل فيهِ عملية جراحية فيمتنع عن عملها لانهُ يعلم ان المريض يموت تحتها لضعفهِ فاذا استطاع ان ينقل الى جسمهِ دماً كافياً لم يبقَ خطر من عمل العملية

رأى الجراح دونس ولداً عمرهُ سنتان وفي احدى كليتيهِ خراج كبير جدًّا يملأ نصف بطنهِ الايسر وقد انحطَّ مقدار الكريات الدموية الحمراء في دمهِ الى درجة ٤٥ في المئة بالنسبة الى الحالة الصحيَّة وكان نبضهُ سريعاً جدًّا وضعيفاً وقابليتهُ ضعيفة فاخَّر العملية اياماً

لعلّ العناية تحسن حالة الولد ولكن جاء الامر على ضد ذلك لان حالتهُ زادت سوءاً وزاد الخراج حجماً فوصل بين وريد من اوردتهِ وشريان من شرايين ابيهِ وبعد اربعين دقيقة زاد مقدار الكريات الحمراء في دم الولد حتى صار ثمانين في المئة وامتلأ نبضهُ وتحسّن لونهُ واستخرج الخراج والكلية اليسرى في اليوم التالي وكان الخراج نحو نصف اقة وشفي الولد بعد شهر من الزمان وزاد وزنهُ اقةً

واراد الدكتور كرل ان يعمل عملية جراحية في امرأة نحيفة جدًّا فاجلس زوجها الى جانبها ووصل بين شريان من شرايينهِ ووريد من اوردتها ونجحا وعمل العملية فاحتملتها بسهولة ونجت عمّا كانت فيهِ ولم تكن نجاتها في رأي الدكتور كرل باقل من القيامة من الاموات

غرس الاعضاء

كان الجراحون يباهون بانهم يغرسون في الوجه انفاً جديداً بدل انف تشوّه وتلف . وذلك بسلخ قطعة من جلد الجبهة والصاقها في مكان الانف بعد قطعهِ حتى اذا التصقت بهِ قطع طرفها الذي كان لا يزال عالقاً بجبهتهِ . لكن هذه العملية كانت تشوّه الجبهة بابقاء ندبة كبيرة فيها مكان الشريحة التي قطعت منها ولا يكون الانف مستويًا لانهُ يكون خاليًا من العظم او الغضروف وقد نصيبهُ الفنغرينا قبلما يلتحم ويتمّ نبشوءُ الانسان جبهتهُ ولا يكتسب انفاً جديدًا . اما الآن فصار في الامكان غرس شرائح اللحم وغرس الاوردة والشرايين والعظام من غير ان تبقى عالقةً في المكان الذي نزعت منهُ ولا يحصل فيها غنغرينا ولا غيرها

مثال ذلك ما فعلهُ الجراح لكسر حديثًا وهو انهُ رأى رجلاً بست ركبتهُ ولم يعد في امكانهِ تحريكها لان مفصلها صار عظماً وكان يقطع ركبة رجل آخر لامر استدعى قطعها فقطع عظام الركبة اليابسة وابدلها بعظام الركبة السليمة التي قطعها من الرجل الآخر فالتحم العظم بالعظم وقام الرجل معافى

ورأى الجرّاح لكسر رجلاً زال انفهُ وكان يقطع ساق رجل آخر لآفة لا تتعلّق بعظم الساق فقطع قطعةً من ذلك العظم ونحتها حتى صارت كعظم الانف وثقب فيها ثقبين للمنخرين ثم قطع شريحة من ذراع الرجل الفاقد الانف وادخل العظم الذي نحتهُ تحتها وغطاهُ بها وبعد ثلاثة اشهر صار للرجل انف على ذراعهِ فيهِ عظم ولحم كالانف العادي ثم نقل هذا الانف من ذراعهِ وغرسهُ في وجههِ بدل انفهِ بقاء حسنًا كالانف الطبيعي ولم يتعرّض الرجل لجرح جبهتهِ وابقاء ندبة كبيرة فيها

ومن هذا القبيل توليد العظم من السمحاق الذي يحيط بهِ فقد اثبت الدكتور اولبشيه

انهُ اذا نقل سحاق العظم من حيوان الى حيوان اخر كوَّن فيهِ عظماً مثل العظم الذي كان معهُ

وفي نوفمبر من سنة ١٩٠٦ قطع الجراح كرل قطعة من الشريان السباتي من عنق كلب ووضعها في مكان مبرَّد درجة حرارتهِ من ٣٢ الى ٣٣ بميزان فارنهيت اي عند درجة الجليد وابقاها فيهِ عشرين يوماً ثم نقلها الى اورطي هرة ولا تزال هذه المرَّة حيَّة سليمة الى الآن. وفي شهر مايو سنة ١٩٠٧ قطعت قطعة من الشريان الاورطي من كلب وقطعة مثلها من شريان ساق رجل بتر ساقهُ وأُبدلت قطعة اورطي الكلب بقطعة شريان ساق الرجل ولا يزال الكلب سليماً معافى

وقطع الجراح عثري قطعة من وريد كلب ووضعها في الفورمالين وهو سائل بقي من الفساد وابقاها فيهِ ستين يوماً ثم وضعها في رقبة كلب آخر بدل قطعة قطعها من شريانهِ السباتي لقامت مقامها و بقي الكلب حيًّا

واغرب من ذلك كلهِ ان الجراح كرل قطع ساقي كلبين وبادل بينهما وخاط العظام والشرايين والاوردة فالتحمت ساق الكلب الواحد بالكلب الآخر. وفعل الجراحان كرل وعثري افعالاً اخرى من هذا القبيل فنزعا الكليتين من هرة وادخلاها في جوف هرة اخرى بدل كليتيها. واستخرجا الرحم من هرة ووضعاها بدل رحم هرة اخرى فعاشت الهرة الاولى بكليتين غير كليتيها والهرة الثانية برحم غير رحمها

ولم يقتصر الدكتور كين على ما تقدَّم بل ذكر غرائب الجراحة في شفاء السرطان اذا كان في اولهِ وشفاء المرض المعروف بالغواتر الذي يصيب الغدَّة الدرقية فتنتفخ بهِ الرقبة ويفضي الى الموت. وقال ان هذه النتائج الباهرة نتجت كلها من التجارب في الحيوانات لان التجارب فيها علَّمت الجراحين كيف يشغلون الناس في الاعمال الجراحية الكبيرة وفي كثير من الامراض والاوبئة. ثم قال ان التجارب في الحيوانات افادت في الامور التالية وهي

اولاً . اكتشاف طرق منع التعفن في الاعمال الجراحية

ثانياً . جعل العمليات الجراحية في المعدة والامعاء والكبد والمرارة والبنكرياس والطحال والكليتين وما اشبه من الامور الممكنة

ثالثاً . عمل العمليات الجراحية في الدماغ

رابعاً . معرفة كيفية انتشار المرض المعروف بالتتنوس او الكزاز وكيفية شفائهِ واتقائهِ

خامساً . تقليل الموت من الكسور المركبة من ٦٥ في المئة الى اقل من واحد في المئة. ويراد بالكسور المركبة التي يكسرها العظم ويجرح الجلد جرحاً واصلاً الى العظم المكسور

سادساً . تقليل الموت من عمليات نزع المبيض من ٦٦ في المئة الى اثنين او ثلاثة في المئة

سابعاً . استئصال الحمى الصفراء

ثامناً . شفاء كل حوادث الكلب

تاسعاً . تقليل الوفيات بالدفتيريا من ١٥٨ الى ٣٨ لكل عشرة آلاف من السكان

عاشراً . تقليل الوفيات من التهاب اغشية الدماغ والحبل الشوكي من تسعين في المئة الى ثلاثين في المئة

حادي عشر . معرفة سبب الداء القتال الذي يحدث من عملية القوائر ومنعهُ

ثاني عشر . ازالة خطر النفاس فبعد ان كان يموت اكثر من عشر النفاس لم يعد يموت واحدة من مئة منهن

ثالث عشر . معرفة سبب الملاريا وافعالها القريبة وطريقة استئصالها

رابع عشر . تقليل وفيات السل نحو خمسين في المئة

خامس عشر . نجاة المواشي من فتك البثرة الخبيثة والسقاية وكولبرا الخنازير ونحو ذلك من الاوبئة الذريعة الفتك بالمواشي

هذه فوائد اجراء التجارب العلمية في الحيوانات ومع ذلك لا يزال جمهور كبير من الاوربيين والاميركيين ينادون بمنعها شفقةً على الحيوان الذي يستحلون ذبحهُ واكلهُ ولا يستحرمون وقد الزموا حكومتهم ان تمنع اجراء التجارب العلمية في الحيوانات وتعاقب من يتعدى امرها حتى اضطر علماؤهم ان يهاجروا الى فرنسا لكي يجروا العمليات فيها . ويقال ان لورد لستر نفسهُ اضطرَّ ان يجري تجاربهُ في فرنسا مع ان العلماء من اشفق الناس على الحيوانات ولا يجرون عملية في حيوان منها ما لم يبنجوهُ قبلاً . ولا دليل على ان الحيوانات تتألم من العمليات الجراحية كما يتألم الناس بل الادلة كلها تدلُّ على انها لا تتألم مثلهم او لا تتألم ابداً . والشعور بالالم متفاوت في الناس الى درجات تقضي بالعجب فانك ترى السودانيين يحملون النار بايديهم ولا يتألمون فلماذا لا يكون الشعور بالالم منحطاً جداً في الحيوانات على نسبة انحطاطها عن الانسان . وقد شوهد الجراد مقطوعاً من وسطهِ ورأسهُ يأكل طعامهُ ولا يبالي . ولو كانت الحيوانات تتألم كما يظن المدافعون عنها لكان خلقها يأكل بعضها بعضاً ظلماً فادحاً وقساوة لا تحد

دولة آل عثمان

٧

ذكرنا في الجزء الماضي ان اثنين من العرب خانا سلطان مصر طومان باي بعد ان اجاراهُ وسلماهُ للسلطان سليم فشنقهُ على باب زويلة وانقضى بهِ ملك المماليك الجراكسة في القطر المصري . اما السلطان سليم فجعل همهُ بعد ذلك جمع اصحاب الحرف المختلفة من القطر المصري وارسالهم الى القسطنطينية . قال ابن اياس ان جماعة من وزراء ابن عثمان واهل مشورتهِ جلسوا في المدرسة الغورية وشرعوا يطلبون جماعة من القضاة والشهود والمعاشرين واعيان تجار المغاربة وتجار الوراقين وتجار الشرب والباسطية وجماعة من البزدارية ومن السوقة المشيبين في البضائع وطائفة من البناين والنجارين والمرخمين والمبلطين والحدادين وغير ذلك من ارباب الحرف واعيان اليهود فلما تكامل عرضهم في المدرسة الغورية عينوا جماعة منهم ليسافروا الى اسطنبول فكتبوا اسماءهم في قوائم والزموا كل واحد منهم ان يحضر لهُ ضامناً يضمنهُ واضافوا اليهم جماعة اخرى من اليهود وارسلوهم هم ونساءهم واولادهم الى الاسكندرية ومنها الى القسطنطينية ومن تأخر منهم عن السفر او امتنع ضربوهُ واهانوهُ

وذكر اسماء كثيرون من خاصتهم فقال ان منهم القاضي شمس الدين الحلبي احد نواب الشافعية وقد قاسى من العثمانية غاية البهدلة من الضرب والصك وانزلوهُ المركب على رغم انفهِ ومنهم الزيني زين الدين الشرنقاشي احد نواب الحنفية والقاضي بدر الدين ابن جمال الدين الاتيدي والقاضي بدر الدين البالقيني ومحمد المكي الوراق وابن شقيرة التاجر الذي بوجوش و بدر الدين شيخ سوق الغزل وغير ذلك من التجار والاعيان وبعض النصارى كشاب الخزينة وكانت هذه الواقعة من الوقائع المنكرة التي لم يقع لاهل مصر مثلها قط في ما تقدم من الزمان

ثم قال ان ابن عثمان ارسل يقول لامير المؤمنين اعمل برقك حتى تسافر الى اسطنبول (اي استعد للسفر) فكبر ذلك عليهِ وعلى انباريهِ لكنهم لم يروا لهم مناصاً من اطاعة الامر . و يوم الثلاثاء ثاني عشر جمادى الاولى (٣ يوليو سنة ١٥١٧) خرج امير المؤمنين المتوكل على الله قاصداً السفر الى اسطنبول وخرج معهُ اولاد عمهِ خليل ومحمد ابو بكر واحمد وصهرهُ محمد ابن العلائي فحمل الناس على فقد امير المؤمنين من مصر غاية الاسف وقالوا قد

انتظمت الخلفاء من مصر وصاروا باسطنبول . وعدة من خرج من اهل مصر الى اسطنبول الف وثمانمئة نفس او اقل لكن انكسر بهم مركب من المراكب التي سافروا فيها وغرق فيه اربع مئة نفس منهم

وان احد اعوان السلطان سليم واسمهُ يحيى بك بركار جعل يركب ويأخذ معه جماعة من المرخين فيهجمون على قاعات الناس ويأخذون ما فيها من الرخام السماقي والرزوري الملوّن فاخربوا عدة قاعات من اوقاف المسلمين وبيوت الامراء والتجار والمدارس التي فيها الكتب النفيسة . وانزلوا عمودين كبيرين من القلعة من الحجر السماقي وقاسى الناس في مجيئها غاية المشقة ثم انزلوا المكاحل (المدافع) النحاس من القلعة وكانوا يربطون الرجال بالحبال في رقابهم ويسوقونهم بالضرب الشديد على ظهورهم ولو كانوا من اعيان الناس

وانهُ طرد سكان الروضة ومصر العتيقة من دورهم وسكنها هو ورجالهُ وكان وزراؤهُ يعدّون الى الروضة في كل يوم ويطلعونهُ على الامور التي يفعلونها بالناس من خير او شر . وصادر اهل الثروة فاخذ ما يمتلكونهُ وكان لزوجة السلطان طومان باي جارية بيضاء جركسية فهربت من عندها وتوجهت الى بعض وزراء ابن عثمان فعرّفتهُ حاصل سيدتها توجهوا اليه ونقلوا كل ما كان فيه من بشاخين زركش وعنبر ومقاعد محور ووشق وحياصات ذهب ولؤلؤ وجوهر مرصّع وكواميل ذهب وآنية بلور وآنية فضة ونحاس مكفّت بالذهب وصيني موشّي بلازورد وغير ذلك فذهب لها اشياء كثيرة بنحو خمسين الف دينار (ثلاثين الف جنيه) وما تبع ابن عثمان بذلك فصادرها ونزل على والدتها بنت الغلائي عشرين الف دينار وقيل اكثر من ذلك فحصل لها ولوالدتها الضرر الشديد ولاسيما شدائد عظيمة

وجمع خراج مصر وانتظر حتى رأى وفاء النيل ثم غادرها في الثالث والعشرين من شعبان سنة ٩٢٣ وكان راكباً على بغلة صفراء عالية قيل انها من بغال السلطان الغوري وكان عليهِ قفطان مخمل احمر وقدامهُ جماعة من الوزراء والجم الكثير من عساكره بين مشاة وركاب وكان قد ولّى على مصر خاير بك الذي كان نائب حلب وبخيانتهِ انكسر الجيش المصري في مرج دابق وترك عندهُ نحو خمسة آلاف فارس من جيشهِ ونحو ٥٠٠ من الرماة بالبندق الرصاص

قال ابن اياس ان السلطان سليماً ما خرج من مصر حتى عمّ اموالها وقتل ابطالها ويتّم اطفالها وامرّ رجالها ... فلا حول ولا قوّة الّا بالله العلي العظيم . واشيع انهُ خرج منها ومعهُ الف جمل محملة ما بين ذهب وفضة فوق ما غنمهُ من التحف والسلاح والصيني والنحاس والخيول والبغال والجمال وغير ذلك حتى نقل منها الرخام الفاخر واخذ منها من كل شيء

احسنهُ وكذلك ما غنمهُ وزراؤهُ من الاموال الجزيلة وعسكرهُ فانهم غنموا من النهب ما لا يحصى فما رحلوا عن الديار المصرية الاَّ والناس في غاية البلية . وفي مدة اقامتهِ بالقاهرة حصل لاهلها الضرر الشامل وبطل منها نحو خمسين صنعة لم يعمل بها في ايامهِ بمصر وكانت مدة اقامتهِ بها ثمانية اشهر الاَّ ايامًا قلائل ومن حين فتح حلب الى حين خروجهِ من مصر ستة وشهر واحد . وفي مدة اقامتهِ بمصر لم يجلس بقلعة الجبل على سرير الملك جلوسًا عامًّا ولا رآهُ احد ولا انصف ظالمًا من مظلوم .....

وتمادى في وصفهِ بما لا يحسن ذكرهُ ووصف عسكرهُ بانهم كانوا يجاهرون بشرب الخمر في الاسواق وظالبهم لا يصوم رمضان ولا يصلّي . ثم لخص ما ذكرهُ بقصيدة ركيكة كسائر نظمهِ نثبت منها الابيات التالية

نوحوا على مصر لامر قد جرى ... من حادث عمت مصيبتهُ الورى
زالت عساكرها من الاتراك في ... غمض العيون كأنها سنة الكرى
واتى اليها عسكر سياهمو ... حلق الذقون ولبس طرطور يرى
جل الاله مصدقًا عما حكى ... في سورة الروم العظيمة اخبرا
قد اوعد الرحمن وعدًا صادقًا ... ان ابن عثمان يلي وكذا جرى
ولاَّه رب العرش سلطانًا على ... مصر وهذا الامر كان مقدرا
اين الملوك بمصر من ساداتها ... مثل البدور تضيء وكانت انورا
لهفي على تلك التخافيف التي ... كانت على الامراء تزهو منظرا
لهفي على لبس الكراف بقندس ... بطلت والغوا كل زنط احمرا
لهفي على شيخو وجامعهِ الذي ... قد كان للصلوات يجمع للورى
لهفي على سوق الصليبة كيف قد ... اخلت حوانيت بهِ مما جرى
لهفي على تلك الرخام وفقلهِ ... من كل بيت كان زاهر ازهرا
زالت محاسن مصر من اشياء قد ... كانت بها تزهو على كل القرى
لهفي على الامراء كيف تشتتوا ... وخلت منازلهم وعادت اقفرا
قتلوا باصغر بندق من شأنها ... كالسم تجري في الجسوم ولا ترى
لما تكبرت الجراكسة الاولى ... كانوا بمصر اذلهم رب الورى
الله اكبر انها لمصيبة ... وقعت بمصر ما لها مثل يرى
ولقد وقفت على تواريخ مضت ... لم يذكروا فيها باعجب ما جرى

لهفي على عيش بمصر قد خلت ايامهُ كالحلم ولّى مدبرا
واقى من التكدير ما لا يخبر سمعت به اذن ولا عين ترى

والقصيدة طويلة وهي غاية في الركاكة لفظاً وتركيباً ولكن معناها منطبق على ما تقدم. ولا شبهة في ان ابن اياس كان من الناقمين على العثمانيين ولكنهُ لم يكن يختلق الاخبار اختلاقاً ولا كانت مخيلتهُ تجسمها لهُ بل كان يكتب الاخبار التي يسمعها يوماً فيوماً ويذكرها في معرض الريب اذا كان مرتاباً في صحتها

ومن جميع أعمال خاير بك الذي ولاهُ السلطان سليم على مصر لا يعجب من ان الخراب توالى عليها بل يعجب انهُ بقي فيها احد من سكانها ولكن نفوس الناس مرنة تحتمل الضغط الشديد وطباعهم سلسة تعتاد كل شيء ولله در المتنبي حيث قال

مَن يهُن يسهل الهوان عليهِ ما لجرح بميت ايلامُ

وكما تفقد النفوس الشعور بالالم اذا مانت من شدة الضغط لا تعود تحتمل شيئاً ما اذا زال الضغط عنها وذلك تجد ابناء هذا العصر يستثقلون القذى ويصمُّ آذانهم طنين الذباب

اما السلطان سليم فكان يعرف كيف يرضي العامة على اسلوب لا يعرفهُ غيرهُ فاكرم ابن امير مكة واهدى اليهِ الهدايا وبعث الكسوة للكعبة والضريح النبي وصنع كسوة للمحمل واحضر الف رأس من الغنم ومئة جمل ومئة بقرة وفرقها قرباناً على مجاوري الجوامع والساجد والزوايا والمزارات . ولما وصل الى تربة الاشرف قايتباي وهو خارج مصر وقف هناك وقرأ الفاتحة واهداها اليهِ وكان قبل ذلك لا يشهر الاَّ هند سلك دماء الجراكسة كما قال ابن اياس . فارضى العامة وبعض الخاصة لانهُ لا شيء يخلب الباب المشارقة مثل الاحتفاظ بالشعائر الدينية ولو ظاهراً

وقد اختصر جودت باشا في كلامهِ على فتح مصر اختصاراً مخلاً فقال "ان السلطان سليماً المظفر تتبع جماعة المماليك وابادهم واستولى على الديار الشامية ثم الاقطار المصرية والحجازية وتاريخ ذلك في حساب الجمل "فاتح ممالك العرب" وكان قبل هذا الفتح يدعى سلطان الدولة العثمانية ولقب بعدهُ بخادم الحرمين الشريفين وخليفة الاسلام زيادة على لقب السلطان وعند رجوعهِ من مصر نقل الآثار النبوية الشريفة التي هي شعار الخلافة الى الاستانة عاصمة السلطنة العثمانية فجمع بين الخلافة والسلطنة"

لكن التواريخ القديمة ولاسيما تاريخ ابن اياس الذي كتب في عهد السلطان سليم لا يؤيد ما قالهُ مدحت باشا من ان السلطان سليماً لُقّب خليفة وتاريخ الامير حيدر المخفول

من التواريخ القديمة يلقبهُ ملكاً وسلطاناً لا غير ولم يلقبهُ خليفة

نعم ان علي باشا مبارك ذكر في كتابهِ المعروف بالخطط التوفيقيَّة ما يدل على ان الخليفة المتوكل على الله تنازل عن الخلافة للسلطان سليم لقد قال "انهُ لما تمَّ الامر للعثمانيين واستولوا على مصر اخذوا ينتشون عن امراء الجراكسة فكل من وجدوهُ منهم قتلوهُ ونهبوا منزلهُ حتى فنيت عدة من امراء البلد وتخربت منازلهم ومكث السلطان سليم بالديار المصرية ثمانية شهور يرتب امورها ويمهد قواعدها ثم رحل عنها الى القسطنطينيَّة بنائم كثيرة وعدد عديد من ارباب الصنائع وغيرهم واستصحب معهُ ايضاً المتوكل على الله العباسي الذي كان خليفة بمصر بعد ان استنزلهُ عن الخلافة فخلع نفسهُ منها وتنازل عن حقوقها وفوَّض امورها الى السلاطين من آل عثمان" . ولكن ما ذكرهُ ابن اياس يدل على ان الخليفة انما ترك او خسر الاموال والنذور التي كان يأخذها من مصر فقد قال ما نصهُ . "ان الخليفة (اي المتوكل على الله العباسي) لما سافر الى اسطنبول اخرجوا عنهُ نظر مشهد السيدة نفيسة رضي الله عنها وكان ذلك بيد الخلفاء من قديم الزمان وكان يحصل لهم من هذه الجهة غاية الخير من الشموع والزيت وكان يحصل لهم في كل يوم من الصندوق الذي تحت رأس السيدة نفيسة مبلغ لهُ صورة (اي كبير) من النذور التي كانت تدخل عليهم فخرج ذلك كلهُ عنهُ"

وانت ترى من ذلك ان ابن اياس بقي يلقب المتوكل بالخليفة حتى بعد ذهابهِ الى القسطنطينيَّة فلا تدري على مَن اعتمد علي باشا مبارك في قولهِ ان المتوكل خلع نفسهُ من الخلافة وتنازل عنها للسلطان سليم قبل سفرهِ الى مصر

وسار السلطان سليم الى الشام بطريق العريش وقتل وزيرهُ يونس باشا في اثناء الطريق . وكان يونس باشا هذا من الذين ساعدوهُ على الوصول الى سرير الملك ويقال انهُ لم يكن يشير عليهِ بفتح مصر فلما كانا في الطريق ذكَّرهُ السلطان سليم بذلك فقال لهُ يونس باشا انهُ قتل نصف الجيش في فتحها ولم يستفد منها شيئاً لانهُ سلمها لخائن كان غرضهُ التملك عليها . فاستاء السلطان من هذا الكلام وقطع رأسهُ . قال ابن اياس ولما اشيع قتل يونس باشا اضطربت القاهرة واغلقت ابوابها وخاف اهلها من هجوم العرب عليها

ووصل السلطان سليم الى دمشق قاصداً ان يشتي فيها وكانت المجاعة ضاربة اطنابها في بلاد الشام فارسل يطلب من خاير بك اربعين الف اردب شعير وقمح يرسلها اليهِ بحراً وجاء قاصد من قبلهِ الى مصر وقال ان اهل الشام في غاية الضنك والشدة من العسكر لانهم طردوهم من بيوتهم ونزلوا فيها وحصل منهم لاهل الشام الضرر الشامل اكثر مما حصل لاهل مصر

وسار السلطان سليم من دمشق الى حلب وحصنها ليمنع عنها الشاه اسمعيل الصوفي صاحب بلاد الفرس ثم ارتحل الى ادرنة وجعل يستعد لمحاربة الشاه اسمعيل ولإعادة الكرة على جزيرة رودس لكن عاجلهُ المنون سنة ٩٢٦ ولهُ من العمر اربع وخمسون سنة

ويقول الكتّاب الافرنج ان السلطان سليماً كان اعظم سلاطين آل عثمان شجاعة ومهارة وعلماً وحكمةً وسياسةً ولكنهُ يلقب في التواريخ التركية ياوز سليم اي سليم العبوس لشدة فتكه . وكان شاعراً معدوداً واكثر شعره بالفارسية واشهر في ايامه الفقيه كمال باشا زاده المعروف بابن كمال المشهور في صناعتي النظم والنثر

القطب الجنوبي

لبعض الناس غرام شديد باقتحام المخاطر واكتشاف المجاهل مدفوعين بحب الاكتشاف او بحب الشهرة او بحب الكسب او بذلك كلهِ . وما رغبوا في الوصول اليهِ مهما تجشموا في سبيلهِ من المشاق القطب الشمالي والقطب الجنوبي اي طرفي محور الكرة الارضية . اما القطب الشمالي فاول من قصدهُ وحفظت اخبارهُ السرجون فرنكلين الذي سار نحوهُ سنة ١٨٤٥ قاصداً ان يكتشف طريقاً بحرياً الى اسيا من الشمال الغربي وقضى عليهِ وعلى رجالهِ بعد سنتين او ثلاث ووجدت آثارهم واخبارهم في رحلة هنالك وظهر منها انهم وصلوا في سيرهم الى مكان يبعد ١٣٢٢ ميلاً عن القطب الشمالي

وتوالت البعوث بعد فرنكلين وكل بعثة تحاول ان تبعد اكثر مما ابعدت سابقتها كما ترى في هذا الجدول

السرجون فرنكلين	سنة ١٨٤٧	وصل الى ١٣٢٢	ميلاً عن القطب
مستر لاي مث	" ١٨٧٣	" " ٥٩٢	" " "
الكبتن نيرس	" ١٨٧٦	" " ٤٥٨	" " "
الفتنت لكوود من بعثة غريلي	" ١٨٨٤	" " ٤٥٥	" " "
الدكتور نسن	" ١٨٩٥	" " ٢٦٠	" " "
الكبتن كاي من بعثة ايروزي	" ١٩٠٠	" " ٢٣٩	" " "
الكومندور بيري	" ١٩٠٦	" " ٢٠٣ أميال	" "

فابعد ما وصل اليهِ الناس شمالاً يبعد ٢٠٣ أميال عن القطب الشمالي . وقد وصفنا رحلة

فنسن ورحلة دوق ابروزي بالاسهاب في المجلد ٢٠ و٢٥ من المقتطف تبيناً لاهوال الاصقاع القطبية وشدة بردها وقلة الجدوى من الوصول اليها في جنب المخاطر التي تحيق بالذين يقصدونها

اما القطب الجنوبي نام البعثات التي قصدته ست وهي

بعثة القبطان كوك قصدته سنة ١٧٧٤ ووصلت الى ١٢٠٠ ميل عنه

" ودل " ١٨٢٣ " " ١٠٥٠ ميلاً "

" روص " ١٨٤١ " " ٨٥٠ " "

" سكوت " ١٩٠٢ " " ٤٥٠ "

" شكلتن " ١٩٠٩ " " ١١١ " "

فبعثة شكلتن التي اشرنا اليها في الجزء الماضي وصلت الى ابعد ما وصلت اليه البعثات القطبية شمالاً وجنوباً. ويفتخر الانكليز بانهم سبقوا الاميركيين في هذا المضمار لان بيري الذي وصل الى ٢٠٣ اميال من القطب الشمالي اميركي. وقد ذكرنا رحلة سكوت وما لقيه في الاصقاع الجنوبية في المجلد التاسع والعشرين من المقتطف . وها نحن واصفون الآن رحلة شكلتن وما لقيه فيها مأخوذاً من الانباء التلغرافية التي بعث بها الى انكلترا من جزيرة زيلندا الجديدة

والملازم شكلتن من اعوان الكبتن سكوت الذي قصد القطب الجنوبي بسفينة الدسكفري وابعد مدة اكثر مما ابعد احد قبله حتى صاروا على ٤٥٠ ميلاً من القطب وذلك في آخر سنة ١٩٠٢ فقد قال انهُ احد الثلاثة الذين نصبوا العلم الانكليزي في ٣٠ دسمبر سنة ١٩٠٢ حيث العرض ٨٢ درجة و ١٦½ دقيقة . وبدت منهُ حينئذٍ دلائل الهمة والنشاط والصبر على المشاق والمقدرة على ادارة الناس بحماش رابط . وقد حدثتهُ نفسهُ بالذهاب مرةً ثانية لاكتشاف القطب الجنوبي ومعرفة احوال البلاد التي تحيط بهِ فاقلع من بلاد الانكليز في ٣٠ يوليو سنة ١٩٠٧ على سفينة بخارية من سفن الصيد اسمها النمرود بعد ان أُعدَّت لهذه الغاية وجُهزت بكل ما يلزم لهذا السفر الشاق

والنمرود من اصغر السفن التي تشق الاوقيانوس عمرها ٤١ سنة وقد ظهر بالاختبار انها من اقدر السفن على احتمال ضغط الجليد اذا احاط بها وضغط عليها. محمولها ٢٢٧ طناً وطولها ١٣٦ قدماً وعرضها ٣٧ قدماً وكثيراً ما كانت تحمل ٦٠ نفساً من البحارة والركاب اما الآن فلم يذهب فيها سوى ٣٢ نفساً ولذلك وضعت فيها كل لوازم الراحة لهم ولسفرهم على الجليد بالمزالق والاوتوموبيلات. واخذوا معهم خيولاً صغيرة من خيول منشوريا المتادة لزمهرير البرد وكلاباً

الشكل الاول

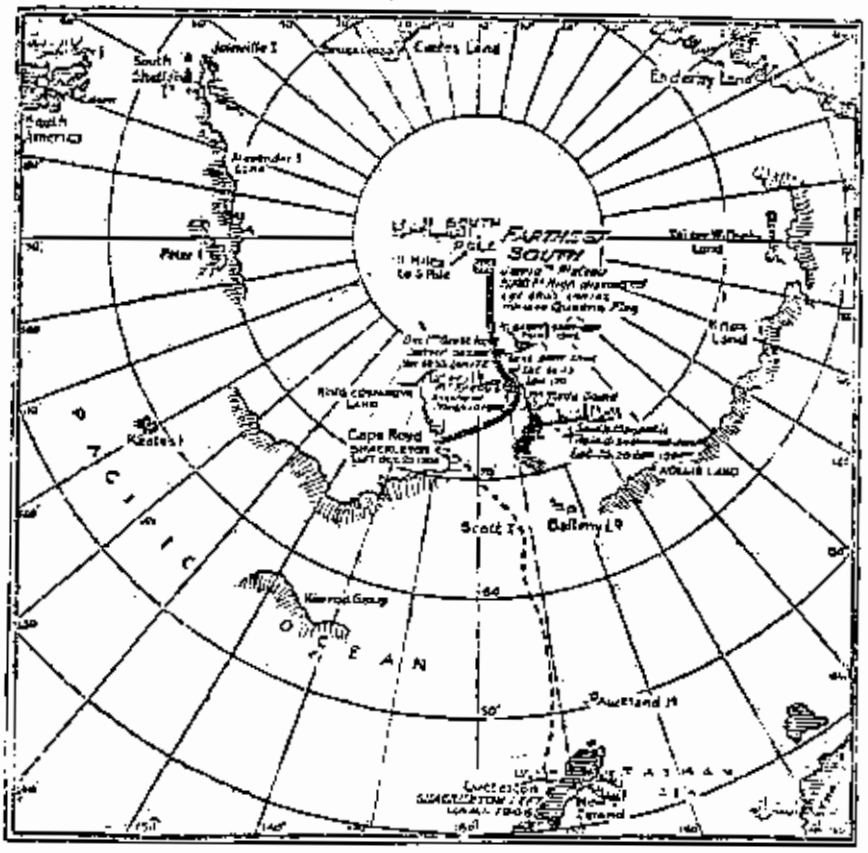

خريطة الانحاء التي حول القطب الجنوبي من الكرة الارضية والطريق الذي سارت فيه بعثة الملازم شكلتن من مدينة لتلتون بزيلندا الجديدة الى رأس رويد حيث شتّت ومن هناك سار شكلتن بها هو ورجاله وما معهم من الخيل والكلاب في ٢٩ اكتوبر سنة ١٩٠٨ الى ان وصلوا الى قرب بركان اربيوس واقسموا هناك ثلاث فرق فرقة بقيت تراقب ذلك البركان والاحداث الجوية وفرقة ضربت جنوباً بقرب تفتش عن القطب المغنطيسي وفرقة تقدمت جنوباً الى ان صارت ١١١ ميلاً من القطب الجنوبي فنصبت هناك العلم الانكليزي وعادت ادراجها . وقد نقلنا هذه الخريطة عن جريدة الديلي ميل وابقينا الاسماء بحروفها الافرنجية لانها صارت مألوفة ويصعب حذفها من الخريطة وفيها رسم كل الاراضي التي كشفت حول الاصقاع القطبية

الشكل الثاني

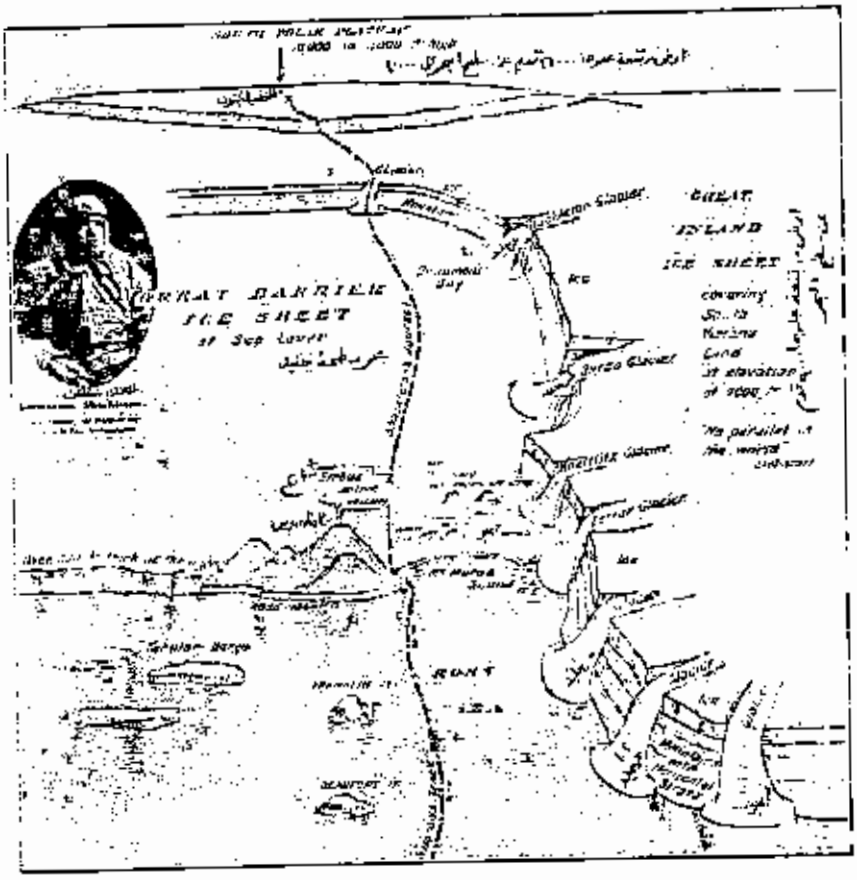

رسم تصوري للاصقاع القطبية حيث سارت بعثة شكلتن قاصدة القطب فترى فيها صورة شكلتن نفسه وهو بثياب القطبية التي تقيه من الزمهرير وترى عن اليسار صور الجزائر والهضاب المرتفعة من البحر ثم جبل اربيرس الناري والدخان ينبعث منهُ وثلاث قمم اخرى الى جانبها والجليد منطوح الى يسارها وممكنهُ فوق الماء مئتا قدم فاكثر

والى اليمين قمتا بركانين آخرين وارض عالية مغطاة بالجليد وقد ماع بعض جليدها وانحدر منها في ثمانية انهار والنهر الاخير منها جعلهُ شكلتن مرقاة ارتقى عليها هو والذين معهُ في ٥ دسمبر واستمرَّ في سيره وهو يصعد في نجود مغطاة بالجليد الى ان بلغ ابعد ما وصل اليهِ في سهل يحيط بالقطب الجنوبي ويعلو ١٠٠٠٠ الى ١١٠٠٠ قدم عن سطح البحر

من نسل الكلاب التي تبعت البعثات السابقة لاكتشاف القطب. وقبل ان اقلعت نزلت اليها ملك الانكليز وتفحص ما فيها من امتعة البعثة ومؤونتها ولما رأى انها كلها على ما يرام قال للملازم شكلتن لم يبقَ لي الاَّ ان ارجو لك سفرًا سعيدًا وعودًا حميدًا في مهمتك المسيرة. لما سار الكبتن سكوت في سفينة الدسكفري اهديت اليهِ نشان فكتوريا واني اهدي اليك الآن نشانًا مثلهُ تفاؤلاً بفوزك في البحث العلمي الذي شرعت فيهِ. ثم سلمتهُ الملكة علمًا لينصبهُ في ابعد مكان يصل اليهِ فنصبهُ على نحو مئة ميل من القطب كما تقدَّم. وما كاد يصل الى زيلندا الجديدة في عودتهِ من السفر حتى بعث الى جريدة الديلي ميل تلغرافًا مسهبًا نقتطف منهُ الفقرات التالية

قام النمرود بنا من رأس رويد في ٢٩ اكتوبر سنة ١٩٠٨ وابعد ما بلغناهُ الدرجة ٨٨ والدقيقة ٢٣ من العرض الجنوبي والدرجة ١٦٢ من الطول الشرقي. وكان السفر شاقًا جدًّا فقطعنا في اول الامر جبالاً كثيرة ثم وصلنا الى سهل عالٍ يبلغ ارتفاعهُ عن سطح البحر عشرة آلاف قدم واكتشفنا سلاسل كثيرة من الجبال وقطعنا ١٧٠٨ اميال في ١٢٠ يومًا واكتشفنا اكثر من ١٠٠ قمة جديدة من قمم الجبال وكانت المؤونة كافية والخيول المشورية على ما يرام وقد اكتشفنا اكتشافات مهمة في علم الحيوان واكتشفنا ايضًا القطب المغنطيسي الجنوبي عند الدرجة ٧٢ والدقيقة ٢٥ من العرض والدرجة ١٤٥ من الطول وكان الشتاء معتدل البرد وبلغت اوطأ درجات الحرارة ٤٠ بميزان فارنهيت تحت الصفر. والاكتشافات الجيولوجية التي اكتشفناها مهمة كالاكتشافات في علم الحيوان وقد اشتدَّ ضغط الجليد على النمرود لكنهُ احتملهُ. وصعدنا على قمة بركان اربيوس وهو ابعد البراكين جنوبًا وارتفاعهُ ١٣٠٠٠ قدم وهذه اول مرة صعد انسان الى قمتهِ. فصعدهُ الملازم ادمس الجيولوجي ورفاقهُ في ٥ مارس سنة ١٩٠٨ فصعدوا بالمزالق الى ما ارتفاعهُ ٥٠٠ قدم عن سطح البحر ثم حملوا زادهم وامتعتهم وتركوا مزالقهم وصعدوا حتى بلغوا ما ارتفاعهُ ٩٥٠٠ قدم فوق سطح البحر وكانت الحرارة هناك على ٥٠ تحت درجة الجليد. وحينئذٍ عصفت عاصفة ثلج منعتهم عن السير ثلاثين ساعة متوالية ولما سكنت عاودوا التصعيد فبلغوا فوهة البركان القديمة وارتفاعها ١١٠٠٠ قدم عن سطح البحر فتفحصوها جيدًا ورأوا مناقس الدخان القديمة والفوهة محلاَّة الآن بالحجارة المبلورة وحجارة الخفان والكبريت وهزَّ البرد قلبي السر فيليب بروكهرست فاضطرَّ ان يقطع ابهامهُ. وبلغوا فوهة البركان العامل في ١٠ مارس ومحيطها نصف ميل وعمقها ٨٠٠ قدم وكانت تنفث البخار والغازات الكبريتية فتعلو فوقها التي قدم

وشرع الدكتور مرتش في رصد الحوادث الجوية من اوائل السنة. والاستاذ دافد في رصد مجاري الهواء العليا من عبثها بغيوم البخار الصاعدة من البركان وواصلا الرصد الى اخرها

ووجد الدكتور مري كثيراً من الاحياء الميكروسكوبية في بحيرات عذبة قرب راس رويد ويجلد الماء حولها سنةً بعد سنة فنعيش فيه من غير ان يؤذيها وظهر بالامتحان انها تحتمل البرد الشديد والحر الشديد وتعيش في الماء العذب وفي الماء الاجاج . ورأينا طائر البنغوين المطوّق اما النباتات التي وجدناها فاكثرها من انواع الفطر والاشنان والطحالب والاعشاب البحرية . وكان الشفق القطبي كثير الظهور ساطع النور كل مدة الشتاء واكثر ظهوره في الافق الشرقي وغالبهُ من النوع الهدبي ويكون احياناً من النوع الثابت واحياناً من النوع المتحرك وكثيراً ما كانت مجاري النور تسير في عرض السماء بسرعة فائقة . واشتد ثوران بركان اربوس في شهر يونيو

ومنيت انا وارمبتاج ودافد بالزالق في ١٢ اغسطس لفحص حاجز الجليد فوجدنا درجة الحرارة ٨٩ تحت درجة الجليد فوضعنا المؤونة في طريقنا على ١٢٤ ميلاً من مشتى الدسكشري ثم عدنا الى اقحام الحاجز وسرنا بالاوتوموبيل على بحر من الجليد في ٢٩ اكتوبر وكنا اربعةً ادمس ومرشل وولد وانا وتبعتنا خمسةٌ لمساعدتنا بحمل الزاد وغادرنا نقطة هت في ٣ نوفمبر ومعنا زاد يكفينا ثلاثة اشهر فعاقنا عاصف الثلج ٥ ايام وعاد الذين تبعونا في ٧ نوفمبر. وكاد المستر ادمس يقتل لانهُ سقط في شق كبير في الجليد هو ونرس من الافراس لكننا تمكنا من انقاذهِ . وفي ١٣ نوفمبر بلغنا مكان المؤونة التي وضعناها في سبتمبر الماضي حيث العرض ٧٩ درجة و٣٦ دقيقة فاخذنا منها زاداً لنا وعلفاً لخيلنا وجعلنا نقتصد في طعامنا وسرنا جنوباً على حروف واكام من الجليد الصلب يتخللها اماكن مغطاة بالثلج فكانت الخيل تغرق فيهِ الى بطونها . ولما وصلنا الى الدرجة ٨١ والدقيقة ٤ قتلنا فرساً من الافراس وابقينا هناك وديعةً من لحمهِ ومن البسكوت والزيت اللذين كانا معنا واخذنا بقية اللحم ادامًا

وفي ٢٦ نوفمبر وصلنا الى ابعد ما وصلت اليهِ بعثة الدسكشري فرأينا سطح الجليد ليناً جدًّا يعسر السير عليهِ واصيبت الخيل بالبهر من بريق الجليد فقتلنا فرساً منها وابقينا جانباً من زادنا ومن لحمهِ حيث العرض ٨٢ درجة و٤٥ دقيقة ثم قتلنا فرساً ثالثاً في ٣٠ نوفمبر واستمر بنا السير جنوباً وجنوباً بشرقي فدنونا من سلسلة عالية من الجبال متجهة الى الجنوب الشرقي . وفي الثاني من دسمبر اكتشفنا نهراً من الجليد (اي جليداً جارياً جرياً بطيئاً) طولهُ ١٢٠ ميلاً وعرضهُ نحو ٤٠ ميلاً فحاولنا الصعود عليهِ في ٥ دسمبر وكان فيهِ شقوق

كبيرة حتى لم نستطع مرة ان نقطع اكثر من ٦٠٠ يرد في اليوم وفي ٧ دسمبر سقط فرس من خيلنا في شق من هذه الشقوق واختفى لكننا انقذنا المستر ولد الذي كان معهُ

وتقشعت الغيوم في ٨ دسمبر فاكتشفنا سلاسل جديدة من الجبال متجهة الى الجنوب والجنوب الغربي وكنا مرتبطين بعضنا ببعض بسيور وحبال متينة حتى اذا وقع واحد منا في شق ينقذهُ الباقون لانهُ يكون معلقًا بيم فوقنا سرارًا وبجوزنا . واستمرَّت الحال كذلك من ٦ دسمبر الى ١٨ منهُ حتى بلغنا ما ارتفاعهُ ٦٨٠٠ قدم عن سطح البحر . وابقينا كل ما معنا حيث العرض ٨٥ درجة و ١٠ دقائق ولم نأخذ غير الزاد والآلات العلمية وخيمتين وقللنا طعامنا

وفي ٢٦ دسمبر بلغنا سهلاً علوهُ ٩٠٠٠ قدم ثم ارتفع رويدًا رويدًا حتى صار علوهُ ١٠٥٠٠ قدم وتوالت علينا زوابع الثلج هناك وكانت الحرارة بين ٣٧ و ٧٠ تحت درجة الجليد

ولما رأيت ان قوى رفاقي قد خارت من قلة الطعام وخفة الهواء وشدة البرد عزمت على ان نضع جانبًا من زادنا هناك ونتقدم الى حد ما يصل اليهِ جهدنا فاخذنا خيمة واحدة وغرسنا اعمدة الخيمة الثانية في طريقنا لترشدنا في رجوعنا وسرنا في ٤ يناير واشتد صقيع الثلج في وجوهنا واستمرَّ ستين ساعة من غير انقطاع وكانت درجة الحرارة على ٧٢ تحت درجة الجليد وسرعة الريح سبعين ميلاً في الساعة حتى كان من المستحيل علينا ان نتقدم خطوة واحدة . وكاد البرد يهزمنا ونحن نيام في اكياسنا وفي التاسع من يناير استأنفنا السير فبلغنا الدرجة ٨٨ والدقيقة ٢٣ من العرض الجنوبي والدرجة ١٦٢ من الطول الشرقي وهي بعد نقطة وصل اليها انسان حتى الآن فنصبنا هناك العلم الانكليزي الذي سلمنا اياهُ الملكة ولم نرَ على مدى بصرنا جبلاً ولا اكمة بل رأينا سهلاً منبسطًا الى القطب . ثم عدنا ادراجنا ولم نجد الاعمدة التي نصبناها لان العاصفة اقتلعتها ولكننا رأينا آثار اقدامنا فارشدنا بها وكانت العاصفة تهب من ورائنا فساعدتنا على السير وكنا نقطع ٢٠ الى ٢٩ ميلاً كل يوم ورأينا العاصفة قد ازالت الثلج عن نهر الجليد فصار شديد الزلق ونرغ زادنا في ٢٦ يناير ولم نستطع ان نقطع سوى ١٦ ميلاً في ٢٢ ساعة وبلغنا مكانًا من امكنة الزاد الذي وضعناهُ في طريقنا عصر السابع والعشرين من يناير

واصيب ولد بالدوسنطاريا من اكل لحم الخيل ولم يجئ ٤ فبراير حتى أُصبنا كلنا بالدوسنطاريا ودامت معنا ثمانية ايام ولكن ريح الجنوب كانت تساعدنا على الرجوع وكنا كلما وصلنا الى مكان من الاماكن التي ودعنا فيها الزاد يكون الزاد الذي معنا قد نفد كلهُ . وانتكس مرشل وعاودتهُ الدوسنطاريا فتركتهُ في الطريق وتركت معهُ ادمس واسرعت انا

وولد الى السفينة ثم عدت اليها في اول مارس ومعي رجال لانقاذها

وبلغت المسافة التي قطعناها ذهاباً واياباً ٨٠ ١٧ ميلاً والمدة في السير والانتظار ١٢٦ يوماً . وقد جمعنا مجموعاً جيولوجياً كبيراً ووجدنا طبقات الفحم الحجري في الصخور الكلسية ورصدنا الاحداث الجوية رصداً كاملاً واكتشفنا ثمانياً من سلاسل الجبال واكثر من مئة جبل وصورنا كثيراً من انهر الجليد

والقطب الجنوبي واقع في سهل يعلو عن سطح البحر عشرة آلاف قدم او احد عشر الفاً وعلو سلاسل الجبال التي اكتشفناها يختلف بين ٣٠٠٠ قدم و ١٢٠٠٠ قدم . والعاصفة التي لقيناها عند الدرجة ٨٨ تدل انهُ ان كان حول القطب مكون فهو في قعة ضيقة او هو ليس عند القطب الجغرافي . انتهى

وربما اتينا في الجزء التالي على تفصيل ما فعلهُ سائر اعضاء البعثة ونجتزي عن ذلك الآن بذكر الخلاصة التالية ملخصة من مجلة فانثر

امتازت بعثة شكلتن على كل البعثات التي تقدمتها في انها ركبت المزالق فبلغت بها الدرجة ٨٨ والدقيقة ٢٣ من العرض الجنوبي فلم يبقَ بينها وبين القطب سوى ١١١ ميلاً فعرفت حالة تلك الاصقاع تماماً حتى القطب الجنوبي . واكتشفت فرقة منها القطب المغنطيسي الجنوبي واثبتت ان تلك الاصقاع برٌّ متصل وارتفاعهُ الجليد

وقد وصلت البعثة على السفينة نمرود الى مضيق مكمردو قرب جبل اربيوس سنة اوائل سنة ١٩٠٨ وصعدت على ذلك الجبل وهو بركان عامل يقذف الدخان والغازات من جوفهِ ارتفاعهُ عن سطح البحر ١٣١٢٠ قدماً ووجدت انهُ كان لهُ فوهة قديمة تعلو ١١٠٠٠ قدم عن سطح البحر . وشتّت هناك في كنف الجبل واقطوت فصل الصيف حتى تتقدّم في سيرها جنوباً نحو القطب ووجدت ان الاوتوموبيل خير وسائل النقل والانتقال على بحار الجليد . وافترقت هناك الى ثلاث فرق فرقة سارت على المزالق تجرها الخيول الصغيرة الند بقيادة شكلتن نفسهِ قاصدةً القطب الجنوبي وفرقة بقيت في تلك الجهات تبحث في طبائع البلاد واحوالها الجوية وفرقة ضربت شمالاً وغرباً تفتش عن القطب المغنطيسي الجنوبي

اما الفرقة الاولى فشرعت في سيرها في ٣ نوفمبر الماضي فلم تسر طويلاً حتى اعترضتها عاصفة شديدة من الثلج اوقفتها اربعة ايام . ثم استأنفت السير الى ان وصلت الى بلاد مرتفعة ينطيها الجليد ويعسر التصعيد فيها لشدّة شموخها فلم تستطع ان تتقدّم فيها اكثر من ستين ميلاً في اليوم . وصفا الجو في الثامن من دسمبر فشاهدت الجبال تمتد جنوباً وشرقاً

واستمرّت في سيرها فصعدت ٦٨٠٠ قدم في اثني عشر يوماً اي قطعت ارضاً جبلية بلغ ارتفاعها ٦٨٠٠ قدم فكانها كانت تقطع في اليوم ما ارتفاعهُ ٥٦٦ قدماً وتركت اثقالها هناك حيث العرض ٨٥ درجة و١٠ دقائق واخذت معها ما يقوتها بالتقتير وجعلت تمشي جنوباً وعواصف الثلج تعصف في وجهها والارض تزيد ارتفاعاً فبلغت ما ارتفاعهُ ١٠٥٠٠ قدم في ثمانية ايام واشتدّ عاصف الثلج حينئذٍ فمنعها عن السير ثلاثة ايام وكانت درجة البرد على ٤٠ تحت الصفر وفي التاسع من يناير صفا الجو نوعاً فتقدمت في سيرها حتى بلغت الدرجة ٨٨ والدقيقة ٢٣ من العرض الجنوبي و١٦٢ درجة من الطول الشرقي وهو ابعد ما وصلت اليهِ فلم يبقَ بينها وبين القطب سوى درجة و ٣٧ دقيقة او نحو ١١١ ميلاً والارض من هناك الى ابعد ما تراهُ العين في جهة القطب تجد مرتفع ولكن لا جبل فيهِ . ثم عادت ادراجها لانهُ لم يبقَ معها طعام يقوتها ان تقدمت اكثر من ذلك ولان المرض والتعب انهك قوى رجالها وقد لقيت من المشاق في ايابها اشد مما لقيت في ذهابها لان قلة الطعام اضعفت رجالها ولكن الرياح الجنوبية ساعدتها على الاسراع في السير فقطعت ١٢٠٨ أميال في ١٢٦ يوماً ووصلت الى رأس هت في ٤ مارس

والفرقة الثالثة التي ذهبت تفتش عن القطب المغنطيسي سارت على المزالق شمالاً وغرباً وكانت الرياح الجنوبية الشديدة تساعدها تارة وتعاكسها اخرى وكانت درجة البرد على ١٨ تحت الصفر فاهتدت الى القطب الجنوبي في السادس عشر من شهر يناير وهو حيث العرض ٧٢ درجة و ٢٥ دقيقة والطول ١٥٤ درجة وقطعت في هذا السفر ٣٦٠ ميلاً ولما ارادت الرجوع رأت ان الجليد الذي سارت عليهِ في ذهابها قد تمزّق وتفرق الّا ان السفينة نمرود نشأت عنها ووجدتها في ٤ فبراير فانقذتها من الهلكة

والامور التي علمتها هذه البعثة وارسلتها بالتلغراف هي هذه

اولاً . ان القطب الجنوبي واقع في ارض عالية يبلغ ارتفاعها عشرة آلاف قدم او احد عشر الف قدم عن سطح البحر وحول تلك الارض سلاسل من الجبال يبلغ ارتفاعها من ثلاثة آلاف قدم الى اثني عشر الف قدم

ثانياً . ان الرياح الجنوبية تعصف هناك دواماً حتى قرب القطب في الاماكن التي سارت فيها تلك البعثة فان كان هناك رياح مضادة لها تهب نحو القطب فهي على الجهة المقابلة من القطب في الاوقيانوس الاتلنتيكي ولذلك فالارض العالية المغطاة بالجليد تمتد حول القطب الجنوبي الى بعد شاسع

مياه العاصمة

قرأنا في جريدة اللانست الطبيَّة مقالة لمندوب لها ارسلتهُ الى هذه العاصمة للبحث في مياهها وما يقولهُ الناس فيها وصفاتها الطبيعيَّة والكيماويَّة والصحيَّة . فرأينا في هذه المقالة اشياء كثيرة تنطبق على ما كنا نصف به هذا الماء وامورًا اخرى يحسن الوقوف عليها والاهتمام بها فاقتطفنا منها ما يلي

من البيّن ان ماء النيل يكون غالبًا غير نقي وان الوسائل التي كانت تستعمل لترشيحهِ غير وافية بالمراد ولذلك كان من شربهِ خطر وقد مات واحد بالكوليرا في الاسكندرية وهو من المشتغلين بترشيح ماء النيل فخاف الناس من ذلك ودعا الخوف الحكومة الى ابدال ماء القاهرة فابداله على هذه الصورة لم يكن نتيجة فكر وروية بل نتيجة الخوف . واتَّفق ان مدينة طنطا وسكانها متون الفاحفرت فيها بئر عمقها ١٥ او ١٦ قدمًا تخرج منها ماء صالح للشرب خالٍ من الميكروبات فعرف الناس مزيتهُ هذه واستعملوهُ مع ميلهم الشديد الى استعمال ماء النيل فظنت الحكومة انها تفعل مثل ذلك في القاهرة واختارت روض الفرج وهو على نحو ميلين من المدينة وحفرت فيهِ بئرًا فوجدت فيها ماء ظهر لها انهُ جيد وركَّبت الطلمبات عليها وشُغِّلت مدة سنة فظهر ان مقدار الماء لا يتناقص فاشارت على شركة المياه ان تحفر هناك آبارًا كثيرة وترسل مياهها الى القاهرة بدل ماء النيل ففعلت ذلك

والآبار التي هناك الآن ٢٢ ولم تتم كلها بل المستعمل منها ١٩ وهي في قطعة ضيقة من الارض عرضها ١٢ مترًا والارض حولها زراعية وفيها مقبرة قديمة قريبة من الآبار . واثنتان منها قرب النيل والباقية بعيدة عنهُ نحو الف قدم وفي كل بئر ماسورة من الحديد قطرها ١٣ بوصة وطولها ٣٠ مترًا وفي اسفلها الشبكة التي يدخلها الماء نحو طولها وطولها ثلاثون مترًا اخرى فيرشَّح الماء باسلاكها وما بين طبقتيها من الرمل . والماء الذي يدخلها ليس كلهُ من الطبقة الموازية للشبكة بل بعضهُ يأتي من فوقها بفعل المص ولذلك لا يقال ان الماء آتٍ كلهُ عن عمق ٣٠ مترًا فاكثر

ومعلوم ان الماء الخارج من هذه المواسير هو من ماء النيل وقد تغير بما اضيف اليهِ من طبقات الارض التي مرَّ فيها فحالتهُ تتوقف على المواد الذائبة فيهِ او على الطبقات التي مرَّ فيها . ثم ان مقدار الماء المستخرج من هذه الآبار غير ثابت فان البئر الاولى كان يستخرج منها

٥٠٠٠ متر مكعب في اليوم فلما فحصت ثماني آبار لم يعد المخرج ٥٠٠٠ متر من كل بئر بل اقل من ذلك ودعت الحال حينئذٍ الى ابعاد الآبار بعضها عن بعض وجعل البعد بين كل بئر والتي تليها ٨٠ متراً ومع ذلك لم يخرج من البئر اكثر من ٤٠٠٠ متر مكعب

والخبراء الذين امتحنوا مياه هذه الآبار كان اكثر بحثهم عن الميكروبات المرضية ولم يهتموا كثيراً بكون الماء قاسياً لا يرغي فيه الصابون ولا بكونه يحوي منغنيساً وحديداً ويزيد مقدارها فيه بازدياد عدد الآبار لانهم حسبوا ان هذه الشوائب لا تضرُّ بالصحة

والحديد يأتي من المواسير التي يمرُّ الماء فيها اي ان الماء يذيب الحديد من تلك المواسير ولم يكن ماء النيل يفعل ذلك لما كان الماء يستقى من النيل . والظاهر ان المواد التي تذوب من المواسير او تتكوَّن منها تجتمع فيها ما دام الماء بطيء الجري ثم تندفع منها بغتة اذا زادت سرعتهُ . وقد فتحوا امامي حنفيةً لم تفتح منذ اربعة اشهر فخرج الماء منها اسود فاراً الى السمرة ورأيت مادة سوداء مثل هذه في مغسلة وبينها حبوب رمل امكنني لمسها بيدي وكانت رائحة الماء خبيثة . ولكن بعد ان جرى من الحنفية خمس دقائق صار الماء الجاري منها نقياً خالياً من الرواسب والرائحة

ويقال الآن ان سبب ذلك كلهِ نوع من النبات ينمو في الماء ولاسيما اذا كان فيه حديد ومنغنيس واذا كثر هذا النبات سدَّ المواسير فزادت به المواد الآتية ولذلك فتحليل الماء حين خروجهِ من الآبار لا يكفي ولا بدَّ من تحليلهِ بعد مروره في المواسير الى بيوت السكان لاسيما وان المواسير غير محكمة الاتصال فتنفذ منها الشوائب الى الماء

قال المسيو فمر والمسيو كوين في كتابهما عن غش الاطعمة المطبوع بباريس سنة ١٩٠٠ " ان هذا النبات المائي (المشار اليهِ آنفاً) الذي يمكن ان يوجد في كل المياه يكثر وجودهُ في المياه الحديدية او التي فيها مواد آلية في حالة الانحلال ولهُ الفة شديدة لاملاح الحديد ولاسيما الاكسيد فيدخل هذا الاكسيد بين اليافهِ فيصير منهُ مادة كالليد سمراء اللون وقد تكثر حتى تسد مواسير الماء . وقد شوهد ذلك في مدينة ليل ومدينة بوردو وتحل هذه المادة السمراء فيصير بها لون الماء بنياً ويصير كريه الطعم والرائحة فلا يعود صالحاً للشرب "

وهذا الوصف ينطبق على ماء القاهرة اذا جرى من ماسورة بعد ان اقام فيها مدة . وعلاجاً لذلك قد اقيم اربع مرشحات كبيرة ووضع فيها من حجارة الحلى اكسيد المنغنيس حتى يرسب المنغنيس عليها ثم تعاد اكسدتها بعرضها للشمس ولكن اذا اريد تنظيف هذه المرشحات فلا

بد من زيادة ضغط الماء فيها فيحسن الماء ما يرسب فيها ويجري به تنزيد هذه الشوائب في الماء الجاري الى البيوت من حيث يراد ازالتها منهُ . ثم ان هذه المرشحات الاربع لا ترشح الاَّ ٤٠٠ متر مكعب في اليوم وتبلغ نفقاتها تسع مئة جنيه فاذا اريد ترشيح كل مياه القاهرة وجب ان يكون عدد المرشحات كثيرًا جدًّا ونفقاتها باهظة وفائدتها مشكوك فيها

ثم ان الماء الذي يمكن اخراجهُ من هذه الآبار ميقلٌ رويدًا رويدًا فقد تقدَّم ان البئر التي كان يخرج منها اولاً ٥٠٠٠ متر مكعب في اليوم قلَّ ما يخرج منها فصار ٤٠٠٠ متر وقيس ما يخرج منها في يناير سنة ١٩٠٨ فوجد ٣٢٠٠ مترًا في اليوم ولا تزال القلَّة مازايدة فقد ظهر من لياس جديد ان الخارج من البئر لا يزيد على ٢٧٠٠ متر مكعب اي نقص ايراد البئر ٥٠٠ متر مكعب في غضون سنة

وقد جرى مثل ذلك في مدينة برسلو عاصمة سليسيا وسكانها ٤٢٢٠٠٠ نفس فقد كان سكانها يشربون من ماء نهر الاودر بعد ترشيحهِ وكان يموت منهم بالتفويد من ٦ الى ١١ في السنة من كل ١٠٠٠٠٠ نفس وخيف من دخول الكوليرا اليها سنة ١٨٨٢ فاشار بعضهم بحفر الآبار والاستقاء منها فحفروا ٣١٥ بئرًا وجعلوا البعد بين البئر والبئر ٢١ مترًا ولما ابتدأت سنة ١٩٠٥ كان المنتظر ان هذه الآبار تكفي تسعة اعشار حاجة المدينة ولكن الماء المخرج منها قلَّ رويدًا رويدًا من ٦٠٠٠٠ متر مكعب الى ٤٠٠٠٠ متر . ثم تغير هذا الماء فصار يحوي مقدارًا كبيرًا من الحديد . وقد كثر الحديد في الماء حتى لم يعد في الامكان غسل الثياب البيضاء بهِ . ولحسن الحظ ان المرشحات التي كان ماء النهر يرشح بها كانت لا تزال قائمة فعادت المدينة اليها

وهذا هو نفس ما ينتظر للقاهرة ولكن لا بدَّ من اصلاح طرق الترشيح القديمة . وكل احد يود الرجوع الى ماء النيل لاسيما وان الخسارة كبيرة من استعمال ماء روض الفرج في غسل الثياب لكثرة ما يلزم لهُ من الصابون ولان الثياب تتدبغ من غسلها بهِ فتتلف . ويقول النساء ان هذا الماء يجعل الشعر قصفًا فيتلفهُ

واكثر الوطنيين وهم الفريق الاكبر من السكان لا يزالون يشربون ماء النيل وهم يشربونهُ الآن غير مرشح وكانوا قبلاً يشربونهُ مرشحًا فالخطر من دخول الكوليرا والتيفويد بواسطة ماء النيل لم يزل في محلهِ بل قد زاد كثيرًا اذ صار ماء النيل يشرب من غير ترشيح

ثم ان عدد الوفيات من الاوربيين الساكنين في القاهرة كان ٢١٫٨ في الالف سنة ١٩٠٠ و ٢٥٫٥ في الالف سنة ١٩٠٣ و ٢١٫١ في الالف سنة ١٩٠٣ و ٢٥٫٦ في الالف

سنة ١٩٠٤ فلما صاروا يشربون من مياه هذه الآبار صار عدد الوفيات ٢٦٫١ في الالف سنة ١٩٠٥ و ٢٥٫٩ في الالف سنة ١٩٠٦ و ٢٧٫٤ في الالف سنة ١٩٠٧ . ولم ار ما يدل على ان الامراض التي تنتقل عدواها بالماء كالتيفويد قد قلّت عمّا كانت قبلاً ولا دليل على ان الصحة العمومية قد تحسنت بعد استعمال هذا الماء . واذا خيف من انتشار الكوليرا في القاهرة بشرب ماء النيل فهذا الخوف لا يزال في محله لان الذين يشربون ماء النيل الآن كثيرون وهم يكفون لنشر العدوى في المدينة اذا جاءتهم من ماء النيل

واخلاصة ان الاعتماد على مياه روض الفرج لا يخلو من الخطر لانها قد تقلّ عن الحاجة بغتةً وان العود الى ماء النيل اصلح لا سيما وان ٩٩ في المئة من السكان يفضلونهُ على ماء روض الفرج . ويقال ان ماء الاسكندرية يؤخذ من النيل ويرشح فيأتي وافياً بالمراد ونحن في لندن نشرب ماء تصب فيهِ اقذار مليون ونيف من السكان لكنهُ يرشح جيدًا فيصير صالحاً للشرب ويتوفر ما يخسرهُ السكان الآن في ثمن الصابون وتلف الثياب . انتهى باختصار

نقول انهُ لو جعلت الآبار سطحيةً مثل سواقي المعين التي في هذا القطر وأُحيطت بما يمنع وقوع الشوائب فيها لكان ماؤُها نقيًّا كماء النيل المرشح لانهُ يكون مرشحًا حقيقة بطبقة سميكة من التراب حسب بعد الآبار عن النيل ويكون خاليًا من املاح الحديد والمنغنيس وكل المركبات الكيماوية . وماء السواقي هو ماء النيل مرشحًا واذا كانت في ارض زراعية قريبة من النيل فلا تخالطها املاح تضرُّ بالصحة او تخلُّ الحديد ولو زرعت تلك الارض . وقد شرب الناس ماء السواقي المعين من ايام المصريين الاقدمين الى الآن ولم يصبهم منها الا ضرر بل يكون من شربها نفع غذائي لان المواد الذائبة فيها ممّا يغذي لا ممّا يضر بالصحة والامر الذي يرتاب فيهِ هو مقدار الماء الذي يمكن استخراجهُ من هذه السواقي يوميًّا وهذا لا تتعذر معرفتهُ بالامتحان اذا لم تكذب الحقائق العلمية والمعلومات الاختبارية . ويظهر لنا ان عشرين ساقية كل ساقية منها مثل الساقية باربعة اوجه يخرج منها من الماء يوميًّا اكثر من ثمانين الف متر مكعب فهي تكفي مدينة سكانها ثمانمئة الف نفس ولا يتعذر حفر هذه السواقي في ارض طولها الف متر الى الفين وعرضها مئتا متر ويوصل بينها بالمواسير ويخرج الماء منها بآلة رافعة وهذا يستحق الامتحان في سافتين او ثلاث لمعرفة خواص الماء ومقدار الايراد

الغزالي (١)

ترجمتهُ وتعاليمهُ

ايها السادة °

على نحو عشرة فراسخ من مدينة نيسابور قاعدة خراسان توجد ولاية طوس وبها مدينتان الطابران ونوقان ومن الطابران بزغت شمس الامام ابي حامد محمد الغزالي سنة ٤٥٠ من الهجرة النبوية

وكان ابوهُ فقيرًا صالحًا لا يأكل الاَّ من كسب يدهِ في عمل غزل الصوف بطوس ولما ادركتهُ منيتهُ كان ابو حامد هو واخوهُ ابو الفتوح احمد صغيرين فاوصى بهما الى صديق لهُ متصوف من اهل الخير وقال لهُ "ان لي تأسفًا عظيمًا على تعلم الخط واشتغلي استدراك ما فاتني في ولدي هذين فعلّمهما ولاعليك ان تنفد في ذلك جميع ما اخلفهُ لهما" . فلما مات اقبل الصوفي على تعليمهما الى ان فني ذلك النزر اليسير الذي خلفهُ لهما ابوهما وتعذر على الصوفي القيام بقوتهما فقال لهما اعلما اني قد انفقت عليكما ما كان لكما وانا رجل من الفقر والتجرد بحيث لا مال لي فاراسيكما بهِ واصلح ما ارى لكما ان تلجأ الى مدرسة فانكما من طلبة العلم فيحصل لكما قوت يعينكما . ففعلا ذلك وكان هذا هو السبب في سعادتهما وعلو درجتهما وكان الغزالي يحكي هذا ويقول طلبنا العلم لغير الله فأبى ان يكون الاَّ لله

تعلم الغزالي

قرأ في صباهُ الفقه على احمد بن محمد الراذكاني براذكان وهي احدى قرى طوس . ثم رحل الى جرجان قاصدًا أبا نصر محمد بن ابي بكر الاسماعيلي رئيس علماء جرجان فاخذ عنهُ حجًّا وكتب عنهُ تعليقة ثم عاد الى طوس . وقد حصل لهُ في عودتهِ حادثة لفتت نظرهُ الى امر عظيم يرقيهِ في مستقبل ذلك ان الطريق قطعت عليهِ واخذ العيّارون جميع ما معهُ ومن ضمنهِ مخلاة فيها ما كتبهُ عن شيخهِ بجرجان . فتبع العيّارين ولما رآهُ مقدمهم قال لهُ ارجع ويحك والاَّ هلكت فقال لهُ الغزالي اسألك بالذي ترجو السلامة منهُ ان تردَّ عليَّ تعليقتي فما في شيء تنتفعون بهِ . فسألهُ عن تعليقتهِ فقال كتب هاجرت لسماعها وكتابتها ومعرفة

(١) خطبة القاها حضرة الاستاذ محمد الخضري المدرس بمدرسة القضاء الشرعي في جلسة نادي دار العلوم المنعقدة في ٢٣ ابريل سنة ١٩٠٩

عليها. فضحك وقال كيف تدعي انك عرفت علمها وقد اخذناها منك فخرجت من معرفتها وبقيت بلا علم. ثم امر بعض اصحابه فسلمها اياها. ولما رجع الى طوس اقبل على الاشتغال بما معهُ حتى صار علمهُ في قلبهِ لا في كتبهِ

ثم تاقت نفسهُ الى ارقى مما حصل فسار الى نيسابور وبها الامام الجليل عبد الملك بن عبدالله بن يوسف الجوَيني النيسابوري الشهير بامام الحرمين وهو شيخ الوقت وامام الشافعية. وكان امام الحرمين ممن لم يعقهم عائق التقليد فلم يكن يتقيد برأي امامهِ فيما لم يرَ لهُ فيهِ حقًّا بل كثيرًا ما خالف الشافعي وهو الذي ينسب اليهِ في الفقه وخالف الاشعري وهو الذي ينتسب اليهِ في اصول الدين وقد كان ذلك مما يجرُّ عليهِ احيانًا ما لا ينجو منهُ عالم باحث في مثل الوسط الذي كان فيهِ امام الحرمين. تلقى الغزالي عن هذا الامام العظيم العلوم الشرعية فكان لهُ من حرية استاذهِ واستعدادهِ وهو اعظم معين على الرقي الذي سادهُ. قرأ عليهِ الفقه والخلاف والجدل والاصول والمنطق فبرع فيها حتى كان امام الحرمين يصفهُ بانهُ بحر مغدق. ولم يزل معهُ حتى توفي الامام سنة ٤٧٨ من الهجرة فغادر نيسابور قاصدًا الوزير ابا علي الحسن بن علي الطوسي الملقب بنظام الملك وزير السلطان ملكشاه السلجوقي (ولد نظام الملك سنة ٤٠٨ وقتل سنة ٤٨٥) وكان هذا الوزير غرة في جبين الدولة السلجوقية بل لا نبالغ اذا قلنا انهُ لم يأتِ في عصر بني العباس وزير مثلهُ فهو مؤسس المدارس النظامية (نسبة اليهِ) ببغداد ونيسابور وبلخ وغيرها من امهات المدن في العراق وفارس ونظامية بغداد ابتدئ بعمارتها سنة ٤٥٧ وانتهي منها سنة ٤٥٩ وكان يتولى التدريس بها اكبر علماء الشافعية بالعراق. وهو اول من جعل لطلاب العلم معلومًا يتناولونهُ

لما قابل الغزالي نظام الملك بالمعسكر قدسهُ لمن بحضرتهِ من العلماء فناظرهم وناظروهُ فظهر عليهم بظهور فضلهِ فاعترفوا لهُ بالنبوغ وحينذاك ولاهُ الوزير التدريس بنظامية بغداد وامرهُ بالتوجه اليها فقدم بغداد سنة ٤٨٤ وادى بها الدرس وكان يحضر درسهُ من كبار العلماء المدرسين ببغداد ثلاث مئة. ولم يكن يحضر بالمدارس النظامية الا من قاربوا الانتهاء في علومهم فهي تشبه من بعض الوجوه المدارس العالية في ايامنا

اقام الغزالي يدرّس بالمدرسة النظامية الى سنة ٤٨٨ وفيها خرج الى البلد الحرام قاصدًا الحج واستناب في التدريس اخاهُ ابا الفتوح احمد. ثم ذهب الى دمشق سنة ٤٨٩ ومنها زار بيت المقدس. ثم عاد الى دمشق واقام بها مدة معتكفًا متجردًا عن الدنيا ومشاغلها. ثم قدم الاسكندرية فاقام بها مدة وكان عازمًا على الرحلة الى المغرب الاقصى لمقابلة امير دولة

الملثمين يوسف بن تاشفين سلطان المغرب فبلغهُ موتهُ فعدل عن ذلك واستقر بجوب البلدان ويزور المشاهد ويأوي الى القفار ويروض نفسهُ ويجاهدها ثم عاد الى بغداد وعقد مجلس الوعظ ثم انتقل الى خراسان ودرس بالمدرسة النظامية بنيسابور بعد الجمع شديد ولكنهُ لم يطق المقام فعاد الى طوس واتخذ جانب دارهِ مدرسة للفقهاء وخانقاه للصوفية ووزع اوقاتهُ على العلم والعمل حتى توفي سنة ٥٠٥ من الهجرة

تقلباتهُ الفكرية

كان الغزالي في بدء حياتهِ العلمية تنتابهُ همة الاشتغال بالفقه واصولهِ وتحقيق مباحثهما والاكثار من التنقيب والتفريع على عادة الفقهاء حتى برّز على الاقران وانتهت اليهِ الرئاسة بالعراق وخراسان والف في الفقه الكتب الكبيرة على الطريقة المألوفة وكانت نشأتهُ في وقت غلا فيهِ مرجل العصبية بين الحنفية والشافعية فكان اكبرهم العلماء من رجال المذهبين ان يتقنوا كيفية الجدل ومنازعة الخصوم ليستظهروا على اقرانهم ومخالفيهم في الآراء حتى لقد نقل عن اعلامهم كيا والشهرهم اسماً وهو ابو حامد الاسفرايني الحديث الآتي قال ابو حيان التوحيدي سمعت الشيخ ابا حامد يقول لطاهر العباداني — لا تعلق كثيراً لما تسمع مني في مجالس الجدل فان الكلام يجري فيها على خلل الخصم ومغالطتهِ ودفعهِ ومغالبتهِ فلسنا نتكلم لوجه الله خالصاً ولو اردنا ذلك لكان خطونا الى الصمت اسرع من تطاولنا في الكلام وان كنا في كثير من هذا نبوء بغضب من الله تعالى فانا مع ذلك نطمع في سعة رحمة الله من طبقات الشافعية لابن السبكي

تربى الغزالي على هذا المبدإ مبدإ البحث والنظر والجدل حتى ذاع صيتهُ ونال الجاه الوفير والحظ العريض وصار شيخ مشايخ العراق في عهدهِ

وفي ذلك الزمن كانت آراء الفلاسفة قد تمكنت من فئة عظيمة من المسلمين وبرّز في اخراجها للناس الرئيسان ابو علي بن سينا وابو نصر الفارابي وغيرهما فشاعت تلك التعاليم ولكن الفقهاء وقفوا بينها وبين العامة حتى لا تشوش عليهم عقائدهم واغضوا على تلك التعاليم بالتزييف من غير ان يكلفوا انفسهم العناء في استكشاف ما عليهِ اولئك الفلاسفة . اراد الغزالي ان يكون لهُ سهم في مناضلة الفلاسفة ولكنهُ لم يكن رازحاً تحت عبء التقليد كيف وهو تلميذ امام الحرمين فرأى من الحكمة ان لا يتعرض لتسفيه تلك الآراء حتى يحيط بها علماً فشغل نفسهُ بتعرف الفلسفة وما فيها من المباحث حتى يكون كلامهُ فيها عن خبرة لا عن تقليد . مكث على ذلك ثلاث سنين حتى استكنه ما عند القوم وعند ذلك شرع في كتابهِ

الذي سماه تهافت الفلاسفة وقد نهج فيهِ منهجاً خالف فيهِ سلفهُ في المناظرة فقسم ابحاثهم الى ثلاثة اقسام

(الاول) ما يرجع النزاع فيهِ الى مجرد الالفاظ وهذا لم يتعرض لهم فيهِ فانهُ بعد الاتفاق على المسمى لا معنى للاختلاف في اطلاق اللفظ

(الثاني) ما لا يصدم مذهبهم فيهِ اصلاً من اصول الدين كقولهم ان كسوف القمر عبارة عن اتحاد ضوئهِ بتوسط الارض بينهُ وبين الشمس من حيث انهُ يقتبس نورهُ من الشمس فاذا وقع القمر في ظل الارض انقطع عنهُ نور الشمس وكقولهم ان كسوف الشمس معناهُ وقوف جرم القمر بين الناظر وبين الشمس وذلك عند اجتماعهما في العقدتين على دقيقة واحدة. قال وهذا الفن لسنا نخوض في ابطالهِ ومن ظن ان المناظرة في ابطال هذا من الدين فقد جنى على الدين وضعّف امرهُ فان هذه الامور تقوم عليها براهين هندسيّة وحسابيّة لا تبقى معها ريبة فمن يطّلع عليها ويحقق ادلتها حتى يخبر بسببها عن وقت الكسوفين وقدرهما ومدة بقائهما الى الانجلاء اذا قيل لهُ هذا على خلاف الشرع لم يسترب فيهِ وانما يسترب في الشرع. وضرر الشرع ممن ينصره لا بطريقهِ اكثر من ضررهِ ممن يطعن فيهِ بطريقهِ. وهو كما قيل عدو عاقل خير من صديق جاهل. ثم قال واعظم ما يطعن بهِ الملحدة ان يصرح ناصر الشرع بان هذا واشباههُ على خلاف الشرع فيسهل عليهم طريق ابطال الشرع ان كان شرطهُ امثال ذلك. وحدا لان البحث في العالم عن كونهِ حادثاً او قديماً ثم اذا ثبت حدوثهُ فسواء كان كرة او بيضاً او مثلثاً او مسدساً وسواء كانت السموات وما تحتها ثلاث عشرة طبقة كما قالوهُ او اقل او اكثر فنسبة النظر فيهِ الى البحث الالهي كنسبة النظر الى طبقات البصل وعدد حب الرمان فالمقصود كونها من فعل الله كيفما كانت

(الثالث) ما يتعلق النزاع فيهِ باصل من اصول الدين وهذا هو الذي نازعهم فيهِ مع ادب لم نرهُ لغيرهِ ممن نازعوا الخصوم في عقائدهم

وهذه المبادىء الثلاث التي سنها الغزالي في المناظرة مع مخالفيهِ لم نرَ كثيراً من علماء الدين من سار عليها وهي البعد عن النزاع في الالفاظ وعن النزاع فيما اثبتتهُ براهين الهندسة والحساب واستعمال الادب في المناظرة. هذا ابن حزم مع علو كعبهِ في العلوم الاسلاميّة الف كتابهُ في الملل والنحل شرح فيهِ مذاهب الخصوم وآراءهم ثم انبرى للرد عليها بقول تلحقهُ شنعتهُ وتدركهُ تبعتهُ. وطالما طرق سامعنا وهو في بدء تعلمنا ان القول بكرويّة الارض كفر والاشتغال بالكيميا والطبيعة كفر وما ماثل ذلك من الاقوال كأنهم لم يستفيدوا شيئاً

من قول هذا الامام الذي اطنهُ منذ ٨٤٠ سنة

ألَّف الغزالي كتاب الفلاسفة فرمتهُ العيون بالاجلال والاعظام وصار امام اهل عصره حجة الاسلام غير مدافع واليهِ ينتهي الدفاع عن حوزتهِ . صادف في ذلك الوقت شيوع آراء الباطنية وظهورهم بمظهر القوة بقلعة المرت وكادت آراؤهم تحوز مكانًا عليًّا في النفس بعض العامة لما يزخرفونهُ من الاقوال في سبيل تأييد دعوتهم فانتدب الغزالي للرد على هذه الدعوة واظهار عوارها فكتب في ذلك جملة كتب على طريقتهِ الادبية الجدلية فكان ذلك مما زاد في أكبارهِ واعظامهِ في نظر حكومة الوقت

وبينما الرجل في منتهى ابهتهِ اذ خطر لهُ خاطر صغر امرهُ في عينهِ . رأى ان ما هو فيهِ لا يصلح نفسهُ ولا يقربها من الملإ الاعلى بل بالعكس هو مما يزرع الاخلاق الرديئة من الكبر والتعاظم والحسد والمنافسة الى غير ذلك مما يبعدهُ عن الله سبحانهُ فخطر ببالهِ ان يترك كل ما فيهِ من هذه المظاهر ويتجرد بنفسهِ يهذبها ويروضها حتى يقلع ما غرس فيها من رديء النبات ويستبدل بهِ ما هو خير منهُ فترك بغداد قاصدًا الاماكن المقدسة واستمر رحالة بعيدًا عن نقائص هذا العالم ولما عاد لم يرضَ بمعاودة ما جلب عليهِ تلك الشرور النفسية بل ذهب الى بلدهِ واذ ذاك تغيرت حال الرجل من فقيه جدلي الى مؤمن صوفي يرى الخُلق الحسن فوق كل شيء وان العلوم اذا لم تكن معها الاخلاق فهي احط من درجة الجهالة لانها تزيد الفساد في نفس متعلمها وحينذاك كتب كتابهُ الشهير باحياء علوم الدين ضمنهُ خلاصة ما نال في حياتهِ وما استخلصهُ من رياضتهِ نفسهُ فهو ثمرة سعيٍ فقيه مُرَبٍّ وقد بسط فيهِ رأيهُ عن الطريقة التي كان بها العلم والتعليم لزمنهِ وضربها ضربة شديدة

ستأتي البقية

باب الزراعة

الزراعة المصرية منذ مئة عام

(١١)

زراعة الكتان

يزرع الكتّان في اسيوط والمنيا والفيوم وداخل الدلتا في اجود الاراضي واسهلها ريًّا بمعدل اردب في كل فدان . وفي الواسطة وصعيد يزرعونهُ في اسيوط على اثر انحسار الماء

في الارض فيضر ولا يلزم تغطيتهُ بالمرث . وفي كل مدة اقامتهِ في الارض لا تدعو الحال الى شيء من الاعتناء بامرهِ

وبعد ثلاثة اشهر ونصف من زرعهِ يدرك فيقتلعونهُ ويجزمونهُ حزماً فيبلغ محصول الفدان نحو ٤٠٠ حزمة او خمسة احمال جمل . ويأتون بالحزم الى حيث يستخرجون الحب منها فيصفونها على شكل دائرة يضعون " بلاصة " في وسطها على مرتفع مصنوع من الحزم ايضاً ثم يعمدون الى كل حزمة فيفصلون شيئاً منها بقدر ما تحيط بهِ قبضة اليد يضربون برؤوسهِ على البلاصة فيتناثر الحب ويقع ضمن الدائرة ويكررون هذه العملية الى ان ينتهوا من دق جميع ما لديهم

ثم يعيدون حزم الحزم ويأتون بها الى بركة يخزنونها على مقربة من احدى الآلات الرافعة للماء فيغرزونها في ارض البركة منعاً لعومها ويغمرونها بالماء ١٥ او ٢٠ يوماً الى ان تتشرَّب منهُ جيداً فيخرجونها ويعرضونها للشمس حتى تجف فيرضّونها بالضرب عليها بنبوت وهي مُسندة على حجر فتخلّ الخيوط من اللحاء فيفصلونها ويمرّونها في مشط من حديد لتنقيتها مما يكون عالقاً بها من بقايا اللحاء واذ ذاك تصير صالحة للاتجار بها

ويستخرجون من كل ٤٠٠ حزمة نحو ٦٠٠ رطل من خيوط الكتان الصالحة للغزل يباع الرطل منها في جهات اسيوط فيبلغ ثمن الفدان نحو ٨٥ قرشاً

اما في جهات الفيوم والدلتا فتختلف زراعة الكتان عنها في اسيوط بكون حالة الري تقضي بحرث الارض ثلاث دلعات حرثاً متقاطعاً قبل الزرع وسقي ما يزرع كتاناً من الاراضي التي تروى بالآلات كل ١٥ او ٢٠ يوماً

ويجني الفدان من بزر الكتان نحو ٣ ½ اردب يباع الاردب منه بنحو ٢٠ قرشاً

ويستعمل جانب من غزل الكتان في البلاد وخصوصاً في اسيوط والفيوم والدلتا حيث يكثر المشتغلون بحرفة الحياكة ويصدّر الباقي الى الخارج ولا سيما الى جزائر الارخبيل الرومي . ويستخرج من بزرهِ زيت الكتان يستعملونهُ للاستصباح وغيرهِ

اما زراعة القنب فمهملة عند المصريين لانهم يجهلون طريقة استعمالهِ نسيجاً . فهم انما يزرعون منهُ شيئاً يسيراً على جوانب الحقول يستخرجون منهُ متيوناً تخدّرًا يقوم مقام الافيون

(١٢)

زراعة القطن

يُزرع القطن في جميع انحاء القطر المصري وخصوصاً في شمالي الصعيد وفي الدلتا .

ويختلف وبعهُ وطريقة زراعتهِ باختلاف الاماكن . ففي جهات فنا يزرعونهُ مرتين احداهما في اوائل ابريل والاخرى في شهر يوليو . فيعدون الارض اولاً بالفلاحة ثم يقسمونها الى مربعات يقع كل مشتى مربع منها في فدان ويزرعون جوانبها قطناً واواسطها بامياء او ملوخية . وقلما يزرعون القطن في اواسطها

وفزرع القطن يحفرون في محيط هذه المربعات حفرًا صغيرة على عمق ثلاث بوصات تبعد الواحدة عن الاخرى نحو متر ويضعون في كلٍّ منها ٤ او ٥ بزرات

اما زراعة ابريل فاكثر نفقةً لما يترتب عليها من زيادة العمل في الري بالشادوف اذ يكون النيل متخفضاً في هذا الفصل فتروى الارض من ثلاثة او اربعة مواقف للشادوف يتدرّج بعضها عن بعض في العلوّ . فيروونها كل ٢٧ يوماً مرة . ويستخدمون نفرين لكل شادوف . وما يزرع في هذا الاوان يستغل في شهر اغسطس فما بعده

واما الزراعة التي تقع في زمن الفيضان فاسهل مراساً غير انهُ يتأخر ادراكها الى الشتاء فلا يجنونها الاَّ في اوائل مارس من السنة التالية . ولذلك تقل زراعة هذا الفصل في نواحي القصر

وتبتدئ النباتات في الخروج بعد الزرع بخمسة ايام وفي الازهار بعد ذلك بخمسة اوستة اشهر . وبعد ثلاثة اشهر من ظهور الزهر يشرعون في جمع القطن فيستخدمون لذلك النساء والاولاد يجمعونهُ يومياً بالابدي ثم يحلجونهُ بحلجة على غاية البساطة

ويستلزم القطن ريًّا دائماً في ما سوى اربعة اشهر الشتاء . ولكن بينما يلزم اربعة مواقف شادوف في زراعة الصعيدي لا يلزم سوى موقف واحد في زراعة الدمياطي مثلاً

وتبلغ النفقة على اعداد الارض لزراعة القطن من ١٦ الى ١٩ فرنكاً لكل فدان

ولا يزرعون القطن في حقول تزيد مساحتها عن ثلاثة افدنة بل يفضلون التي مساحتها فدان واحد او فدان ونصف

وتعيش شجيرة القطن من ٨ الى ١٠ سنوات . ففي الثلاث سنين الاولى يزرعون الباميا وغيرها من النباتات البستانية بين شجيرات القطن . اما في السبع السنوات الاخيرة فيبطلون زرعها بين شجيراته التي جنّ ما تلقى من اهتمام المزارعين تشذيبها بتكبير اغصانها اليابسة لتزداد بذلك نموًّا . ولكنها مع ذلك تأخذ في الذبول والانحطاط بعد السنة الثالثة

وتقدَّر غلة الفدان الجيد بثلاث مئة رطل قطناً تباع بنحو مئة فرنك

ويستعمل القطن الصعيدي في معامل الانسجة البلدية مفضلاً على القطن السوري

ذلك ان القطن يزرع مرتين في الصعيد وان شجيراته قد تقيم في الارض حتى ٣ سنوات

اما في الوجه البحري فزراعتهُ سنوية وهو لا يزرع الاَّ مرة واحدة في اوائل ابريل بعد زراعة الحنطة . وبما ان الارض تكون شديدة الجفاف في هذا الاوان يروونها ريًّا مشبعًا ثم يحرثونها ويحفرون فيها حفرًا صغيرة تبعد الواحدة عن الاخرى من ٢٠ الى ٣٠ سنتيمترًا يزرعون فيها بزر القطن . ليقتضي لزراعة الفدان ١٠ فعلة يزرعونهُ في يوم

وفي مدة الخمسة الاشهر التي تقيم فيها شجيرات القطن في الارض يسقونها ثلاث دفعات منها اثنتان بالسواقي والثالثة بماء الفيضان

ويبدأون بجني القطن من اوائل سبتمبر فيقتلعون الشجيرات بما عليها من القطن ويضعونها في اماكن خاصة حيث يتركونها نحو ٣٠ يومًا الى ان تجف فيستخدمون حينئذٍ النساء والاولاد لجمع القطن من الجوز . ويلزم نحو ٦٠ شخصًا لجني الفدان

ويبلغ ريع الفدان في جوار منصورة من قنطار ونصف الى قنطارين بمعدل القنطار ١٢٠ رطلاً . ويباع القنطار بخمسين فرنكاً في زمن السلم وبثلاثين فرنكاً في زمن الحرب

ومما يستحق الذكر ان اهالي مديرية المنصورة يجمعون القطن وهو على شجيراته في كل صباح من الفجر الى الساعة الثالثة بعد شروق الشمس ولا يقتلعون الشجيرات الاَّ بعد الانتهاء من الجني

(١٣)

زراعة النيلة (النيل)

لا يشتغل عادةً في زراعة النيلة الاَّ الموسرون من ذوي الاملاك وقد يشاطرها الفلاحون باشتراك بعضهم مع بعضهم في زرع حقول معينة واستخراج جنيها

واهم الاماكن لزراعة النيلة جهات اعالي الصعيد وخصوصًا قنا وجرجا ويتلوها جهات شمالي الصعيد فتقل زراعتها تدريجًا وتنقطع تمامًا عند ضواحي القاهرة . ولا يلتفت اليها في الوجه البحري مطلقًا

وفي الجهات القبلية من الصعيد يشرعون في زرعها في اوائل شهر يونيو فيحرثون الارض حرثتين متقاطعتين ويقطعونها الى مربعات كبيرة يحفرون فيها حفرًا صغيرة على ابعاد ١٥ سنتيمترًا يزرعون في كل منها ٣ او ٤ حبات من حبوب النيلة ثم يغطونها ويسوون سطوح المربعات بالمخمة (المشوحه) لتسقى بالتساوي

ويأتون عادةً "بالتقاوي" من سوريا لانها اجود من "التقاوي" المصرية . وبعد ثلاثة اشهر من الزرع يجزُّون نبات النيلة لاول مرة وينقلونهُ الى خيبة طولها خمسة امتار وعرضها

اربعة امتار وهناك يقطعونهُ قطعاً صغيرة بسكين كبير ويضونهُ في دنان كبيرة على الدنّ منها ٨٠ سنتيمترًا وقطرهُ ٦٠ سنتيمترًا . يطمرونها في الارض الى اعناقها ويملأون ثلثيها بالماء الفاتر ويغطونها باغطية مجدولة من خوص النخل في سطح كلٍّ منها ثقبان يدخلون منهما عصيًّا يحركون بها قطع النبات مرات عديدة كل يوم الى ان ينضج منها الصباغ . فينقلون الماء الملون حينئذٍ الى جرار كبيرة مثقوبة من جوانبها في ثلاث اماكن عمودية بعد الثقب الواحد عن الاخر نحو ١٦ سنتيمترًا وبعد ٦ ساعات ينزعون سداد الثقب الاعلى ثم سدادي الثقبين الاخرين كلاًّ في حينهِ فيخرج الماء الصافي وتبقى الرواسب النيلية تحت مساواة الثقب الاسفل في قاع الجزة . ويكررون هذه العملية في عدة جرار حتى يستنزفوا المادة الملونة من النبات فيجمعونها الى اناء واحد يتركونها فيهِ ٢٤ ساعة الى ان ترسب فيصفونها من الماء الذي يعلوها ويضعونها في حفرة يغشونها بالرمل ويتركونها ساعتين لتصير بقوام العجين فيخرجونها ويفرغونها في قوالب تجفف تمامًا وتصير صالحة للتجارة فيبيعونها « قوالب » يزن الواحد منها بين رطل ونصف ورطلين

ويجزّون نبات النيلة ثانية وثالثة ورابعة كل ٣٥ يومًا مرةً ويستخرجون الصباغ منهُ على نحو ما ذكرناهُ فتستغرق زراعتهُ نحو ٨ اشهر . ويقلُّ جني كل جزة عن التي قبلها على نسبة ٤و٣و٣و١ اي ان ربع الجزة الاولى للفدان يبلغ ١٦٠ فرنكاً والثانية ١٢٠ فرنكاً والثالثة ٨٠ فرنكاً والرابعة (وقد يستغنى عنها) ٣٠ فرنكاً على معدل ثمن الرطل من صباغ النيلة بين ١٦ و١٨ بارة . فانهم يجنون من جزّة الفدان الاولى نحو ٢٥٠ رطلاً ثم يقلُّ الربع على المعدل المذكور آنفاً

وتستمر حقول النيلة في الجني ثلاث او اربع سنين غير ان السنة الاولى اكثرها ريعاً . ويبلغ خراج الفدان المزروع نيلة نحو ٢٠ فرنكاً سنويًّا

اما في جهات بني سويف والجيزة حيث تزرع النيلة بمقادير متوسطة فانهم يشرعون في زرعها في اول مارس في اثلام متحاذية يخطونها بالمحراث على ابعاد ٣٥ الى ٣٠ سنتيمترًا . ويجرون على نفس الطريقة المتقدم وصفها في استخراج الصباغ . غير انهم لا يجزون النبات الاّ ثلاث دفعات سنويًّا ولا يستبقونهُ في الارض اكثر من سنتين

وفي هذه الجهات يستغلون من الجزة الثانية أوفر مما يستغلون من الجزة الاولى . فيجنون من الفدان في الجزة الثانية ١٦٠ رطلاً من الصباغ تباع بين ٣٨ و٥٧ فرنكاً تبعاً لرواجها ومما يجدر ذكرهُ ان الحقول الواطئة لا تصلح لزراعة النيلة مثل الحقول العالية لان

مياه الفيضان تكلف نبتها اذا غمرته ولذلك يلزم لزراعته شديد الاهتمام والعناية ومع ذلك فقد شوهد بضعة حقول مزروعة نيلة على يمين فرع النيل الغربي في الوجه البحري

الصادرات الزراعية

يظهر من تقرير الجمارك المصرية عن الثلاثة الاشهر الاولى من هذه السنة ان قيمة الصادرات الزراعية زادت فيها عما كانت عليه في الثلاثة الاشهر الاولى من العام الماضي كما ترى في ما يلي

البيض زادت قيمة الصادر منه		٥٠٣١٠	جنيهات
سائر الاطعمة الحيوانية زادت قيمتها		٠١٧٦٣	جنيهاً
الجلد القطير	» قيمته	٠١٨٤٦٦	»
الجلد الدبيغ	» »	٠٥١٦٦	»
ريش النعام	» »	٠١٩٤٦	»
الارز	» »	٠٣٥٦٢	»
بزرة القطن	» »	٥٨٥٠٩	»
البصل	» »	٣٢٧٨٩	»
السكر	» »	٩٩٩٣١	»
زيت القطن	» »	٠١٥٧٤	»
الحنا	» »	٠١٥٧٤	»
والجملة		٢٠٥٢٦٣	

اي ان هذه الصادرات الزراعية زادت قيمتها في الثلاثة الاشهر الاولى من هذه السنة اكثر من مئتي الف جنيه ولكن نقصت قيمة القطن الصادر نحو تسعين الف جنيه ونقصت قيمة صادرات اخرى صناعية فبقي من الزيادة ١١١٥٧٢ جنيهاً

الواردات الزراعية

اما الواردات الزراعية فقد زادت نحو ٣٠٠ الف جنيه كما ترى في هذا الجدول

الزبدة زادت قيمتها	٠٣١٦٤	جنيهاً
الجبن زادت قيمتهُ	٠٥٣٨٧	»
القمح » »	٣٦٩٨٠	»
الذرة زادت قيمتها	١٥٩٩٣	»
الرز » قيمتهُ	١٣٢٢٨	»
البطاطس زادت قيمتهُ	٠٠٥٩٠١	»
الدقيق زادت قيمتهُ	١٩٠٥٣٩	»
انواع اخرى من الدقيق	٠٢٤٠٩٢	»
الاثمار المقددة زادت قيمتها	٠٢٣٩٩٤	»
والجملة	٣١٨١٧٨	

اي ان الزيادة في ثمن هذه الواردات الزراعية كانت اكثر من ٣٠٠ الف جنيه واكثرها في الدقيق ولكن نقصت قيمة اكثر الواردات الاخرى فناق النقص الزيادة نحو ٧٦٧ الف جنيه اي نقصت قيمة الواردات كلها ٧٦٧ وزادت قيمة الصادرات كلها ١١١ الف جنيه

والنقص في قيمة الواردات اكثرهُ في قيمة الآلات والادوات كالآلات البخارية ومركبات سكة الحديد وحبذا لو كان كلهُ في ما يستهلك كالاضمعة والاكسية لا في ما يعدهُ من موارد الثروة ذات الربح كالآلات والأدوات

المزروعات المختلفة وما تأخذهُ من الارض

(١) القمح وتبنهُ

اذا بلغت غلة فدان القمح ستة ارادب فيكون وزنها نحو ١٥٣٠ رطلاً مصرياً ووزن تبنها نحو ٢٦٥٣ رطلاً والجملة ٤١٨٣ رطلاً وهاك جدول ما تأخذهُ من الارض من العناصر الجوهرية عدا الكربون والماء

	في الحب	في تبنهِ	والمجموع
النيتروجين	٣٤	١٦	٥٠
الكبريت	٢٫٧	٥٫١	٧٫٨
البوتاسا	٩٫٣	١٩٫٥	٢٨٫٨

	في الحب	في تبنه	والمجموع
الصودا	٠٫٦	٦٫٠	٦٫٦
الجير	١٫٠	٨٫٢	٩٫٢
المغنيسيا	٣٫٦	٣٫٥	٧٫١
الحامض الفصفوريك	١٤٫٣	٦٫٩	٢١٫١
الكلور	٠٫١	٢٫٤	٢٫٥
السلكا	٠٫٦	٩٦٫٣	٩٦٫٩

(٢) الشعير وتبنه

تبلغ غلة الفدان الجيد من الشعير ثمانية اراديب ويبلغ وزنها ١٧٤٧ رطلاً ووزن تبنها ٢٠٨٠ رطلاً والجملة ٣٨٢٧ رطلاً . وهاك جدول ما تأخذه من الارض من العناصر الجوهرية عدا الكربون والماء

	في الحب	في التبن	والجملة
النيتروجين	٣٥	١٤	٤٩
الكبريت	٢٫٩	٣٫٢	٦٫١
البوتاسا	٩٫٨	٢٥٫٩	٣٥٫٧
الصودا	١٫١	٣٫٩	٥٫٠
الكلس	١٫٢	٨٫٠	٩٫٢
المغنيسيا	٤٫٠	٢٫٩	٦٫٩
الحامض الفصفوريك	١٦٫٠	٤٫٧	٢٠٫٧
الكلور	٠٫٥	٣٫٦	٤٫١
السلكا	١١٫٨	٥٦٫٨٠	٦٨٫٦

الذرة الشامية

اذا بلغت غلة الفدان من الذرة الشامية ستة اراديب بلغ وزنها ١٥٠٠ رطل ووزن عيدانها وكيزانها الخ اذا جفت تماماً ١٨٧٧ رطلاً والجملة ٣٣٧٧ رطلاً ويكون فيها من العناصر الجوهرية التي تأخذها من الارض ما يأتي عدا الكربون والماء

	في الحب	في العيدان الخ	والجملة
النيتروجين	٢٨	١٥	٤٣
كبريت	١٫٨	..	..
بوتاسا	٦٫٥	٢٩٫٨	٣٦٫٣
صودا	٠٫٢	..	..
كلس	٠٫٥	..	..
مغنيسيا	٣٫٤	..	..
حامض الفصفوريك	١٠٫٠	٨٫٠٠	١٨٫٠٠
كلور	٠٫٢	....	....
سلكا	٠٫٥	....	....

الفول

واذا بلغت غلة الفدان من الفول ستة ارادب بلغ وزنها ١٦١٣ رطلاً ووزن تبنها الجاف ١٨٤٨ رطلاً والجملة ٣٤٦١ وتكون قد اخذت من الارض والهواء من العناصر الجوهرية ما عدا الماء والكربون ما يأتي

	في الحب	في التبن	والجملة
نيتروجين	٧٨	٢٩	١٠٧
كبريت	٤٫٤	٤٫٩	٩٫٣
بوتاسا	٢٤٫٣	٤٢٫٨	٦٧٫١
صودا	٠٫٦	١٫٧	٢٫٣
جير	٢٫٩	٣٦٫٣	٣٩٫٢
مغنيسيا	٣٫٤	٥٫٧	٩٫١
فصفور	٢٢٫٨	٦٫٣	٢٩٫١
كلور	١٫١	٤٫٣	٥٫٤
سلكا	٠٫٤	٦٫٩	٧٫٣

البطاطس

اذا بلغت غلة الفدان من البطاطس ١٣٤٤٠ رطلاً فيكون فيها من العناصر المتقدمة ما يأتي

نيتروجين ٣,٧ . كبريت ٧٦,٥ . صودا ٣,٨ . جير ٣,٤ مغنيسيا ٣,٦ . فصفور ٢١,٥ . كلور ٤,٤ . سلكا ٢,٦

والناظر في هذه الجداول يرى لاول وهلة ان في غلة فدان الفول من النتروجين مضاعف ما في غلة غيره من الحبوب وكذا في تبنه من النتروجين ومعلوم ان النتروجين أكثر عناصر الطعام غذاء لانهُ يكوّن اللحم ولذلك فالفول أكثر غذاء من القمح والشعير وتبنهُ أكثر غذاء للمواشي من تبن القمح والشعير . ويظهر بادئ بدء ان الفول يضعف الارض اكثر مما يضعفها القمح والشعير ولكن ليس الامر كذلك لان النتروجين الذي فيهِ لا يأخذهُ كلهُ من الارض بل يأخذ اكثرهُ من الهواء فهو لا يفقر الارض بل يزيد خصبها بما تضيفهُ جذورهُ اليها من النتروجين الذي تأخذهُ من الهواء بواسطة الميكروبات التي تعيش فيها . وهذا الامر اي كون الفول لا يتعب الارض كان معروفاً من قديم الزمان ولو لم يعرف سببهُ العلمي

الصرف والمصارف

لما استفاض الانتشار في المعرض الزراعي الماضي ما عرضتهُ مصلحة الدومين من تأثير المصارف العميقة في زراعة القطن فقد ثبت لها ان الارض التي مصرفها عميق يجود القطن فيها جداً والتي بجانبها وهي مثلها تماماً ولكن ليس لها مصرف عميق لا تفور جذور القطن فيها ولا يجود

وهذا الامر من الحقائق المقررة وقد كان القطر المصري يستغني عن المصارف لما كانت الزراعة كلها شتوية والارض تروى ري الحياض ثم تجف ترعها في التحاريق وتنصرف المياه اليها اما وقد صارت الزراعة صيفية ايضاً وصارت الترع تمتلئ ماء في زمن التحاريق كما تمتلئ في زمن النيل فصارت المصارف ضرورية للاطيان ولا سيما اذا كان فيها شيء من الملح

وللمصارف فائدة ثانية غير فائدة غسل الطين من الملح وهو ان الهواء يتبع الماء الذي يغور في الارض و ينصرف منها فكأن المصارف واسطة لجعل الهواء يتخلل التربة ويحلل مرادها ويجعلها صالحة لغذاء النبات

ولها فائدة ثالثة وهي انهُ اذا كثرت المواد النباتية في الارض وانحلَّت فيها فقد تكون فيها حوامض تضرُّ بالزراعة لانها تتلف جذور الزرع بفعلها الكيماوي وبحرارتها فالماء الذي يصل اليها وينصرف من الارض يردها ويزيل هذه الحموضة منها

وقد جرَّب بعضهم جعل المصارف قليلة الغور اولاً حتى تصرف الطبقة السطحية من الاطيان في السنة الاولى ثم عمَّقها في السنة الثانية وزاد تعميقها في السنة الثالثة الى اعمق ما يمكن فاختسلت ارضهُ جيداً من الاملاح والحوامض ولم يخسر زراعة

ويصنع الاوربيون براميج مخصوصة للمصارف فيها ثُقوب من اعلاها تمتدُّ في اسفل المصرف ويردم فوقها فتصرف الارض من غير ان يضيع شيء منها واذا بقي فم المصرف الاخير مفتوحاً فلا خوف من تجمع الاتربة في هذه البراميج وسدها

ومع فائدة المصارف ولزومها لاحياء الاطيان وحفظ خصبها قد يكون منها ضرر اذا زادت عن حد اللزوم اذ تنصرف بها كل المياه التي ذاب فيها الغذاء من الارض ويقع ذلك بنوع خاص اذا كانت الارض رملية او خفيفة . فالارض التي تبقى رطبة يلزم لها المصارف ولا ضرر منها عليها والارض التي تجفُّ حالاً يجب ان لا تزاد مصارفها لئلاَّ تجففها كثيراً ولا يعود الزرع يجود فيها

مواشي الذبح

يرى كثيرون من الذين اهتموا بتربية المواشي للذبح ان ليس من تربيتها في هذا القطر ربح لغلاء العلف فيهِ لكن الذين دققوا البحث في هذا الموضوع يرون ان في تربيتها ربحاً وفيها خسارة ايضاً . اما الربح فاذا رُبيت الى ان تبلغ اشدها من النمو السريع فقط وذُبحت حينئذٍ واما الخسارة فاذا رُبيت بعد ذلك اي حينما يصير نموها بطيئاً او لا تعود تنمو . فالحمل ينمو في السنة الاولى والثانية ثم يقلُّ نموهُ او يتوقف عن النمو الاَّ اذا علف جيداً ليسمن . ويجب ذبحهُ حالما يتوقف نموهُ او يقل والاَّ صار علفهُ بعد ذلك خسارة لانهُ يكون لحفظهِ في حالة واحدة . فاذا بلغ وزن الحمل عشرين اقةً ووقف عن النمو وقف ثمنهُ عند ذلك الحد فيذهب العلف الذي يأكلهُ بعد ذلك خسارة . والعجل ينمو في السنة الاولى والثانية الى الثالثة ثم يقل نموهُ او يتوقف تماماً الاَّ اذا عُلف جيداً بقصد تسمينهِ فيجب ذبحهُ حالما يتوقف نموهُ او يقل لان العلف الذي يعلفهُ بعد ذلك يذهب سدًى . فاذا جرى مربو المواشي على هذه القاعدة وذبحوا كل خروف وكل عجل حالما يتوقف نموهُ صارت تربية المواشي للذبح تجارة رابحة

وتختلف انواع الغنم والبقر في الزمن الذي يتوقف نموها فيهِ وفي مقدار نموها بالعلف وفي توزع دهنها بين لحمها العبر . فاذا اريد تربية المواشي للذبح وجب ان تختار منها الاصناف التي تنمو وتسمن بسرعة اي التي يتحوّل الغذاء فيها الى لحم ودهن وهذه تكون قليلة الحركة في الغالب وان تختار الاصناف التي ظهر بالاختبار ان دهنها يتوزع بين عبرها فيطيب طعمهُ او يرغب فيهِ المشترون وذلك كلهُ من الامور الضرورية للربح من تربية المواشي

باب المراسلة والمناظرة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وايهاماً للهيم وتمهيداً للاذعان . ولكنّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فمن ورائهِ منهُ كلهِ . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي : (١) المناظر والنظير متفقان من اصل واحد فمناظراء نظيراك (٢) الى الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلّ ودلّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوّلة

المناعة وتباين الميكروبات

نشر حضرة الفاضل الدكتور شبلي شميل في مقتطف فبراير من هذه السنة مقالة ارتأى فيها رأياً جديداً في تعليل سير الامراض مستنداً في ذلك الى مذهب النشوء والارتقاء . ولم ترد هذه المقالة في باب المراسلة والمناظرة الاّ بقصد توجيه نظر المنتقدين اليها وابداء رأيهم فيها . ولذلك فاني استبيح حضرتهُ في ابداء ما عنّ لي في هذا الموضوع

قال "كنا في الماضي لا نعرف كيف نعلل سير الامراض واما اليوم فقد صار من السهل ان نعرف لماذا هذه الامراض تعرض كثيراً وتشفى كثيراً ولماذا غيرها لا يعرض الاّ مرة في العمر غالباً وسواها اذا عرض فقلما يفارق حتى الموت . فاذا علمنا ان الاحياء الدنيا التي تحدث هذه الامراض كالاحياء العليا انواع وتباينات وعلمنا كذلك ان صفات الانواع ثابتة او هي بطيئة التغير جداً وان التباينات متغيرة كثيراً لا تثبت زمناً طويلاً انجلى لنا سر اختلاف سير هذه الامراض فاذا كانت الامراض الميازمية كما يسمونها تعرض كثيراً وتشفى كثيراً فلأن اسبابها احياء دنيا من رتبة التباينات المتغيرة كثيراً القليلة الثبوت

واذا كانت الامراض التفاطية تشفى وقلما تعود فلان اسبابها الحية من رتبة الانواع الثابتة واذا كان السرطان والتدرن والجذام لا تشفى غالباً ولا تفارق حتى الموت فلانها ارقى في رتبة التوعيد ايضاً فصفاتها اشد ثبوتاً لذلك. واذا علمنا ان الشفاء من المرض والمناعة عليه سيان في طبيعتهما مهما كانت اقوال العلماء في تعليلهما ولعلهما نوعٌ من التكافؤ والائتلاف سهل علينا ان نفهم لماذا كانت المناعة ضعيفة قصيرة المدة في امراض الرتبة الاولى ثابتة طويلة المدة في امراض الرتبة الثانية ممتنعة (او هي غلبة المرض في هذا التنازع بينهُ وبين الجسم) في امراض الرتبة الثالثة "

لا اخالف حضرة الدكتور شميل في امكان تقسيم الاحياء الدنيا الى تباينات وانواع وانما اخالفهُ في الدليل الذي يستند اليهِ في وضع هذا التقسيم على الوجه المتقدم لما فيهِ من الضعف

يرى حضرتهُ برتاً عظيماً بين امراض الرتبة الاولى والثالثة ولذلك وصف الاولى بانها تعرض كثيراً وتشفى كثيراً وجعل اسبابها الحية في رتبة التباينات ووصف الثالثة بانها لاتشفى غالباً ولا تفارق حتى الموت ورفع اسبابها الى ارقى رتبة النوعية. على ان الاختلاف في سير امراض الرتبتين ينحصر في لفظتين. اولاهما نتيجة هذا السير اي غلبة الجسم او المرض في هذا التنازع. مع ان الغلبة هي في جانب الداء غالباً في التدرن والسرطان فلم تكن باقل من ذلك في الكلب والدفتيريا قبل اكتشاف المصل الشافي فيهما. فلو كانت غلبة الداء وحدها من ميزات النوع لوجب ان تعد الدفتيريا والكلب في امراض الرتبة الثالثة اذ ان المناعة كانت ممتنعة فيهما في عهدهما السابق وقد اصبحت الآن ميسورة بفضل المصل فانقلبت هذه الاحياء من عهد قريب الى رتبة التباينات وما تم في هذين الداءين فقد يتم في التدرن والسرطان بذات الطريقة او ببعض تعديل فلا عبرة في اختلاف الطرق. ومهما يعترض النجاح من العقبات في هذا السبيل فليس من المعقول ان نتخذ عجزنا الحالي عن شفاء الامراض التي لا تفارق حتى الموت دليلاً على ان اسبابها ارقى واثبت في النوعية لاسيما وانهُ قد ثبت ان الميكروبات التي يقول حضرة الدكتور شميل انها من رتبة التباينات ما هو ارقى تركيباً من باشلوس كوخ نفسهِ. وهذا لو كان لدينا الآن من الادلة ما يكفي لتقسيم الاحياء الدنيا الى تباينات وانواع مستندين في ذلك الى اساس متين جرياً على القاعدة المتبعة في علم التاريخ الطبيعي بالنسبة الى الاحياء العليا. غير ان عهدنا في الابحاث البكتريولوجية حديث لا يتجاوز ربع قرن

اما ان امراض الرتبة الاولى تعرض كثيراً بخلاف الثالثة فهو نتيجة قلة الشفاء في الاخيرة ومتى قدر لها الشفاء بواسطة المصل فلا غرابة بعد ذلك ان تماثل الاولى في سيرها فتعرض كثيراً اذ تشفى كثيراً

بقي علينا امر البحث في الامراض النفاطية التي تقع في الرتبة الثانية على رأي حضرة الدكتور شميل وهي اذا شفيت لا تعود غالباً فتكون اسبابها الحية من رتبة الانواع الثابتة حال كونها لو تأملنا في عدم عودة هذه الامراض لظهرت لنا هذه النتيجة وهي : انهُ بعد حصول الشفاء من هذه الامراض يقوم في الجسم سدٌّ حصين من المناعة بحيث ترجح في جانبهِ كفة التكافوء والائتلاف وتكون لهُ الغلبة الثابتة في التنازع ولن تتيسر للمكروب اسباب التوروذلك اقرب للدلالة على ضعف المكروب وانحطاطهِ في النوعية منهُ الى الدلالة على رقيهِ وثبوتهِ فيها . ولو ان طول مدة المناعة وثبوتها في الامراض النفاطية متأتٍ من كون اسبابها الحية من رتبة الانواع الثابتة لوجب ان يكون هذا القياس صحيحاً في امراض الرتبة الثالثة اي ان المناعة المكتسبة عقب الشفاء من التدرن والسرطان تكون ثابتة بحيث لا تخشى عودة الداء ويكون الشفاء من التدرن المرضي واقياً من التدرن الرئوي ولا ابالغ اذا قلت بتعدي شيء من هذه المناعة ممن كان مصاباً فشفي الى جسم اولادهِ ولكن ليس ما يؤيد ذلك لسوء الحظ لان من اصيب بالتدرن وشفي منهُ تماماً لا يكون الا اكثر عرضة لهُ من سواهُ وترث اولادهُ القابلية للداء بدلاً من المناعة وقوة المقاومة

هذا ما بدا لي نشرهُ مع التصريح بانهُ ليس غرضي المناقشة في مذهب الشر والارتقاء لانهُ امكان وجود تباينات وانواع في عالم الاحياء الدنيا وانما قصدت انتقاد القاعدة التي اتخذها حضرة الفاضل الدكتور شبلي شميل اساساً في تقسيمهِ وهي على ما هي عليهِ من الضعف وقلة الثبوت

الدكتور توفيق جهلان

تعليم العربية

سيدي صاحبي المتنطف الفاضلين

سرني ما قرأتهُ في الجزء الثالث من المتنطف تحت عنوان "مذهب جديد في تعليم اللغة العربية" وشكرت للكاتب اهتمامهُ بتسهيل طلب هذه اللغة

حقٌّ ان الخوض في هذه المباحث واجب لاسيما في هذا العصر عصر التقدم والارتقاء واكتشاف الحقائق والمناقشة فيها . ولماذا يشذُّ علم التعليم عن سائر العلوم لعلم الطب وعلم

الجراحة وعلم الفلك وسائر العلوم الطبيعيَّة لا تكاد تمضي سنة الاَّ ويضاف اليها اشياء كثيرة او يستبدل ما فيها بما هو اصلح منهُ تبعاً لناموس بناء الاصلح واذا كانت اللغة من العلوم الحية (ويجب ان تكون كذلك) فلا بد لها من الخضوع لهذا الناموس . وان يفسح سبيل تدريسها مجال للاصلاح بعد تمحيصهِ واقرار ذوي الآراء الصائبة عليهِ . فهذه الكتب الانكليزية في فن التعليم لا تمرُّ مدة طويلة دون ان يظهر منها شيءٌ جديد تطبعهُ المكاتب الكبيرة وتوزع نسخاً منهُ على كل رئيس مدرسة ليتصفحها ويبدي رأيهُ فيها حتى اذا وجدها ملائمة ادخلها الى مدرستهِ . وهذه المجلات الانكليزيَّة من مثل مجلة القرن التاسع عشر ومستشر رفيو ومجلة المجلات يندر ان تجيل نظرك في مجلد منها دون ان يقع على عدة مقالات في فن التعليم . اما نحن فعلى عكس ذلك وكأن لسان حالنا يقول "ليس في الامكان ابدع مما كان" — واذا بدا لواحد خاطر فنشرهُ وطلب من القراء مشاركتهُ في النظر فيهِ ابتغاء تمحيصهِ عاد اخيب من القابض على الهواء اذ لا يلقى مستحسناً ولا مستجيباً وعند ذلك فاما ان يتمسك بطريقتهِ ويقول السكوت رضى واما ان ينثني عنها لادياً وفتاً اضاعهُ في ما لم يجنِ فائدةً منهُ وكلاهما سيءٌ . اما حجة البعض بابتناء القديم على قدمهِ ففيها نظر . نعم انهُ لا يليق بالمرء ان يستبدل القديم بالجديد لمجرد كونهِ جديداً تبعاً للقول المأثور "لكل جديد طلاوة" ولكننا اذا تدبرنا هذا الجديد ومحصناهُ وشهد لنا عقلنا بافضليتهِ على القديم فما اجدرنا بترك هذا والتمسك بذاك

ومع اني لا اعدُّ نفسي ممن يؤخذ كلامهم حجة في هذه المباحث الاَّ ان الامانة في خدمة التعليم تطالبني باتخاذ انجع الوسائل واقرب الطرق لايراد الطلبة منتجات هذا الفن بقليل من الوقت وكثير من اللذة . فليسمح لي حضرة الكاتب بابداء رأيي في المذهب المذكور علَّنا نتوصل الى اماطة اللثام عن محيا الحقيقة "والحقيقة بنت البحث"

قال حضرتهُ انهُ لا يستحسن تعليم شيءٍ من اجرومية اللغة العربية . وهو رأي اوافقهُ عليهِ وقد اطلقنا سراحها من مدارسنا من مدة بعيدة

اما المادتان الاوليان من القواعد وهما "تعليم قسم كبير من القرآن الكريم مع فهم المعاني فهماً جيداً وما استسهل واستعذب وجاد الخ" فهو عما لا اراهُ . وماذا يقصد حضرتهُ من تلك الفرق الاولية من المدارس النظامية فان كان قصدهُ التلاميذ الذين هم دون الثانية عشرة فمتى وهم اضعف من ان تصل الى فهم ما يستظهرونهُ من القرآن على ان حشد الحافظة بما لا يفهم متعب لها ولا اصعب من تعلم ما لا يفهم ولا اقل من الانتفاع بهِ فضلاً عن ان ذلك مضاد

الاصول البيداجوجية التي اساسها القاعدة المشهورة "من المعلوم الى المجهول" بطرق الملاحظة والاستنتاج . واللغة مع ما فيها من النقل لا تعدم مجالاً واسعاً للفكر والملاحظة وهو اساس علمي البيان والبلاغة فلا تشذ عن القاعدة المذكورة. اما المذهب المذكور فيعدم عمل قوة الملاحظة عند اول عهد الطالب بالتعلم مع ان تهذيبها هو غاية العلم فقد قال الدكتور وطسن " ان غاية التعليم احياء قوة الملاحظة وتقويتها " وقال سبنسر في كتابه التهذيب " حقاً اننا لو تأملنا لرأينا قوة الملاحظة هي الاساس الضامن لكل نجاح . هي التي يحتاج اليها المصورون وعمال الطبيعة . وهي التي يعتمد عليها الاطباء في الوصول الى التشخيص الصحيح بل ان الفيلسوف هو من يلاحظ ما خفي عن غيره ويكتشف ما بين الامور من العلائق التي لم يرها غيره . وما الشاعر المجيد سوى ذاك الذي يكتشف جمالاً في الطبيعة يراه الآخرون بعد ما يعرضهُ عليهم ولكنهم لم يتوصلوا الى ملاحظتهِ قبلاً " الى ان قال " ان قوة الملاحظة تبتدىء في الولد وهو صغير جداً . وما اعجابهُ بما يحيط بهِ واستفهامهُ عن اشياء لا يعرفها ومعرفتهُ التي لم يكتسبها في المدرسة او من والديهِ الاَّ نتائج ملاحظتهِ . والتعليم الصحيح هو الذي يهذب هذه القوة ويدربها . اما حشد الذهن بالكلمات غير المفهومة فليس بالتعليم الصحيح بل هو هادم للقوى العاقلة "

على ان لي شاهداً اقرب من هذا وذاك لتذكار من سوء طالعي وانا تلميذ في المدرسة اني كنت بان استظهر قصائد كثيرة وانا دون الثانية عشرة لم افهمها حينئذٍ ولا اذكر الا النزر اليسير منها الآن ولكنها عودتني الاعتماد على الذاكرة وذلك على نفقة سائر القوى العاقلة . وكادت تبغض اليَّ العلم

ثم ان قصد حضرتهُ التلامذة الذين فوق الثانية عشرة فلا يصعب عليهم فهم الاصول اللغوية اذا درَّسها من لهُ المام بفن التعليم على الطريقة التي ذكرها اي بالاكثار من التمارين واستخراج القواعد من الامثلة الكثيرة

على اني لا انكر على حضرتهِ اهمية الاستظهار من القرآن والاسفار المنظومة بالفصحى ولكنهُ يجب ان يتخلل التدريس لا ان يتقدم عليهِ فان استظهار ما لا يفهم سريع النسيان ولكن بعد الفهم تكون لهُ فائدة جزيلة

واما المادتان الثالثة والرابعة فتدخلان في فن الانشاء فان كان حضرتهُ يقصد من هم دون الثانية عشرة فكيف يمكنهم انشاء "المنشآت" وهم لا يحسنون انشاء جملة واحدة مضبوطة لانهم لم يتعلموا احكامها . وهم لم يفهموا ما استظهروهُ ليمكنهم ادخال المناسب منهُ . الا

تكون كتابتهم اذ ذاك ميكانيكية لا شأن للمعاني فيها ولا مجال للفكر. او لا تكون "منشآتهم" شبيهة ببعض المقالات التي نقرأها حيناً بعد حين ليس فيها سوى ضغطة الفاظ ولا معنى كبيراً وراءها. وكأني بأولئك الكتاب تحضرهم عبارة فصيحة ليتشوقون الى ادخالها في كتاباتهم ثم يحولون المعنى الى ما يلائم تلك العبارة ولو كان تافهاً. وهذا ما يجعل القارئ يمل قراءة تلك الكتابات ولا عجب فان الالفاظ جعلت قوالب للمعاني لا المعاني للالفاظ

وهنا يحدو بي الى تذكير حضرته بالرأي الذي نشرتهُ سيف الجزء الاول من مقتطف هذه السنة. وسيرى حضرتهُ عند المراجعة (اذا شاء) ان تعليم القواعد اللغوية مع ما يتخللها من سائر الدروس التي تدخل تحت فن الانشاء مع الاستظهار من امثال الكتب المذكورة كفيل بتسهيل تعليم اللغة. لانهُ اذا تعلم الطلبة اتقان تركيب الجملة البسيطة بالاشارة الى اركانها وسائر متعلقاتها ووضع لهم الاستاذ على اللوح مثالاً من كل نوع من انواع الجملة في كل باب واستظهروا ما يمكنهم ادماجهُ في كتابتهم كان ذلك اسهل حلّ لصعوبة تعلم القواعد ومسهلاً للانشاء المضبوط

القدس الشريف ° توفيق زيتي

تسهيل تعليم اللغة العربية

حضرة العالمين صاحبي المقتطف الزاهر

اطلعت في الجزء الثالث من مقتطف هذه السنة على رسالة للفاضل حسين افندي لبيب عنوانها (مذهب جديد في تعليم اللغة العربية) فاحببت ان اعلق عليها هذه الكلمة فان رأيتما نشرها في مجلتكما الغراء كان لكما الفضل وعليَّ الشكر

طالما قرأنا في المجلات والجرائد آراء مختلفة ترمي الى تسهيل دراسة اللغة العربية وغالب هذه الآراء ان لم نقل كلها للاجانب كالمستر ارثور شوارتز الالماني والمستر ولمور الانكليزي وغيرهما من علماء الفرنجة ممن لم تحضرنا اسماؤهم وجميعها لا يخرج عن القول بكتابة لغة العامة واهمال اللغة الفصحى فولاء العلماء اما ان يكونوا متضلعين بالعربية واقفين على دقائقها وحقائقها وحالتها الحاضرة او لا فان كان الاول فهم عارفون بلا شك ان لكل عامة قطر لغة مستقلة لا يكاد يفهمها اهل القطر الثاني فطلبهم هذا يؤول الى اضعاف اللغة بتجزئتها الى لغات متعددة لا تلبث ان تهلك جميعها وان كان الثاني فغير لهم ان ينصرفوا عن اصلاح لغة لا يفهمونها ولا يقدرونها قدرها الى تسهيل ما في لغاتهم من الشواذ وتذليل ما فيها من الصعاب

هذا ما كان يجعل الكثيرين من الغيورين على لغتهم العربية ان يضربوا صفحاً عن هذه الآراء التي لا طائل تحتها وان لا يصيروها جانب الالتفات

فاستعمال لغة العامة امر يجب صرف النظر عنهُ والبحث في ايجاد طريقة اخرى تسهل لنا التكلم بالفصحى علينا . ولقد اصاب حسين افندي لبيب في ما كتبهُ كل الاصابة واظن رأيهُ رأياً لا يختلف فيهِ اثنان من محبي اللغة العربية — فلو كلف المعلمون تلامذتهم كلهم التكلم باللغة الصحيحة لتوحدت اللغة واسبحت نقية الذيل بيضاء الصحيفة من حوشي الالفاظ وبشعها

لا ينكر ان البعض يتحاشون بادىء بدء التكلم باللغة الفصحى خوفاً من ان تفوّق نحوهم سهام التهكم والانتقاد ولكن على المرء اذا اراد الاخلاص في الخدمة ان لا يلتفت الى ما عساهُ ان يقال عنهُ ما زال يرى نفسهُ ضمن دائرة الواجب هذا فضلاً عن انهُ باستعمالهِ اللغة الفصحى يتخلص من ركاكة الفاظ اللغة المبتذلة الى جزالة في القول لا تجتمع في هذه الاخيرة وما هو الاَّ القليل من الزمن حتى تعتاد اذاننا على اللغة الفصحى ويصبح العدول عنها عجزاً وخطأ

وهنا اكرر ما قالهُ حضرة الفاضل من وجوب الابتداء بحفظ القرآن واذا تعذر على غير المسلمين من الطلبة حفظهُ فعليهم بالكتب الصحيحة العبارة لتسبق ملكة حسن التعبير الى اذهانهم

بقي مسئلة تعلم النحو ولا اراني خارجاً عن الموضوع ما زلنا في ميدان البحث عن تقريب منال العربية اذا ذكرت رأياً لي فيها . ليس اكثر من كتب النحو عندنا فهي مما يخطئهُ العدُّ ولمَّا يقف المؤلفون عند هذا الحد فالمائل للطبع والمعيء للتبييض لا يقل عما بين ايدينا وهي بجملتها تنقسم الى قسمين القديمة والحديثة او المطولات والمختصرات وكلاهما لا يقوم بحاجتنا

فالاول يتيه الطالب ما بين كثرة مذاهبهِ وتباين ارائهِ وتشعب طرقهِ وتعدد لغاتهِ مما يذهب بعقلهِ كل مذهب ويقعد بهِ عن طلب هذا الفن

واما القسم الثاني فاكثر المتداول منهُ بين ايدينا سقيم العبارة ركيكها وعلى الاخص امثالهُ وتقاريبهُ وما يتبع ذلك مما كان يجب ان يكون ابلغ واصح ومع اختصاره لا يخلو من بعض المذاهب والشواغب ولا ينفي صحة تلك اللغات والآراء الفاسدة بل هو كما يدل عليهِ اسمهُ تختصر لتلك او سلم يرقى عليها الى تلك المطولات

فحاجتنا اذاً الى مؤلف في النحو يكون لنا مرجعاً غير الكتب القديمة ومن رأيي ان لا يؤلف كتاب جديد بل يعمد فريق ممن يوثق بغيرتهم الى كتاب قديم مشهور فينقوا منهُ

ما لا حاجة لنا بهِ ويختار كل فصل من فصولهِ بتأخرين تؤخذ من بليغ الترك العرب عاشرق معناهُ وجزل لفظهُ فيصبح الكتاب جديداً ويكون عليهِ المعول وبذلك يتوفر حظ صالح من الوقت ويعتاض المدرس او المؤلف عن اعمال الروية واعنات الفكرة لايجاد عذر لشاعر يقول عوضاً عن الذين (اللذون) وبدلاً من مني ومني (بالتشد) مني ومني (بالتخفيف) الى آخر ما هناك بقولهِ هذا خطأ — واني رأيت ان احصر هذه الاغلاط في اسباب ثلاثة

(١) غلط الشاعر وهو استعمالهُ ما لم يكن يستعملهُ اهل زمانهِ الاَّ اذا وقعوا في ما وقع فيهِ لقافية او وزن كقول الاول

عرفنا جعفراً وبني ابيهِ وانكرنا زعانف آخرينِ

بنون مكسورة : وقول الثاني

بابيهِ اقتدى عدي في الكرم ومن يشابه ابهُ فما ظلم

فقد خالف الاول اخوانهُ العرب واتى بنون جمع المذكر مكسورة مع انهم لم يكونوا ينطقون بها الاَّ مفتوحة كما هو ظاهر في دواوينهم فمخالفتهُ هذه خطأ لا لغة وما قلتهُ عن كسر هذه النون قلهُ عن حذف الياء من (بابيهِ) والالف من (ابه) في البيت الثاني مما ادى الى استنباط لغة سموها النقص مع ان الشروط الاربعة لاعراب اب بالحروف موجودة في هاتين اللفظتين وعلى هذين البيتين قس البقية

الثاني اصطناع بعض النحاة ابياتاً نسبوها للعرب اتباعاً لرأي بمرض لم كما في قولهم

اعرف منها الجيد والعينانا ومنخرين اشبها ظبيانا

الثالث اخذ النحاة اقوال الشعراء كما وصلت اليهم دون التثبت في صحة ما يقرأونهُ او يسمعونهُ وقد يكون الناقل غلط في روايتهِ فيحسبون غلطتهُ صادرة عن الشاعر فيركبون لاجلها متن التعسف ليوجدوا لتلك الاغلاط لغات ومذاهب من ذلك ما ورد في كتاب سيبويه

معاوي انا بشر فاسجح فلسنا بالجبال ولا الحديدا

هكذا رواهُ سيبويه على النصب وخلق لهُ مذهباً في الاعراب وهو اعراب الشيء على المعنى فتكون (الحديدا) على رأي سيبويه امام الفعل منصوبة على معنى الخبر في ليس وهو لو كلف نفسهُ بعض البحث لاستغنى عن الاحتيال بهذه الحيلة الضعيفة ولرأى ان البيت من قصيدة كلها مخفوضة وهي

معاوي انا بشر فاسجح فلسنا بالجبال ولا الحديدِ
اكلتم ارضنا فجردتموها فهل من قائم او من حصيدِ

انظم في الخلود اذا هلكنا وليس لنا ولا لك من خلود
فهنا امة هلكت ضياعاً يزيد اميرها وابو زيد

وليس هذا بالبيت الفذ من استشهادات سيبويه فمن تبحر في كتابه يرى كثيراً من تلك الاشعار التي اوصلها اليه النقلة او الكتبة مغلوطة فاستنبط لها مذاهب وبنى عليها لغات من غير ان يتبصر فيها او يرجع بها الى اصل واذا كان سيبويه مع طول باعه وواسع اطلاعه وتبع مراراً في مثل هذا فما بالك فيمن هم اوطأ منهُ كعباً واقل منهُ خبرة واضيق في العلم منهُ صدراً

هذه كلمة دفعنا اليها حبنا للفتنا وحرصنا عليها والله سبحانهُ من وراء العلم

عبيه بلبنان عارف النكدي

غش البضائع

حضرة منشئي المقتطف الفاضلين

اطلعت على مقالتكم في العدد الثالث تحت عنوان " غش البضائع " وانا من الذين زاولوا تجارة المنسوجات في الاقطار المصرية والسورية منذ حداثة سني فاسمحوا لي بكلمة في هذا الموضوع

اول ما يتصور المتطلع على مقالتكم ان المنسوجات الاوربية مخيفة لكونها تقصر وتصبغ بمواد كيماوية تعرضها للبلى الباكر وبعضها يبلى من نفسهِ قبل ان يستعمل وثانياً ان التجار هم المسؤلون بجلب البضائع السوقية الخفيفة وانهم لا يدفعون سوى اثمان بخسة تعادل تلك البضاعة وبذلك يحصل غبن على البلاد

فاسمحوا لي بالقول ان الامر الاول قد تنبهتموهُ في مقالتكم بقولكم ان ما اشتريتموهُ من المنسوجات مدة وجودكم في اوربا لم يفنهِ الزمان ومن بعد استعمالكم لهُ خمس عشرة سنة لا يزال في رونقهِ وقوتهِ كذلك قولكم ان ما نظرتموهُ في مخازن اوربا من البضاعة لاستعمال الاوربيين افضل واتقن جداً من الذي يرد الى القطر المصري والسوري . وعليهِ فالعلة ليست من العامل (التاجر) ولا المواد الكيماوية التي يوهتم عنها وبلا شك يسهل على تجار اوربا تشغيل بضائع تضاهي انفر منسوجات سوريا سيما المتانة والثبات ولربما تفوقها رونقاً وتكون ارخص منها سعراً (لا اقول ذلك بخساً لمنسوجات بلادنا بل اظهاراً للحقيقة) كذلك لا اعتبر ان التجار هم المسؤلون عن استحضار البضائع الخفيفة من اوربا وعندي ان سبب جلب البضائع الخفيفة هو فقر البلاد وطلب اهلها الرخيص وعدم تمييزهم الفرق بين اجناس

البضاعة ولذلك ترون ان درجات طيبة البضائع التي تُشحن من اوربا تتبع بالاكثر حالة البلاد المشحونة اليها وترقيها في الفنى والمعرفة الخ . وهذا امر مقرر لذلك ترون بضائع الهند بالاجمال اخف من بضائع سورية وهذه اخف من بضائع مصر كما ان البضائع التي تُشحن الى اوربا والتي تُستعمل لمقطوعية البلاد هنا هي احسن وافضل من خلافها كما لاحظتم ذلك فمن هنا ترون ان جودة البضائع وخفتها حسب طلب البلاد وترقيها وليس كل العلة من التجار

لقد طالما حرَّجنا على محلاتنا وعملائنا ان ينبذوا البضائع الخفيفة والمعاملة بها و يعتمدوا على البضائع الجيدة ولكن اذا كان سبعة اثمان الشعب الذي عليهِ معوَّل المقطوعية لا يهمهُ سوى الرخيص واذا احضرت لهُ الجيد لا يشتريهِ بما يوازي ثمنهُ فما الذي يقدر ان يفعلهُ التاجر فهو ملزوم رغماً عنهُ ان يحضر ما يوافق طلب المشترين وذوقهم . ولا انكر انهُ يوجد في كل اسواق الدنيا تجار دأبهم تقليد البضائع الجيدة بما هو اخف منها وهكذا يحتالون على المشترين ويخدعونهم ولكن دواء هؤلاء التجار بيد المشتري فحينما يترقى الاهالي في المعرفة ويظهر لهم خداع ذلك التاجر يجتنبونهُ حالاً وهكذا يتعلم ويحسن اصنافهُ ولكن ما دام المشتري يطلب الرخيص ولا يهمهُ سوى الرخص فلا رادع يردع هؤلاء التجار بل هم يزيدون تخفيف البضاعة مرة عن اخرى الى ان يعدم الصنف ويهمل . ويظهر لسوء الحظ ان المشتري راض بذلك

اخبرني احد الاصدقاء من الفابركنتية الذين يعاملون تجار مصر بكثرة ان البضاعة التي كانوا يشحنونها الى بر مصر من مدة سنتين او ثلاث كانت احسن جداً مما يشحنونهُ اليها الآن ويفسِّر ذلك بانهُ حينما كان القطر في رخاء وغنى كان المشتري يطلب الجيد وحينما ضاقت الامور معهُ رجع الى الخفيف وهذه سنة الكون . وهناك سبب آخر لوجود فروقات مهمة بين منسوجات اوقاتنا الحاضرة والمنسوجات القديمة ان كانت شرقية او اوربية وهذا يعم ثياب السيدات من الدرجة الوسطى والعالية . فكما نرهتم كانت جداتنا تورث بناتهن قماطين العرس وهي لا تزال في رونقها ولكن في تلك الايام لم تكن السيدات مستعبدات للتقاليد الجديدة وتفنن الازياء (الموضات) . فمن منهن تجاسر في الوقت الحاضر ان تلبس قماطاً مضى على زيهِ ثلاثة اشهر مهما كانت كلفتهُ ومهما كان نوع قماشهِ ؟ ومن تجرأ ان تعين مدة الموضة وان عمرها يطول اكثر من سنة . ولذلك التزمت التبارك ان تجاري الوقت ولا تنظر الى متانة المنسوجات وثباتها بل الى رونقها حتى يرضي النظر وتعيش العمر القصير المحدد لها بحسب احكام الموضات

والنتيجة ان علة سخافة البضائع التي تشحن الى القطر المصري والسوري ليست سببة من التجار لان التاجر ملزوم ان يستحضر ما يرضي ذوق زبائنه وطلبهم

وثانياً ان لبارك اور بالقدران تشغل بضائع في معاملها لا يفوقها شيء في المتانة والرونق والثبات وقد وصلت في اتقان الصناعة الى درجة تحير العقول

خليل ابرهيم
منشئ جباره

باب التقريظ والانتقاد

ثمار الجامعة

ابتدأت ثمار الجامعة المصرية تظهر من يوم عني بنشر محاضراتها في مجلة الجامعة وقد جمعت الآن محاضرات الاستاذ جويدي الايطالي في ادبيات الجغرافيا والتاريخ واللغة عند العرب اي ما كتبهُ العرب في الجغرافيا والتاريخ واللغة

والاستاذ جويدي من الثقات المحققين ولاقوالهِ الشأن الاكبر عندنا لانها مبنيَّة على بحث الباحثين في علوم اليونان والرومان وما اقتبسهُ العرب منهم ولذلك رأينا احكامهُ ثقيلة على الذين يعتقدون ان علماء العرب واضعون اكثر منهم فاقلون . ومن ذلك قولهُ ان كتب بطليموس الاربعة هي المعتمد عليها في علم الفلك وعلم الجغرافيا وكانت نماذج للمؤلفين ومرجعاً لهم منذ ايرازها الى ظهور الاسلام والى زمان خلفاء بني امية وبني العباس فكل التآليف التي صنفت في علم الفلك والجغرافيا في تلك الازمان لم يذكر فيها شيء خلت منهُ كتب بطليموس وانما كانت تلك التآليف مفصَّلات لكتبهِ او ملخصات لها او مقتبسة منها وبقيت العلوم على هذه الحال الى القرن الخامس عشر بعد المسيح ايام استولت الدولة العثمانية على مصر

ألم يزد علماء العرب شيئاً في الرياضيات والطبيعيات والفلك

وقولهُ ان السريان هم واضعو النقط والحركات على حروف الهجاء وتبعهم اليونان فالعرب اي ان مستنبطي النقط والحركات هم السريان لا العرب وقد قال ان المصاحف القديمة من القرن الثاني للهجرة تدل النقط فيها التي فوق الحرف على الفتح والتي تحتهُ على الكسر والتي في وسطهِ على الضم ثم صارت هيئة الحركات على ما هي عليهِ الآن

ويؤخذ من كلامه ان فلاسفة الفرس الذين درسوا الفلسفة اليونانية في المدرسة التي اسسها كسرى انوشروان هم الذين وضعوا النحو العربي ووضعوا مصطلحاته فقسموا الكلام الى اسم وفعل وحرف جرياً على تقسيم ارسطوطاليس لهُ في منطقهِ . وعرّفوا الكلام بانهُ لفظ مركب مفيد يحسن السكوت عليهِ كما عرفهُ نحاة اليونان وسمّوا المفعول فيهِ ظرفاً مجاراة لارسطوطاليس وسموا الصرف صرفاً لانهُ باليونانية كلسيس ومعناهُ امالة الشيء اي صرفهُ

وفي هذه المحاضرات فوائد جمة وحبذا لو نشرت مسهبة ليعم نفعها

مذكرة

في الطب عند العرب

والوصايا الصحية عند المسلمين

ألف هذه المذكرة حضرة الدكتور محمود الندي صدقي الطبيب في مصلحة السجون باللغة الفرنسوية فوصف فيها الطب في الجاهلية وذكر بين اطبائهم لقمان الحكيم وخزينة المكنى بابي الطب والحارث ابن كلدة والنضر بن الحارث وابن ابي رومية التميمي ثم انتقل الى عصر الاسلام فاورد الوصايا الصحية في القرآن عن الغسل الصوم والطعام والشراب والرضاع والختان . وعقد فصلاً خاصاً للعلوم الطبية والذين عانوها واشتهروا بها من علماء المسلمين واطبائهم وسواهم من الذين عاصروهم فذكر بين الذين اشتهروا بالكيمياء وعلم السموم خالد ابن يزيد وجعفر الصادق وحسن البغدادي في النبات والمواد الطبية ابن البيطار وكوهين العطار وفي الطب الباطني والمبيجين الرازي وابن سينا وابن بختيشوع وابن رشد والسمرقندي وفي التشريح والجراحة ابا القاسم الزهراوي وابن بطلان وفي امراض العين علي ابن عمر وفي امراض النساء عريب بن سيد

وقد قال في مقدمة المذكرة ان الغرض من وضعها نفي ما علق باذهان البعض من ان الامم العربية سرى اليها الفساد والانحطاط وان القرآن عبارة عن نظام يقضي على الذين يشجعونهُ بالجمود والاستسلام الى القضاء مع ان الحقيقة خلاف ذلك فقد كان للعرب شأن عظيم في التاريخ وكان للقرآن اليد الطولى في تقدم علم الصحة ولم يكن حائلاً في ترقية العلوم ونشر المعارف

فك التقليد

كتاب في علم الصرف على اسلوب جديد وضعهُ الاستاذان الفاضلان جبرائيلي ضومط وبولس افندي الحولي من اساتذة المدرسة الكلية السورية الانجيلية بعد ان عانيا تعليم العربيَّة سنين كثيرة واستنبطا طريقة جديدة لتعليم علم الصرف وهي مدار كتابهما هذا وقالا انهما جربا تدريسهُ سنة كاملة قبل طبعهِ فوفى بالغرض وقد جعلاهُ سبعةً وسبعين درساً فالدروس الاولى في ضمائر الرفع المنفصلة والثاني في تصريف الماضي والثالث في تصريف المضارع وعلَّما جرًّا و يبتدئ كل درس بما يدور عليهِ موضوعهُ ويتلو ذلك سؤالات يظهر بها المراد والقاعدة التي يراد ان يتعملها الطالب ثم تمرين يرسخ القاعدة في ذهنهِ ثم قطع منظومة او منثورة يطلب منهُ استظهارها كلها او بعضها لتتمكن منهُ ملكة اللغة الفصحى

والعبرة انكبرى في السؤالات لانها تتضمن القواعد التي يراد ان ينتبه لها التلميذ وترسخ في ذهنهِ مثال ذلك قاعدة الادغام وقاعدة تصريف المضاعف مع المزيدات فانهما واردتان في المثالة السابعة وهي واردة في الكتاب هكذا

حَبَّ (حَبَبَ)	حَابَّ (حَابَبَ)	إِنْحَبَّ (انْحَبَبَ)
أَحَبَّ (أَحْبَبَ)	تَحَبَّبَ	إِحْتَبَّ (اِحْتَبَبَ)
حَبْبَ	تَحَابَّ (تَحَابَبَ)	إِسْتَحَبَّ (إِسْتَحْبَبَ)

سؤالات

(١) ما هو اصل حبَّ قياساً على فَعَلَ (٢) كيف صارت حَبَبَ حَبَّ · ج حذفنا حركة الباء الاولى تخفيفاً للفظ ثم ادغمنا الباءين (٣) ما هو اصل احبَّ قياساً على افعلَ (٤) كيف صارت احْبَبَ احبَّ · ج نقلنا حركة الباء الاولى الى ما قبلها الساكن ثم ادغمنا الباءين (٥) ما هو اصل حابَّ وتحابَّ وانحبَّ واحتبَّ واستحبَّ على القياس (٦) كيف صارت كلٌّ من هذه الصيغ الى ما صارت اليهِ أبالنقل ام بالحذف (٧) اية صور من مزيدات المضاعف الثلاثي لم نذكرها اعلاه (٨) لماذا لم نذكر صور انفعلَّ وافعالَّ وافوعلَّ · ج لانها نادرة من كل باب المضاعف (٩) ما معنى انها نادرة · ج اي انها لم ترد في كتب اللغة اصلاً (١٠) ما المزيدات الرباعية من همَّ والخماسية من شذَّ والسداسية من درَّ (١١) ما اوزان الافعال الآتية وما مجرَّدها :

أَعَزَّ . اَسْتَحَمَّ . اَغَمَّ . حاجَّ . اَحَدَّ . تَشَدَّدَ . اَسْتَرَدَّ . اَفَرَّ . أَعَدَّ . رَدَّ . تَجَدَّدَ . اشَمَّ . اَعَلَّ . تَشَقَّقَ .

تمرين شفاهي ثم كتابي

صرّف المزيدات من عَدَّ . رَدَّ . مَرَّ . فَرَّ . عَضَّ . كَفَّ . عَفَّ . شَقَّ . سَبَّ . شَبَّ . عَمَّ . غَمَّ . سَرَّ . دَقَّ . قَرَّ . حَجَّ . حَدَّ . رَشَّ . رَقَّ . قَدَّ

للذاكرة

عرضنا انفسًا عزّت علينا عليكم فاستخفّ بها الهوانُ
ولو انّا منحناها لعزّتْ ولكن كلُّ معروض مهانُ

الفرصةُ تمرُّ مرَّ السحاب فانتهزوا فُرَصَ الخيرِ . ما حكَّ جلدَكَ مثلُ ظُفُرِكَ . عند الصباح يحمَدُ القومُ السُّرى

ومثالهُ ايضاً قاعدة المتعدي واللازم في المائة الثامنة والثلاثين وهي

دَرَسَ التِّلْمِيذُ مِثالَتَهُ . أَطاعَ الوَلَدُ أَباهُ . تَرَجَّى المُذْنِبُ الصَّفْحَ .

سؤالات

(١) في قولك " درس التلميذ مثالتهُ " من الدّارس وما المدْروس (٢) في قولك " أطاع الولد اباهُ " من المطيع ومن المطاع (٣) في قولك " ترجى المذنب الصفح " من المترجي وما المترجّى (٤) ماذا تسمي الفعل الذي على شاكلة دَرَسَ وأطاع وترجّى اي الفعل الذي يتطلّب فاعلهُ مفعولاً بهِ . (ج) الفعل المتعدّي (٥) اذًا ما هو الفعل المتعدّي (٦) ما الذي يقابل المتعدي في الانكليزية والفرنساوية (٧) فتّش عن عشرة افعال متعدية واكتبها في دفترك .

في المتعدي واللازم

ذَهَبَ زَيدٌ . تَعاظَمَ الامرُ . إِسْتَيْقَظَ النّائِمُ

سؤالات

(١) في هذه الجمل الثلاث من الذاهب وما المتعاظم ومن المستيقظ
(٢) هل استقرّ الفعل بفاعلهِ ام تعدّاهُ الى غيرهِ (٣) ماذا تسمي الفعل الذي على شاكلة

ذهب وتعاظم واستيقظ اي الفعل الذي يستقر حدوثهُ في فاعلهِ ولا يتعداهُ الى مفعول بهِ. (ج) الفعل اللازم (٤) اذًا ما هو الفعل اللازم

(٥) ما الذي يقابل اللازم في الانكليزية او الفرنسوية (٦) فتش عن عشرة افعال لازمة واكتبها في دفترك

المتعدي بواسطة حرف جرّ

آمنتُ باللهِ . أحسنَ زيدٌ الى الفقير . اعتذرَ التلميذُ عن غيابهِ .

اسئلة

(١) في قولك آمنتُ باللهِ من المؤمن ومن المؤمن بهِ (٢) في قولك احسن زيد الى الفقير من المحسن ومن المحسن اليهِ (٣) في قولك اعتذر التلميذ عن غيابهِ من المعتذر وما المعتذر عنهُ (٤) ماذا تسمى الفعل الذي على شاكلة آمن واحسن واعتذر اي الفعل الذي لا يصل الى مفعولهِ الاَّ بواسطة حرف جر. (ج) المتعدي بالحرف (٥) أكتب على دفترك عشرة افعال من التي تتعدى بواسطة الحرف

تمرين شفاهي

ما اللازم وما المتعدي بنفسهِ وما المتعدي بغيرهِ في ما يأتي

(١) من قصُرتْ محنهُ طال لسانهُ (٢) اوحشتِ الدّيارُ بعدَ ساكنيها

(٣) لا تضنَّ بمالكَ على المساكين (٤) انجز حرَّ ما وعد

(٥) اذا قلَّ ماء الوجهِ قلَّ حياؤهُ ولا خيرَ بعيشٍ وجهِ اذا قلَّ ماؤهُ

حياءك فاحفظهُ عليك فانما يدلُّ على طبع الكريم حياؤهُ

(٦) اذا هبَّت رياحك فاغتنمها فان الخافقات لها سكونُ

وان ولّت عشارُك فاحتلبها فما تدري الفصيلُ لمن يكونُ

(٧) اذا احرزتَ مالَ الارض طرًّا فانك فوق عيشك من تراقِ

اذا هلكتْ رجالُ الحيّ اضحى صبيُّ القوم يحلفُ بالطلاقِ

المذاكرة — احفظ الابيات الاربعة في الرقم ٥ و٦

ويلي كل طائفة من الدروس درس تراجع فيهِ قواعدها كلها

ويظهر من هذين الدرسين او الثالثين ان الكتاب وافٍ بالغرض الموضوع لهُ واذا كان الامتحان قد اثبت ذلك فلا محل للريب فيهِ. وجدير لو وُضع في اول الكتاب دروس تمهيدية

لا يضاح معنى المصطلحات الصرفية كالضمير والغائب والمذكر والمؤنث والماضي والمضارع والصحيح والمهموز والمضاعف والمعتل كما توضع الحدود في اول كتب الهندسة ويجب ان يمرَّن عليها التلميذ جيداً قبلما يدرس الكتاب حتى يألفها ويصير بفهم المراد بها حالما يقع نظرهُ عليها

فاذا عني الاستاذان الكريمان واضعا هذا الكتاب بوضع مفتاح مثل هذا وانتحاهُ به فانا نرى انهُ يصير اوفق بتعليم علم الصرف

ونرى ايضاً انهُ يحسن استظهار اكثر الآيات والامثال والشواهد فانها كلها من بليغ الانشاء وجوامع الكلم وحفظها ادعى الى معرفة اللغة من حفظ قواعدها

دليل الآثار المصرية

في متحف لندن

A GUIDE TO THE EGYPTIAN GALLERIES (SCULPTURE).

في دار التحف البريطانية من الآثار المصرية اكثر مما في غيرها ما عدا المتحف المصري وفيها ما ليس فيهِ من الآثار التي اخذت من هذا القطر قبل ان صار فيهِ حكومة تهتم بحفظ آثاره . وقد وضع صديقنا الدكتور بدج دليلاً مفيداً لقسم الكبير من هذه الآثار اي للجسم والنحوت المحفوظ في الطبقة السفلى من دار التحف البريطانية

والقدم هذه الآثار من عهد الدولة الثالثة من الدول المصرية التي كانت قبل المسيح بنحو اربعة آلاف سنة . واحدثها من العصر الروماني . فمن اقدمها حجر رملي من مدفن شرع اي كاهن عليهِ صورة الكاهن جالساً على كرسي وعكازهُ بيدهِ وهناك كتابة يقال فيها انهُ كان كاهناً ومدبّراً لروح "سنت" وهو ملك من ملوك الدولة الثانية التي تسلطت على القطر المصري قبل المسيح باربعة آلاف سنة وكان عليهِ ان يقوم بالخدمة الدينية تذكاراً لذلك الملك . وقد وجد هذا الاثر في سقارة

ومن احدثها شاهد من الرخام مثمَّن الزوايا وقد كتب عليهِ بالقبطية انهُ تذكار لزوجة بيرانو التي ماتت في الثامن والعشرين من شهر مسري سنة ٤٥٧ للشهداء (اي ٧٤١ للمسيح)

وجملة الآثار الموصوفة في هذا الدليل ١١٦٨ اثراً وقد صوِّر بعضها فيهِ صوراً منقولة عن الفوتوغراف

ويظهر لنا من مراجعة ما كتب على الآثار الحديثة ان اهالي مصر بقوا يكتبون شواهد قبورهم باليونانية او القبطية حتى في القرن الثامن والتاسع وانهم كانوا يؤرخون حينئذٍ من

سنة الاعلان وهو التاريخ الذي وضعهُ قسطنطين الكبير سنة ٣٠٣ للميلاد او من سنة الشهداء ، ومن ذلك شاهد مدفن رجل اسمهُ مرقس مكتوب باليونانية وفيهِ الدعاء ليت ليساريج في احضان ابرهيم واسحق و يعقوب وتاريخ وفاتهِ وهو اليوم الخامس من شهر برمودة في السنة الثانية من دور الاعلان والسنة ٤٧٢ للشهداء اي سنة ٧٥٦ للميلاد)

وشاهد من الرخام لطرسة زوجة يراشي التي توفيت في الثامن والعشرين من شهر مسري سنة ٤٥٧ للشهداء (اي سنة ٧٤١ للميلاد) والكتابة بالقبطية

وواضح من ذلك ان اللغة اليونانية بقيت مستعملة في القطر المصري بعد الهجرة بمئة واربعين سنة

الاسعافات الطبية

الجراحية والباطنية

الف هذا الكتاب حضرة الفاضل الدكتور محمد بك رشدي حكيباشي محافظة مصر الذي كان مفتش الصحة في مديريات اسوان والقليوبية والبحيرة

وقد جرى فيهِ على اسلوب جديد حتى في مقدمتهِ فلم يتوكأ فيها على العبارات التي تداولها الكتاب خلفاً عن سلف وهم يذكرونها من غير ان يقصدوا معناها بل بدأها بقولهِ " يبقى العلم محتكراً في عقول بعض الافراد الذين ينقطعون لتعلمهِ وتبقى جماهير الناس غريبة عنهُ لا ينتفعون بهِ في اعمالهم اليومية التي ما كان العلم الا ليسرها " فطرق الموضوع من غير صلوات وتسليمات واعرب عن غرضهِ وهو بسط الاصول العلمية المفيدة لتعليم العامة

ولقد جرى في الوصول الى هذا الغرض بذكر خلاصة موجزة من علم التشريح والفسيولوجيا فرسم عظام الانسان وعضلاتهِ وشرايينهُ واوردتهُ واعصابهُ وذكر اسماءها واوضاعها واوصافها ووظائفها في ٦٤ صفحة ثم ذكر انواع الميكروبات التي تسبب الامراض والآفات وطرق الوقاية منها وتقدم من ذلك الى وصف الاحوال التي تقتضي ما سماهُ بالاسعافات الطبية الجراحية والباطنية واوضح ذلك كلهُ بالرسوم واسهب في الكلام على الاعتناء بالحوامل والنفاس والاطفال ثم في الكلام على تمريض المرضى . وقد وقف على هذا الكتاب جماعة من نخبة الاطباء والجراحين كالدكتور عيسى باشا حمدي والدكتور علوي باشا والدكتور صدقي باشا فقرظوهُ تقريظاً حسناً ومما قالهُ الدكتور علوي باشا فيهِ انهُ وجدهُ صالحاً لان يقرأ ويدرّس في المدارس لتعليم دروس الاشياء ويكون ذخيرة عند كل عائلة عربية تستفيد

منهُ الى ان يحضر الطبيب . فنثني على حضرة المؤلف ثناء جميلاً ونتمنى لكتابهِ الانتشار الذي يستحقهُ ليعمَّ نفعهُ

العناية بالعين

HYGIENE DE L'OEIL

لم يكد كتاب العناية بالعين الذي ألَّفهُ حضرة صديقنا الدكتور اسكندر بك الجريديني بالعربيَّة ينتشر في الاقطار حتى عني بترجمتهِ الى الفرنسوية الدكتور كريسار طبيب للدفعية في الجيش الفرنسوي وطبع في بنزرت ببلاد الجزائر وهذه اول مرة في ما نعلم ترجم فيها كتاب علمي حديث من العربية الى لغة من اللغات الاوربيَّة . فهل يعود الينا عصر الرازي وابن سينا اللذين ترجمت كتبهما الطبيَّة الى اللغات الاوربيَّة وصارت تعلَّم في مدارس اوربا . فنهنئ الدكتور جريديني بما حازهُ كتابهُ من الحظوة ونكرِّر لهُ الشكر على الهمة التي بذلها في تأليفهِ

باب المسائل

هذا هو الباب منذ أوَّل انشاء المقتطف وعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن غاية يقصد المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي صفاتهُ باسمهِ وان يذكر محل اقامتهِ واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند اخراج سؤالهِ فليذكر ذلك ويعين حروفاً تصرح بمكان اسمهِ (٣) اذا لم ننشر السؤال بعد شهرين من ورودهِ فليكرِّرهُ سائلهُ فان لم نخرجهُ بعد شهر آخر تكون قد اهملناهُ لسبب كالتي

(١) كسوف الشمس ٨ اشهر

قال . محمَّد الذي نور روى ابن العبري ان الشمس انكسف نصف جرمها وثبت كسوفها من تشرين الاول الى حزيران ولم يكن يظهر من نورها الاَّ شيء يسير وكان ذلك في سنة ٦٢٧ . فهل ذلك صحيح وهل يمكن ان يستمر كسوف الشمس نحو ثمانية اشهر

ج . كلاَّ ولا ندري كيف يذكر ابن العبري خبرًا مختلقاً مثل هذا ان لم يكن في ما ذكر خطأٌ من النَّاسخ . ثم انهُ اذا انكسف نصف جرم الشمس فالذي يظهر من نورها ليس بالشيء اليسير . ومن المحتمل ان تلك السنة كانت كثيرة الغيوم والامطار فمضى فصل الشتاء والربيع واكثر الايام ماطرة او

غائم لا يظهر فيها من نور الشمس الاَّ اليسير فمر مؤرخو العصر عن ذلك تعبيرًا التبس على ابن العبري فظن ان المراد منهُ انكساف الشمس

(٢) معنى السر

يافا ١٠٠٠ . فياض ما معنى كلمة سرّ وهل لهذا الاسم فعل يشتق منهُ

ج . لكلمة سر معانٍ كثيرة في العربيَّة ويظهر من سؤالكم التالي انكم تريدون معنى ما يكتم وما يسرُّهُ الانسان في نفسهِ من الامور التي عزم عليها والفعل منهُ اسرَّ اي كتم او اظهر فيقال اسرَّ في نفسهِ كذا اي كتم واسرَّ اليهِ بكذا اي اخبرهُ سرًّا

(٣) الفرق في اللغة الانكليزية

ومنهُ . ما هو الفرق في اللغة الانكليزية بين secret و sacramen‡ و mystery وهل في العربيَّة كلمات مرادفة لكل كلمة منها

ج . ان الكلمة الاولى اي mystery معناها غامض او غموض وهي يونانية الاصل ومعناها اغماض العينين . والثانية secret معناها سر وهي لاتينية الاصل ومعناها الفصل او وضع الشيء جانباً ولا يبعد ان تكون الكلمة العربيَّة مأخوذة من الكلمة اللاتينية . والكلمة الثالثة معناها عهد او ضمان وهي في الاصل المال الذي يودعهُ الخصمان قبل المقاضاة ضمانًا ثم اطلقت على يمين الطاعة التي كان الجندي الروماني يقسمها فصار يراد بها العهد او مالهُ حرمة او ما هو مقدَّس . ويحسن ان نترجم الكلمة الاولى بكلمة غامض والثانية بكلمة سر والثالثة بكلمة عهد . والظاهر ان اصحاب الطرق الصوفية استعملوا هذه الكلمات لهذه المعاني

(٤) الكبرياء

ومنهُ . هل الكبرياء صفة غريزية او اكتسابيَّة . واذا كانت اكتسابيَّة فهل يورثها الانسان لنسلهِ فتصير غريزية

ج . الكبرياء مثل كل الاخلاق تكون جراثيمها غريزية في الانسان فيعرض لها ما يقويها او يضعفها فاذا تقوَّت في الوالدين معًا انتقلت الى نسلهما قويَّة واذا عرض لها ما يقويها في احد الوالدين وما يضعفها في الآخر بقيت على حالها او ضعفت عما كانت عليهِ . وعلى هذا النمط نجد ان الامم التي تقوى وتسلط على غيرها يقوى فيها خلق الكبرياء والامة التي تضعف ويسلط عليها غيرها يقوى فيها خلق الذل والدعة ولين العريكة

(٥) النفس والدماغ

رومبك بالسودان . الدكتور حبيب شاكر الخوري . ماذا يمنع قولهم ان لا نفس للانسان ولكن في دماغهِ مراكز كثيرة لها وظائف مختلفة بحسب تركيب خلاياها . والحيوان مثل الانسان من هذا القبيل ولكن مراكزهُ ضعيفة الفعل لعدم نموها او لعدم نموها كما هي في طفل الانسان . واذا طرأ

طارئ داخلي او خارجي منع هذه المراكز عن تأدية وظيفتها كما في بعض الامراض العصبية عطل نعلها وذلك مثلاً يبطل فعل البطرية الكهربائية اذا تخرّبت او اختلّ تركيبها القانوني

ج . ان هذا هو مذهب الماديين وقد اوردنا في المجلد السابع من المقتطف ادلة كثيرة على نقضهِ فراجعوها فيهِ

(٦) عنوان كتبي

القدس الشريف . توفيق افندي زيتي . ما هو العنوان الذي يمكنني ان اجلب بهِ هذا الكتاب Queens of Society

ج . نحن نجلب كتبنا الانكليزية من محل B. F. Stevens and Brown 4 Trafalgar Square London.

ولا نرى ما يمنع ارسالهُ لكم اذا طلبتموهُ منهُ

(٧) النوم الخفيف

ومنهُ . قوم بعض الناس خفيف فانهم يستيقظون عند اقل حركة مع انهم في حال الصحة وراحة البال فما سبب ذلك وكيف يتخلصون منهُ

ج . اذا كان لهُ سبب طارئ فيزول بازالة السبب والاّ فيضعف بمنع الاسباب التي توقظ النائم كالنور والصوت وما اشبه فمتى استمرّ الانسان على ذلك مدة طويلة لا يعود يستيقظ لاقل حركة . ولا ضرر من خفة النوم فانا نعرف شخصاً يستيقظ لاقل سبب ثم ينام حالاً وهو على تمام الصحة وشخصاً آخر لا يوقظهُ المدفع وصحتهُ دون صحة الاول

(٨) الملح والمالوك

ام دومه . محمود افندي الناظر قرأتُ في احدى الجرائد ان اهالي اميركا يضعون الفول في الماء المملح مدة اربع وعشرين ساعة ثم يبذرونهُ فلا يعود المالوك يثمر بينهُ فهل يصح ذلك في القطر المصري وكم مقدار الملح الذي يذاب في الماء

ج . لا نتذكر اننا قرأنا عن هذه الطريقة ولكننا نظنها صحيحة ولا نعلم كم يجب ان يكون مقدار الملح حتى لا يضر بالفول وهذا لا يعلم الاّ بالامتحان

(٩) مقدار الرياضة

ومنهُ . كم يجب ان يترياض الانسان رياضة جسدية في اليوم وما هي افيد رياضة لهُ وهل يعدُّ المشي من الرياضة المفيدة

ج . ان القاعدة المحاسبة لذلك ان يروّض الانسان جسدهُ الى حد التعب . واكثر انواع الرياضة فائدة ما يزيد التنفس حتى يسرع تطهير الدم كالجري والتجذيف والتصعيد في الاماكن العالية واما المشي فيروّض الرجلين وقلّما يروض الجسم الاّ اذا كان طويلاً او سريعاً

(١٠) الميكروبات والماء الغالي

باركلي بافريقية الجنوبية . حفيظ افندي

مخبر . هل للماء البارد جدًّا قوة على قتل الميكروبات كالماء الغالي

ج . كلاَّ فان الماء الغالي يقتل كل الميكروبات تقريباً واما الماء الذي يصل الى درجة الجليد فقلما يقتل شيئاً منها . وترون في هذا الجزء في الكلام على القطب الجنوبي ان بعض الاحياء الدنيا يعيش في الجليد ولو بلغ درجات تحت الصفر ولكن للتبريد فائدة اخرى وهي منع نمو الميكروبات فتبقى قليلة واذا كانت قليلة فالغالب ان الجسم يتغلب عليها

(١١) صادرات الدولة ووارداتها

ومنهُ . كم هي قيمة صادرات الدولة العلية وكم هي قيمة وارداتها

ج . قد كانت قيمة صادراتها سنة ١٩٠٤ حسب تقرير جمارکها نحو ١٦ مليوناً من الجنيهات الانكليزية وقيمة وارداتها حسب تقرير الجمارك ايضاً نحو ٣٨ مليوناً من الجنيهات

(١٢) الجراد والعلاج

برج صافيتا . ميخائيل افندي بشور . ظهر في اوائل آذار سنة ١٩٠٧ نوع من الجراد في جرد صافيتا يسمّى جادوماً او جندباً او حرقصاً يفقس في اواخر آذار بين الاعشاب ويخو عليها ومتى بلغ اشدَّهُ يتناول الزروع فيتشاث بها وقد كان في اوائل ظهوره قليلاً ثم كثر جدًّا في السنة التالية حتى عمَّ اراضي اربع قرى وهو اسود اللون في دوره الاول ثم يصفر . فارجو ان تفيدونا عن طريقة بواسطتها يمكن ان نتخلص من شر هذا الحيوان الخبيث قبل تفاقم ضرره

ج . يظهر من وصفكم لهُ انهُ الجراد نفسهُ المعروف في سورية او نوع منهُ والطريقة التي رأيناها متبعة في لبنان هي افضل الطرق لاتلافهِ وذلك بان يفتش عن بيضهِ ويستخرج من الارض ويتلف بحذافهِ بالمحادل او يحرق . والجرادة تختار الطرق التي بين الحقول والاراضي الجافة ولتغرز ذنبها فيها ولتسرأ بيضها تحت وجه الارض وتكون البيوض منتظمة بعضها مع بعض كالسنبلة الصغيرة ثم تموت هناك فيستدل على مكان البيض من وجود جسمها وبقي على وجه الارض شيء كرغوة الصابون حيث غُرز البيض . واذا فقس الجراد وخرج من الارض فتحفر في طريقهِ خنادق طويلة وهو صغير زحاف ويساق اليها ويطمر فيها واذا كبر وبلغ اشدهُ يُطار لتحملهُ الرياح وتبعدهُ او تلقيهِ في البحر

باب الاخبار العلمية

حديث السلطان

نشرنا في صدر هذا الجزء فقرةً من حديث مولانا السلطان محمد الخامس الذي حدَّث به مكاتب جريدة الديلي كرونكل الانكليزية وقد رأينا ان ننشر هنا فقرات أخرى منهُ فمن ذلك قولهُ

" ان الانكليز كانوا اصدقائي طول ايامي وهذا الوقت وقت خطير الشأن عند الامة العثمانية باسرها وقد طالما قذف بي اعدائي ورموني بالغدر والبغي ولكن الله سبحانهُ وتعالى قضى برحمتهِ وعنايتهِ ان اقوم بما قدروهُ لي "

وقولهُ

" لما اطلق سراحي سياسياً من السجن الذي قضيت فيهِ السنين الطوال جعلت اتتبع تقدم العالم . وبعلم القليلون الذين حفظوا ولائي حق لي اشد ايمان بحتني اني كنت من انصار الدستور والمجالس النيابية من اوائل ايامي الى اليوم وذلك مع محافظتي على مبادىء القرآن الشريف وتعاليمهِ تمام المحافظة ولم احد عن هذه الآراء طول ايامي واني اشد الناس انتصاراً لسياسة حزب تركيا الفتاة "

وقولهُ

" اني ذاهب الى بلديز لأؤيد حريتنا الوطنية وسلامتنا، وساؤيد السلام والصداقة بين كل الناس . ابلغ اهالي انكلترا تحياتي الودية واطلب منهم ان يميلوا الينا ويعطفوا علينا وان يؤيدوا الرجل الذي يقف الآن مرتجفاً على سلم العرش . ان كل يوم يمر بنا يكون فاتحة عصر جديد في تاريخ تركيا "

وقال في ختام حديثهِ ان لا تنافي بين الشريعة الاسلامية والحرية السياسية التامة ثم قال " فليحفظك الله وينجح امتك الانكليزية التي كانت اصدق صديق لنا ولا تزال كذلك "

مؤتمر العاديات اليونانية والرومانية

اختار هذا المؤتمر القطر المصري لاجتماعهِ الثاني فانتخب جلساتهِ في الاسكندرية صباح

السابع من شهر ابريل . ثم افتتحه الجناب الخديوي رسميًّا في العاصمة في ١٢ ابريل بخطبة فرنسوية قال فيها ما ترجمتهُ

" ايها السادة

يسرني جدًّا ان اراكم مجتمعين في مدينة القاهرة التي اصبحت اليوم صلة بين العالم الشرقي وامم الغرب . فبلادي تتشرف بنزولكم ضيوفًا فيها واتا ارحب بكم بالنيابة عنها وبالاصالة عن نفسي

ان العلماء المستشرقين الذين جاءوا وادي النيل العجيب الذي كان مهدًا لتمدن يمتد الى اقدم العصور كانوا دائمًا على يقين ان يلقوا من اسلافي ومني المساعدة التي تلزمهم في اعمالهم لكشف الآثار الثمينة التي خلفتها لنا الفراعنة . الا علماء الآثار اليونانية والرومانية فانهم ظلوا متباعدين عنا فدعوتهم الى القطر المصري لاريهم ان كل ما يكتشف فيهِ من الآثار اليونانية والرومانية القديمة ليس باقل مما يكتشف من الآثار الشرقية . وان البلاد التي حفظت لنا تاريخ البشر في العصور الاولى حفظت ايضًا آثار اهل العلم والتهذيب من اليونانيين الرومانيين فمنذ ثلاثين سنة والباحثون يستخرجون من قلب مدننا المؤلفات البديعة التي الفها كتاب اليونان العظام وكان يظن انها فقدت تمامًا . وهذه الفاتحة المثمرة تجعلنا ننتظر ثمارًا اشهى واكثر في المستقبل واني تشرفت ايها السادة لانكم ادركتم عواطفي وبادرتم الى قبول دعوتي واشكر ايضًا الحكومات والجمعيات التي انتدبتكم عنها كما اشكر لجنة اثينا التي لها الفضل في عقد اول مؤتمر من هذه المؤتمرات . فاعلن افتتاح المؤتمر الثاني لجمع الآثار القديمة الدولي بمصر القاهرة "

وكان الاجتماع في الاوبرا الخديوية ففتحت دكتها وكراسيها ولوجاتها بالاعضاء والمدعوين . وقسم المؤتمر الى ستة اقسام وهي قسم الآثار السابقة للآثار اليونانية والرومانية وقسم الآثار اليونانية والرومانية وقسم اوراق البردي وقسم الآثار الدينية وقسم الآثار البزنطية وقسم العاديات والجغرافيا . وعقدت هذه الاقسام اكثر جلساتها في نزل سانوى . ولقد رأينا بين اعضاء المؤتمر اناسًا من بلدان مختلفة فرنسويين وايطاليين والمانيين ويونانيين واميركيين وبرتغاليين وانكليز وسمعناهم يخطبون بلغات مختلفة كانهم في برج بابل ولعل القطر المصري من اصلح البلدان لدرس الآثار اليونانية والرومانية لكثرة ما بقي منها فيهِ

سكان المريخ

وضع الاستاذ لول الاميركي كتابًا عن المريخ وترعه سنة ١٩٠٦ بعد ان بحث فيهِ بحثًا علميًّا مدققًا واستنتج انهُ مسكون بمخلوقات عاقلة تخالف بذلك الدكتور ولس الذي

كتب سنة ١٩٠٣ مرجحاً ان الارض هي الجرم الوحيد المؤهل لسكن الانسان . ثم كتب ولس سبنسا ان المريخ لا يصلح لسكن لانهُ خالٍ من الماء لكن المستر سليفر اثبت بالبحث البكتروسكوبي وجود بخار الماء في المريخ فاذا كان فيهِ ماء فليس ما يمنع وجود الحياة فيهِ . وقد وضع الاستاذ لول كتاباً آخر الآن عن المريخ كمقرّ للحياة اقام فيهِ الادلة على انهُ مسكون بمخلوقات بالغة درجة عالية جداً من الارتقاء العقلي والصناعي ولم يخرج فيهِ عما نشرناهُ في المقتطف قبلاً مقتطفاً مما كتبهُ هو او كتبهُ انصارهُ

رأي جديد في تكون السيارات

الرأي الشائع حتى الآن هو رأي لابلاس على اصلهِ او بعد ما تنوّع بجعل السديم مؤلفاً من حجارة نيزكية ومفادهُ ان السديم دار على نفسهِ بتقلص اجزائهِ ودونها من مركزهِ فانفصلت منهُ حلقات او كتل وبقيت تدور حولهُ وهي السيارات . الآن الاستاذ مي الفلكي الاميركي ارتأى الآن ان السيارات اجسام تأتي الى السديم من الخارج لتدور حولهُ وتجعلهُ يدور حول نواتهِ الداخلية لكأنهُ حلّل الحركة المستديرة الى حركة الجذب المستقيمة والى فعل المقاومة بين دقائق السديم والجسم الذي يجذب اليهِ او يقع عليهِ

الدكتور سليم بك عمون

خسرت المدرسة الكلية السورية الاميركية خسارة لا تعوّض بوفاة رجل من نجبة ابنائها الذين افادوا بلادهم بما حصلوهُ فيها من العلوم وحرية المبادىء وهو الدكتور سليم بك عمون . اتمّ دروسهُ الطبيَّة فيها سنة ١٨٧٦ وكان مثالاً في الذكاء والانفة وعزة النفس وعلو الهمّة . ونظر وهو في المدرسة الى احوال بلادهِ وما هي صائرة اليهِ من الاضمحلال اذا لم يقم من ابنائها رجال يصلحون حكومتها ويربون عاتها . وكان هذا مدار بحثهِ وبحث كثيرين من رفاقهِ في مسامراتهم وبيت قصيدتهم في مجتمعاتهم . ومارس صناعة الطب بعد خروجهِ من المدرسة ولما لم يرَ فيها منفعاً للنفع العام الذي حسب نفسهُ مدعوّاً اليهِ انتظر في سلك حكومة لبنان وظنهِ فاختير لأعلى مناصبها وجعل اولاً رئيس القلم العربي ثم رئيس دائرة الحقوق فقائم مقام جزين فقائم مقام البترون فقائم مقام كسروان فوكيل رئاسة مجلس الادارة اي وكيل المتصرف نفسهِ وقد شغل هذا المنصب ابرهُ وعمهُ من قبلهِ . واظهر في كل هذه المناصب من اصالة الرأي واستقلال الفكر والاهتمام بمصلحة الاهلين ما جعل العيون تتجه اليهِ كركن من اقوى اركان الهيئة البنانية ولاسيما بعد ان ايقظ للناس المجاهرة بآرائهم

السياسية تدعي الى تولي المنصب الاخير وهو اعلى المناصب في حكومة لبنان وقد عاجلته المنية وهو في السن الذي ينتظر فيه النفع الاكبر من الرجال اذ تتسع دائرة الاختبار ويرهف صارم العقل فتخسر لبنان به لا تقدر عزّى الله اخوته وابناءه وطنه عن فقده والمهم صبرًا جميلاً

جوائز الطيران

ذكرنا منذ سنتين ان جريدة الديلي مايل وعدت ان تعطي عشرة آلاف جنيه جائزة لمن يطير بآلة اثقل من الهواء من مدينة لندن الى مدينة منشستر ولا يقف في الطريق اكثر من مرتين لاخذ ما يلزم له من البترول . ويحق لكل احد ان يتقدم لنيل هذه الجائزة . وقد وعدت الآن بجائزة الف جنيه لمن يصنع آلة يطير بها ميلاً واحدًا ثم يعود الى النقطة التي طار منها تمامًا ويشترط ان يكون انكليزيًا وتكون آلته مصنوعة في البلاد الانكليزية وكل اجزائها من بلاد الانكليز وان يطير على ارض انكليزية . ووعدت ايضًا بجائزة الف جنيه لمن يصنع طيارة يطير بها فوق بحر المانش ويحق لكل احد ان يتقدم لنيل هذه الجائزة

ترعة بناما

لما اخذت الحكومة الاميركية ترعة بناما لكي تتمها على نفقة البلاد الاميركية ارسلت جماعة من المهندسين لترى هل الاصلح ان تتمتها حتى يتصل بها الاوقيانوسان كترعة السويس وتصير السفن تعبر بها من اوقيانوس الى اوقيانوس او تجعل فيها هويسات كخزان اسوان فلا تضطر ان تحفرها الى تحت سطح البحر فاثر المهندسون على الرأي الثاني اي ان تجعل الترعة بهويسات على الجانبين لكن الجرائد الاميركية لم يرضها ذلك فثارت ثورة واحدة وجعلت تحث الحكومة على تعميق الترعة حتى تستغني عن الاهوسة فبعث الرئيس روزفلت لجنة اخرى من كبار المهندسين لتنظر في الامر ثانية فوافقت هذه اللجنة على قرار اللجنة الاولى وتقدر كل النفقات اللازمة لهذه الترعة اذا جعلت باهوسة ٧٣ مليونًا من الجنيهات واذا عمقت حتى تستغني عن الاهوسة اكثر من مئة مليون جنيه والمتم بعد خمس سنوات اذا جعلت باهوسة ولا تتم الا بعد سنين كثيرة اذا جعلت بغير اهوسة . وعدد العمال هناك الآن نحو خمسين الف عامل

وقوع نيزك

وقع نيزك في جزيرة زيلندا الجديدة في اواخر العام الماضي فرآه الناس من اماكن مختلفة شهابًا منقضًا من السماء بعد الظهر بنصف ساعة ثم انفجر فسمعوا له صوتًا شديدًا

ثم تلتهُ اصوات كثيرة كانهُ الرعد فصف وتلتهُ قرقعة البنادق ووقعت قطعهُ على الارض فقشوا عنها ووجدوا منها قطعتين ثقل احداهما اربعة ارطال ونصف رطل وثقل الثانية ثلاثة ارطال ويظن ان ثقل النيزك كلهِ لم يكن اكثر من اثني عشر رطلاً

الدجاج والبيض

يظهر ان كثرة البيض في الدجاج وراثية فاذا ربيت الدجاج سنة بعد سنة من بيض الدجاج الكثير البيض لقط صارت كلها كثيرة البيض واذا ربيت بقصد كثرة اللحم لا كثرة البيض صارت كثيرة اللحم قليلة البيض. وقد جمعت دجاج دنماركية ودجاج اميركية ودجاج انكليزية وهي كلها من نوع واحد اصلاً واطعمت طعاماً واحداً. وحسب ما باشتهُ توجد ان متوسط بيض الدجاجة الدنماركية ١٥٤ بيضة في السنة وبيض الدجاجة الاميركية ١٤٢ بيضة وبيض الدجاجة الانكليزية ٧٦ بيضة وان متوسط ثقل البيضة الدنماركية ٢٥ درهماً والاميركية ٢٨ درهماً والانكليزية ٢٤ درهماً وهذه المسألة مهمة جداً في هذا القطر لانهُ يصدر جانباً كبيراً من البيض كل سنة الى اوربا فاذا عني بتربية الدجاج الكثير البيض والكبير البيض فن ذلك ربح كبير لهُ لا يستهان بهِ

كارنجي والبحث العلمي

من اراد ان يعرف مقدار الفائدة التي يناها العلم والعلماء اذا ساعدهم ارباب الغنى بمناهم فلينظر الى تقرير دار البحث العلمي التي انشأها المستر كارنجي فقد طبعت الى ٣١ من اكتوبر الماضي ١٢٠ مجلداً في ١٩ موضوعاً مختلفاً من مواضيع البحث العلمي ونشرت الف مقالة مختلفة في المجلات العلمية وبلغت الاموال التي انفقتها في سبيل البحث العلمي ٦٧٣ الف جنيه وانشأت دار البحث في وشنطون مستبلغ نفقات بنائها ٤٤ الف جنيه. وبلغ ما انفقتهُ على مرصد جبل ولسن بكليفورنيا ٧١٦٣١ جنيهاً

هبة لتعليم الفقراء

لا شيء مثل المدارس لاظهار جوهر الانسان وكشف طلاء الغنى والترف. فالفوز في المدارس للعقل والاجتهاد سواء كان صاحبهما غنياً او فقيراً. والذي يفوز بعقله واجتهاده يعلي اخوانهُ قدره ولو كان الفقر التلامذة ويحذونهُ زميلاً لهم ولا سيما اذا جمع قوة الجسم مع قوة العقل. ولكن يبقى الفقر عقبة مؤلمة ولاسيما اذا كانت المدارس تشترط على التلامذة دفع اجرة التعليم

وقد رأى لهذا الاميركيين ذلك فاوصى قبل وفاته بثمانية الف جنيه لمدرسة سوري

الجامعة ليساعد بريعها التلامذة الفقراء دون سواهم

هبة علمية زراعية

وهب بعضهم مدرسة منسوتا الجامعة بامبركا ٢٢٠٠ فدان لكي تمخن فيها زروع الغابات وتربية اشجارها

ما هي الجامعة

حدّد الشهير هكسلي المدرسة الجامعة بقوله انها المقام الذي يطلق فيه الفكر من كل قيد وتقدّم فيه كل انواع المعرفة لكل طبقات الناس اغنيائهم وفقرائهم من غير تمييز . ثم قال انهُ يجب الاهتمام بتعليم الذين تظهر نجابتهم مما كلف تعليمهم الامّة من النفقات فانها اذا انفقت مئة الف جنيه على اخراج رجل واحد مثل ووط او دالتي او فراداي فهي الرابحة لانها ربحت من كل من هؤلاء الثلاثة ملايين كثيرة من الامتار

الاقباط في القطر المصري

كان في القطر المصري من الاقباط وقت الاحصاء الاخير ٧٠٦٣٢٣ وهم ارثوذكس وعددهم ٦٦٢٠٣٦ وبروتستانت وعددهم ٢٤٧١٠ وكاثوليك وعددهم ١٤٥٧٦

سكان القطر حسب معايشهم

يظهر من الاحصاء الاخير الذي تم في القطر المصري سنة ١٩٠٧ ان عدد المشتغلين بالزراعة من سكانهِ ٢٣٤٠٠٣٠ نفساً وعدد المشتغلين بالصناعة ٤٥٣ ٣٨٠ وعدد المشتغلين بالتجارة والبيع والشراء ٣٤٦ ٢٦٢ وعدد مستخدمي الحكومة والجيش والبوليس ٩٢٢ ١٠٥ وعدد المشتغلين بالفنون كالطب والمحاماة والتعليم ٠٧٩ ١٤٤ وسائر السكان اي النساء والاولاد والذين لا عمل لهم ٥٢٩ ٢٩٥٤ والجملة ٣٥٩ ٢٨٧ ١١

ضرر الجرذان

يقال ان ما تتلفهُ الجرذان سنويًّا في بريطانيا العظمى يبلغ عشرة ملايين من الجنيهات فضلاً عما ينتقل بواسطتها من عدوى الامراض فان مرض التريخينا ينتقل منها الى الخنازير ومن الخنازير الى الناس الذين يأكلون لحمها . وهي التي تنقل انفلونزا الخيل من اسطبل الى آخر . وقد ثبت حديثاً انها تنقل عدوى الطاعون من المصاب الى السليم بواسطة البراغيث التي تكون في ابدانها ولذلك اهتمت مجالس الصحة الآن باستئصالها

فهرس الجزء الخامس من المجلد الرابع والثلاثين

٤١٧ السلطان محمد الخامس (مصوّرة)
٤١٩ الشاي ميناؤه بورت سودان
٤٢٥ شمس العدالة في تركيا
٤٣٠ ترجمة خطبة بوفون في صناعة الانشاء . للاستاذ سعيد الخوري الشرتوني
٤٣٧ معجم الحيوان . للدكتور امين المعلوف (مصوّرة)
٤٤٣ مناجاة الاحلام وقرع الاوهام . للدكتور شبلي شميل
٤٥١ تولّد السمع والبصر (مصوّرة)
٤٥٥ غرائب الجراحة
٤٦٢ دولة آل عثمان
٤٦٧ القطب الجنوبي (مصوّرة)
٤٧٤ مياه العاصمة
٤٧٨ الغزالي

---

٤٩٣ باب الزراعة * الزراعة المصرية منذ مئة عام . المشاتل الزراعية . الواردات الزراعية . المزروعات المختلفة وما تأخذ من الارض . الشجرة الثمانية . النزل . البطاطس . الصوف والمصارف . مواشي الذبح
٤٩٣ باب المراسلة والمخاطرة * المذاعة وتباين الميكروبات . تعليم العربية . تسهيل تعليم اللغة العربية . غش البضائع
٥٠٣ باب التقريظ والانتقاد * دار الجامعة . مدكور . فك التقليد . دليل الآثار المصرية . الاسعافات الطبية . المدينة بالعين
٥٠١ باب المسائل * كسوف الشمس ٨ الشهر . معنى السر . الفرق في اللغة الانكليزية . الكهرباء . النفس والنسمة . عنون كتبي . اليوم الخفيف . الملح والمالح . مقدار الرياضة . الميكروبات وأمثالها . صادرات السويد ووارداتها . الجراد والمعالجة
٥١٤ باب الاخبار العلمية * ونيو ٦ بلدة

المقتطف

الجزء السادس من المجلد الرابع والثلاثين

١ يونيو (حزيران) سنة ١٩٠٩ — الموافق ١٢ جماد اول سنة ١٣٢٧

السلطان عبد الحميد

في مثل هذا اليوم من العام الماضي لم تكن ترى كاتباً واحداً يخطّئ سياسة السلطان عبد الحميد ويندّد باعماله حتى ترى مئة كاتب يصوّبون سياستهُ ويثنون بمدحهِ ويقولون انهُ يجمع الفضائل وآية الحكمة والعدل . حتى ان اكثر الخطب التي تليت في بلاد الشام ونشرناها في المقتطف كانت مفتتحة وتختتمة بترتيل آيات الحمد لهُ والدعاء بتأييد شوكتهِ الى آخر الدوران فكنا نحذف ذلك منها لانا لا نجد لهُ محلاً في الخطب العلميَّة او الادبية وقلما كنا نخلو من لوم اصحابها . ولو جُمعت القصائد التي نظمت في اطرائهِ والكتب والفصول التي كتبت في تمداد مناقبهِ لملأت مئات من المجلدات . وقد انقلبت الحال الآن اي انقلاب فترى من المئة الذين كانوا يمدحونهُ ويمجدونهُ تسعةً وتسعين يجاهرون بذمهِ ويقولون انهُ كان طاغية سفاحاً خرب البلاد وسلب العباد حتى لقد قال فيهِ اكبر مادحيهِ بالامس

مشبع الحوت من لحوم البرايا ... ومجيع الجنود تحت البنود

واكثرهم اعتدالاً في لومهِ اليوم هم الذين كانوا يندّدون بسياستهِ بالامس

ولا يحسن بالمرء ان يقف لدى هذا الحادث الجلل وهو قيام السلطان عبد الحميد وسقوطهُ الاَّ وينظر اليهِ لنظر المؤرخ الذي يتوخّى ذكر الحقائق خالصة من شوائب التحامل والتملُّق عساهُ يجد فيها عبرة وذكرى

يرى الباحث الاجتماعي امرًا لا يخفى على احد وهو ان الممالك الثابتة العرش العثماني كانت في سالف عهدها ارقى منها الآن وان الانحطاط تولاَّها منذ الفي سنة ثم جعلت تعلو وتسفل اونةً بعد اخرى واتجاهها الى الانحطاط اكثر منهُ الى الارتقاء كموج البحر وقت

جزرم حتى اذا كان القرنان الاخيران اللذان ارتقت فيهما ممالك اوربا ارتقاء لا مثيل لهُ في عصور التاريخ السالفة ظهر الفرق الشاسع بينها وبينها على انهُ · ولهذا الانحطاط اسباب كثيرة قد تتعذَّر معرفتها كلها وليس من غرضنا البحث فيها الآن ولكن لا شبهة في انها ليست مرتبطة بطبيعة البلاد ولا باحوال سكانها الجسدية والعقلية · ويقيننا انهُ يسهل عليهم بلوغ اعلى مراتب الامم الاوربية اذا سموا الى ذلك في طريقهِ وزالت الحوائل التي تحول دونهُ واخذوا باسباب العمران كما اخذ بها غيرهم من سكان المشرق والمغرب وهي على ابوابهم ميسورة لهم كما هي ميسورة لسواهم · فالشاب العثماني يستطيع ان يصير طبيباً او قاضياً او تاجراً او مهندساً او قائداً كما يستطيع ذلك الشاب الانكليزي او الفرنسوي او الالماني · والفلاَّح العثماني يتمن حرفتهُ وزرعهُ مثل الفلاح الفرنسوي ويقتصد في نفقاتهِ مثلهُ او اكثر

ولا شبهة ان البلاد ارتقت بعض الارتقاء في العهد الاخير عهد السلطان عبد الحميد واكثر الفضل في ذلك للرسالات الدينيَّة الاميركية والانكليزيَّة والفرنسوية وللتجار الذين اقاموا في بلادنا ولاتصالنا بالاوربيين واتصال الاوربيين بنا

ولسنا ممَّن يجرد حكم السلطان عبد الحميد من كل مزية نافعة فقد كانت لهُ مزايا كثيرة ولا سيما في اوائل وقد راق لنا حينئذٍ ما كتبهُ الاستاذ قبيري المجري في هذا الموضوع منذ تسع عشرة سنة فترجمناهُ ونشرناهُ في صدر الجزء الحادي عشر من المجلد الرابع عشر من المقتطف وكان السلطان قد استدعاهُ اليهِ واطعمهُ على مائدتهِ واغدق عليهِ نعمهُ فقال

" ان جلالتهُ لا يترك واسطةً للملاطفة غيرهُ وبسطهم الاَّ اجراها فقد قدَّموا لي على مائدتهِ يوماً صحفةً من الفروله (الفريز) مرتبةً في خطوط وصفوف بحسب الوانها وعلى وجه الصحفة رقعة كتب فيها هذا من الاثمار التي ربَّاها جلالتهُ بيدهِ · وقدَّموا لي مرةً تفاحة وخوخةً من اشهى ما رأتهُ عيني واحنى جلالتهُ رأسهُ اشارة الى تكرمهِ بهما خصوصاً · ولما دُعيت آخر ليلة على مائدتهِ شجاني سماع الالحان المجرية تصدح بها الموسيقى السلطانية في قاعة مجاورة فالتفتُّ نحوها واذا خادم واقف بجانبي فخاطبني وقال لي ان جلالة مولاي السلطان ارسلني لابلغك ان الموسيقى السلطانية تعلَّمت اللحن المجري الوطني بأمر خصوصي لتسمعك اياهُ هذه الليلة "

وقال في اوصافهِ الشخصية انهُ "يقضي يومهُ من الصبح باكراً الى ان يتناول المساء مهتماً بقضاء اشغال الدولة وبهام السلطنة ناظراً في كل قضية مهمة وغير مهمة مستوعباً كل تفاصيلها حتى يكاد يقضي صحتهُ ويعاوق سير الحكومة · وقد دخلت عليهِ يوماً فوجدتهُ جالساً على

ديرانهِ وعن يمينهِ عدد عديد من الجرائد التركية وترجمات من الجرائد الاجنبيةِ متراكمة بجانبهِ كوماً عالياً وعن يسارهِ ما يضافيها من اوراق الحكومة المعروضة على جلالتهِ لمراجعتها والتوقيع عليها . وكان وهو يحدثني ينظر من طرف خفي بحدةٍ ويسرةٍ طوعاً لما يتردد في نفسهِ من حب الرجوع الى مطالعتهِ . ولا يخفى ان الدولة التي يجهد سلطانها نفسهُ كل هذا الجهد في قضاء مهامها يضيق نطاق سلطة وزرائها . ويندر وجود سلطان مثلهُ يقضي مع وزير ماليتهِ الساعات الطوال وهو مكبٌّ على مراجعة حسابات السلطنة وتنقيح دفاترها وامعان النظر في تفاصيلها واجهاد القريحة في استنباط التدبير والاحتياط اللازم للاقتصاد"

وقال مدافعاً عما كان يأتيهِ من الاستبداد في حكمهِ " لا ازى اسدٌ من كلامهِ حيث قال لي يوماً ان اوربا قد عزقت ارضها ومهدت تربتها اعواماً وعصوراً حتى جاءت بما تراهُ فيها من مصادر الحرية والمنشئات الحرة والآن تطلبون اليَّ ان اقلع نسيلة من منابت الحرية التي فيها وافرسها في اراضي اسيا الوعرة البائرة القاحلة . دعوني انهد هذه الاراضي تبلاً بما يحسنها فاقتلع اشواكها وارفع احجارها واقلع ثربتها واحفر الاقنية لارواثها ثم انقل تلك النسيلة اليها واكون اول من يطيب نفساً ويقرُّ عيناً بنمائها ولضارتها "

وفي عنهُ استخدام الجواسيس وقال " ان كل ما سمعهُ من هذا القبيل اختلاق او مبالغة وغلو واصل تلك الاقوال كلها ان رجالاً من اهل البلاط يستخدمون الجواسيس سرًّا ويرصدون العيون خفيةً لاجراء دسائسهم ومكايدهم الشريرة وتنفيذ مآربهم الفاسدة وجلالتهُ عالم بكرهم ودهائهم ولكن كشف حيلهم واظهار دسائسهم ومكايدهم ليس بالامر السهل عليهِ كما يتوهم الاوربيون في بلادهم "

هذا ما كتبهُ الاستاذ ڤمبري منذ نحو عشرين سنة وهو يعلم انهُ سيترجم للسلطان عبد الحميد فيطَّلع عليهِ ويجزيهِ على مدحهِ احسن جزاء . وقد قال في صدر مقالتهِ ان الناس في البلدان الشرقية على دين ملوكهم فانظر الى الملك تعرف رعيتهُ . وحقهُ ان يقول ايضاً انظر الى الرعية تعرف ملكها وانظر الى المقرَّبين تعرف الملك الذي قرَّبهم اليهِ

ومقالة ڤمبري مع ما فيها من المدح وكثير منهُ كان في محلهِ لا تخلو من الاشارة الى الاسباب التي كان لها اليد الطولى في افساد السلطنة كما رأيت في ما تقدَّم فان كثرة اشتغال الحاكم بالمسائل الهامة وغير الهامة تضني جسمهُ وتضعف عقلهُ وتفسد احكامهُ وتقيد وزراءهُ وتبطل نفعهم . ولا يبعد ان كثرة اشتغال السلطان عبد الحميد اورثتهُ خللاً عقلياً وهو ايجاس الشر والخوف المستمر من كيد المكايد لهُ ان لم يكن ذلك خلقاً

قديرٌ فيهِ فاستعان باجواسيس على كشف المكايد الخوصة واستحصَّ كل شيء للنجاة منها. وعرف الدهاة منهُ ذلك فتقربوا اليهِ بكل ما يزيد وساوسهُ ويؤثر في نفسهِ استدرارًا لنعمهِ فاضطرَّ ان يكثر موارد امواله ليستطيع استرضاءهم ورأى غيرهم منهُ ذلك فساعدوهُ على جمع الاموال واقتناء الاملاك بكل وسيلة فبلغ الفساد في السلطنة مبلغًا لا نظير لهُ حتى ان مختار باشا الغازي كان يقول لنا حينما يطلب منا الكف عن انتقاد معايب الحكومة العثمانية انكم لا تعلمون منها عشر ما اعلمهُ انا ولكنني اؤكد لكم ان الانتقاد يضرُّ بكم ولا ينفع احدًا

وعاد الاستاذ فهيري فعرف خطأهُ وارعوى ورأى عيوب الحكم الحميدي كما رآها غيرهُ وهو يرجو الاصلاح الآن لتركيا بهمة رجالها الدستوريين كما يرجوهُ غيرهُ من المخلصين لها

وتمكنت الوساوس من عبد الحميد حتى صار يعتقد ان الناس كلهم يأتمرون عليهِ ويقصدون الايقاع بهِ فلم يعد يهنأ لهُ عيش الَّا بتجسس اخبارهم وصار آلة في ايدي المحتالين يرهبونهُ بتأليب الجماهير على الفتك بهِ وانهم هم وحدهم القادرون على كفّ شرهم عنهُ فذلك وحرصهُ على كثرة المتنبئات وحرص المقرَّبين منهُ على تملُّقهِ وظلم الناس باسمهِ وجشع بعض الاتقين من رعيتهِ ومن غير رعيتهِ كل ذلك ولَّد في السلطنة العثمانية حالة لا تطاق فهجرها الذي استطاعوا المهاجرة وصبر على النير الذين القوهُ من احرار النفوس واشترك غيرهم في الفساد الذي عمَّ وطم الى ان تمكنت جمعية الاتحاد والترقي من اعلان الدستور فتظاهر اولاً ان ذلك كان برضاهُ وهو غاية ما يتمناهُ ثم دس لها الدسائس وشاركهُ اهوانهُ حتى كاد يوقع بها ولو صبح السلطنة بالدماء لكنها تمكنت من خلعهِ وتنصيب اخيهِ بدلاً منهُ كما هو معلوم

والسلطان عبد الحميد هو الرابع والثلاثون من سلاطين آل عثمان والثامن والعشرون منهم في القسطنطينية ولد في ٢٢ سبتمبر سنة ١٨٤٢ وابوهُ السلطان عبد المجيد وامهُ سرية ارمنية والصفات الارمنية ظاهرة فيهِ خَلقًا وخُلقًا. وتوفيت امهُ بمرض الصدر وعمرهُ سبع سنوات وأصيب هو بهِ في صغرهِ لكنهُ شفي منهُ وكان في حداثتهِ ضعيف البنية قليل الرغبة في العلم. واولاد السلاطين يعلَّمون مع التركية والفارسية لغة اجنبية اما هو فكان يكره تعلُّم اللغات وغاية ما حفظهُ منها قليل من الفرنسوية تعلمهُ من فتاة بلجيكية. وربي تربية لا تثقف العقل ولا تهذب الاخلاق ولا تدمث الطباع. وزار اوربا مع عمهِ السلطان عبد العزيز ويقول الاستاذ فهيري ان صور مدنها ومشاهدها انطبعت في ذاكرتهِ و يقول المستر مارو

انهُ لم يستفد من هذه الزيارة شيئاً فبقي على كرههِ للاوربيين

وقد الَّف جورج دورس بكْ ادوسيدس باشا والي كريت كتاباً في السلطان عبد الحميد طُبع منذ نحو ثماني سنوات وصفهُ فيهِ في حداثتهِ وصفاً يفسّر ما صار اليهِ في كهولتهِ . ويظهر مما ذكرهُ في كتابهِ انهُ عاش حول يلديز وكان لهُ فرَص غير عادية للوقوف على احوال السلطان واعمالهِ فعرفها معرفة مَن يراها عن قرب ويعلم سوابقها ولواحقها وما ترمي اليهِ وقد قال في كتابهِ ان السلطان عبد الحميد لم يهتم قط باصلاح بلادهِ بل فعل كل في طاقتهِ لخرابها منذ خمس وعشرين سنة الى الآن فخنق جرثومة الحرية التي كان يمكن ان تحيي البلاد وقطع عنق استقلالها وهو في مهدهِ فحصر السلطة في يدهِ بالحيلة واودى بكل مَن اوجس منهُ المخالفة لهُ وشلَّ اعصاب حب الوطن وكمَّ فم الصدق وقيَّد استقلال الفكر والضمير وذبح الالوف من رعاياهُ ولم يهتم الاَّ بتعزيز عرشهِ مهما كلَّف البلاد فاستخدم في سبيل ذلك الصنيعة والجاسوسية والجهل والجور والرشوة والصرامة وما بين الرجال من الضغائن والاحقاد

وكتاب دورس مشحون بمثل هذه المذام وقد حُكم عليهِ بالاعدام بسببهِ فهرب الى باريس ولم تشأ الحكومة الفرنسويَّة ان تسلمهُ للحكومة العثمانية . الاَّ ان غيرهُ من الكتَّاب لم يوافقوهُ على كل ما كتب فالاستاذ ادون شرفنور الاميركي وقد كان من اساتذة مدرسة روبرت الاميركية في الاستانة وصفهُ منذ خمس عشرة سنة وصفاً لا يوصف بهِ الاَّ اعاظم الملوك واعدلهم فقال انهُ كريم جوَّاد يهتم بخير رعيتهِ وليس بين الملوك من يجاريهِ في الجود على ذوي اليأساء . لكنهُ ذكر في عرض ذلك ما يحسب مصدر اسرهِ الاحكام وهو اهتمامهُ بالصغائر كما تقدَّم فقال انهُ يهتم اشد الاهتمام بكل مسألة مهما كانت طفيفة

وكذلك دهـ موشمس البوناني تغنَّى بمدحهِ وقال انهُ سائر في خطة مُحمَّد الفاتح وسليمان القانوني وقد عضد العلوم والفنون وهو وديع انيس كريم مستنير ذكي الفؤاد عالي الهمة كثير الاشتغال بمهام السلطنة سديد الاحكام فيها

وقال صموئيل كوكس سفير اميركا في تركيا انهُ ملك بكل معاني الكلمة ويستحق اعظم مدح على ما بيديهِ من المقدرة في سياسة بلادهِ والتوفيق بين شعوبها المختلفي الاجناس والمذاهب

وقد كتب هذا السفير ذلك منذ ١٧ سنة . والظاهر ان اكثر الذين كتبوا عن السلطان عبد الحميد قبل المذابح الارمنية كانوا ميَّالين الى مدحهِ واطراء سياستهِ ولو ذكروا عرَضاً كثرة اشتغالهِ واهتمامهِ بالمسائل الطفيفة . ويظهر من ذلك ان الاعمال الظاهرة

التي عملها في النصف الاول من سني ملكه كان اكثرها مما يمدح عليه وان الاعمال المذمومة التي حملهُ عليها خوفهُ على نفسهِ كقتلهِ لمدحت باشا كان بفعلها خنية ثم زاد خوفهُ على نفسهِ وايجاسهُ الشر فاكثر من استخدام الجواسيس وصار وسواسهُ هذا يزيدهُ اقداماً على الفتك بالذين يخاف منهم والفتك بهم يزيدهُ خوفاً ووسواساً . مرضٌ عصبي استولى عليهِ وزادهُ المقربون منهُ مرضاً بحيلهم ووشاياتهم واكاذيبهم . ولقد صدق بتلقيبهم بالخوّانة ولعلهُ كان يعلم دائماً انهم كذلك ولكنهُ كان يخشاهم ولا يستطيع التخلص من استهوائهم . وكيف يستطيع وهو مصاب بالضعف العصبي (Neurasthenia) كما قال احد اطبائهِ وبالارق المزمن وبالخوف من الاغتيال حتى صار يحسب ان الناس لا يأتمرون الاَّ على قتلهِ فيلقون القنابل في طريقهِ ويحفرون الامراب تحت الارض للوصول اليهِ . وان صحَّ ما روي عنهُ من انهُ قتل ابنة صغيرة من بناتهِ مخافة ان تكون قاصدة اغتيالهُ فذلك وحدهُ كافٍ لتفسير كل اعمالهِ

وما ابتلاؤهُ بهذا النوع من الجنون باغرب من صبر اعوانهِ عليهِ وتسابقهم الى الانتفاع من وسواسهِ وهم يرون بعيونهم ما حلَّ بالسلطنة ولا يأتمرون على انفسهم يوماً بين يديهِ واذا تيسَّر لاحد منهم الفرار من الاستانة او الخروج منها لم يعد اليها مها اغري بالمواعيد. وهل انقرض اولئك الاعوان الآن او لا يخشى انهم يتقرَّبون الى السلطان الجديد بمثل ما تقربوا بهِ الى السلطان المخلوع . قرأنا بالامس خرافة نشرت في جريدة عربيَّة بمدينة باريس يظهر لقارئها ان كاتبها يقصد ان يتوسَّل بها الى ابهام جلالة السلطان بصحة معرفة الطوالع وصدق الخزعبلات . والا وهام التي من هذا القبيل قد تجوز على عقول العلماء فلا عجب اذا جازت على عقول ملوك الشرق الذين ليس لهم حظ كبير من درس العلوم الطبيعيَّة والبحث عن نقض الخرافات ولذلك لا ضمان للامة العثمانية الاَّ اذا تولَّت احكامها وزارة قوية رشيدة من مجلس نواب يضم نخبة رجالها المثقفين المتنورين

لكنَّ ما نقرأهُ عن جلالة السلطان محمد الخامس يحقق لنا انهُ يكون سلطاناً دستوريًّا بحتاً فقد روي انهُ قال لوفد من اعيان مدينة بروسه تقدموا منهُ فان الرعية يجب ان تكون متصلة بسلطانها غير منحازة عنهُ . وقال لم ايضاً ان الامة تجد السلطان دائماً ولكن السلطان لا يجدها دائماً فاذا سار على هذه الخطة دائماً ولم يقرب الاَّ الاكفاء المخلصين للوطن حقق فيهِ امال رعيتهِ

بلاد الفرس ومستقبلها

حيينا الدستور الفارسي قبل حيينا الدستور العثماني ولكن قضي على دستور الفرس ان يجتاز النار هو ورجاله قبل ان يعود الشاه الى الاعتراف به كما قضي على الدستور العثماني ان يقوم في سبيله فتنة كبيرة تهرق فيها دماء عشرات الالوف من الابرياء قبل ان تكف يد العدوان عنهُ . ولا تزال البلادان حتى كتابة هذه السطور تمخضان وقد تخرجان فائزتين فيتغلب الحق على البطل والعدلُ على الظلم والرعية البرية على الرعاة الظالمين . وقد يقضي عليهما فيعود الاستبداد الى سالف عهدهِ

مساحة بلاد الفرس نحو ٦٣٠٠٠٠ ميل مربع اي اكثر من ثلاثة اضعاف فرنسا وستة اضعاف انكلترا . وعدد سكانها غير معروف تمامًا ولكنهُ يقدَّر تقديرًا بنحو تسعة ملايين ونصف من النفوس اي اقل سكانًا من القطر المصري . وايراد حكومتها السنوي نحو مليون وستمئة الف جنيه اي نحو عشر ايراد القطر المصري ومع ذلك لا يزال الشاه يلقب نفسهُ ويلقبهُ رعاياهُ بكل القاب التفخيم والتمجيد الموروثة من العصور الغابرة كشاهنشاه وظل الله وكعبة العالم وينبوع العلم وسراط السماء والسلطان الاعظم الذي عمَّهُ الشمس وجنودهُ كالنجوم عدًّا الى غير ذلك من الطنطنات الفارغة التي نودُّ ان يترفَّع جلالتهُ عنها ويعود الى معنى كلمة ملك الحقيقي وهو خادم الرعية لا معبودها

وكانت بلاد الفرس في سالف عهدها من اعظم ممالك المشرق وقام فيها ملوك عظام مثل قورش وكمبيسس وداريوس قادوا الجيوش ودوخوا الممالك وفي جملة ما امتلكوهُ عنوة القطر المصري كلهُ وذلك منذ الفين وخمس مئة سنة وامتدَّ ملكهم من بلاد الهند شرقًا الى اقصى اسيا غربًا والى جانب كبير من شمالي افريقية . والبلاد التي انبجت مثل قورش ودرايوس في القرون الغابرة وكسرى في القرن السادس وشاه عباس في القرن السابع عشر لا يستغرب ان تصير من الممالك العظيمة لامها وان الشعب الفارسي من ارومة الشعوب الاوريَّة وهو اصل لها في رأي كثيرين من الباحثين في اصل الامم

والارض كثيرة الخيرات شديدة الخصب حيث توجد المياه لريها لكن وسائل الري قليلة ولذلك فاجانب الاكبر منها قاحل . ويزرع فيما يروى منها القمح والشعير وسائر الحبوب والارز والسكر والتبغ والقطن والقوَّة والخشخاش والحناء ويربى فيها دود الحرير وكان يصدر منها من الحرير ما ثمنهُ سبع مئة الف جنيه . ويكثر فيها الكرم والزيتون

واثمارها يضرب المثل بجودتها كالتفاح والاجاص والبندق والجوز والخوخ والدراقن والشمام. ومواشيها كثيرة من البقر والغنم والمعزى والجمال والخيل والبغال وفيها غابات واسعة جدًّا اكثر اشجارها السنديان

ويصدر منها الحرير والافيون وصمغ الكثيراء والبسط الفارسية وقد بلغت قيمة الصادرات منها سنة ١٩٠٦ نحو خمسة ملايين من الجنيهات وهاك جدول اخصها

القطن	٨١٦١٤٠ جنيهًا	الاثمار	٦٩٨٥٨٠ جنيهًا
الصوف	٣٦٤١٦٠ »	السمك	٧٨٥٦٣٠ »
المنسوجات الصوفية	٧٥٤٠٨٠ »	الصمغ	١٨١٢٦٠ »
شرانق الحرير	٢٧١٥٢٤ »	الافيون	١٠٩٢٠٠ »
الرز	٦١٨٦٣٠ »	الجلود	٢٥٣٧٤٠ »

وشرعوا في زرع الشاي فيها سنة ١٩٠١ فزرع منهُ مليون شجرة واصدروا منهُ سنة ١٩٠٦ ما ثمنهُ ١٨٣٦٠ جنيه ولكن الحوادث الاخيرة كادت تقضي على هذه الزراعة

ومعادن البلاد كثيرة فمنها الرصاص والنحاس في كل ولاياتها وفي معدن الرصاص كثير من الفضة . وفيها القصدير والانتيمون والنكل والكوبلت والمغنيس والحديد والفحم الحجري والملح والكبريت والبترول والفيروز . فالبلاد في حالتها الطبيعية معدَّة للزراعة والصناعة ولاهاليها ذوق خاص في اتقان المصنوعات

وتبلغ قيمة وارداتها الآن نحو ستة ملايين من الجنيهات وقيمة صادراتها نحو خمسة ملايين من الجنيهات كما تقدم وليس على البلاد ديون باهظة . والايرانيون المنتشرون في اقطار المسكونة شرقًا وغربًا من اغنى التجار والصنَّاع فاذا أُصلحت حكومة بلادهم حتى صاروا يفتخرون بها فلا يبعد انهم يساعدونها باموالهم كما يساعد اليونانيون دولتهم. وهم اهل جد ونشاط ويبلغنا ان جمهور الايرانيين مثلهم من هذا القبيل . ولقد ادهشنا من احدهم انهُ كاتب المقتطف من تبريز باحثًا في مسألة علمية وراءها فيهِ والمدينة تحت الحصار مهدَّدة بالسيف والجوع . وامة يكون فيها مثل ذلك الرجل واضرابهِ من محبي العلم الذين حظي المقتطف لديهم اكبر حظوة لا يعزُّ عليها ان تصير في مصاف الممالك العظيمة اذا أُحسنت سياستها وان تعود الى سالف مجدها بهمة رجالها . ولكن اذا بقي حكامها على ما هم فيهِ من ارهاق الرعية لقد قسمت البلاد شطرين منذ الآن شطر لروسيا وشطر لانكلترا والله يورث الارض عبادهُ الصالحين

الغزالي

(تابع ما قبلهُ)

آراء الغزالي في العلوم الاسلامية لعهدهِ

بيّنا في ما اسلفنا ان الوسط الذي عاش فيهِ الغزالي كان العظمة والنبوغ فيهِ بالتبريز في علم الفقه والتوحيد والمهارة في الجدل حتى يشهد لهُ الخصوم وتخضع الاقران وكان لعهدهِ فريق اتخذ الفلسفة شعارًا فاضاع في الخوض فيها زمنًا وكان معظمها من الفلسفة اللفظية التي لا تحق حقًّا ولا تبطل باطلاً بل تزيد الفرقة وتقطع الوصلة . وقد قسمت هذه العلوم الثلاثة المسلمين الى فرق شتى يستحل كل منها المكروه بالاخر . فهاج الفقه والجدل فيهِ هائج العصبية بين الشافعية والحنفية في بلاد العراق حتى كان ذلك في بعض الاحايين داعية الفتن والخروج عن الجادة والالفة الاسلامية . وانما عصم الله المالكية من الخوض في هذه الغمرات لانهم كانوا بعيدين عن دنيا اهل العراق لا يشركونهم في شيء منها وحب الدنيا كما تعلمون رأس كل خطيئة . وكانت بلاد المغرب والاندلس للمالكية خاصة ليس لاحد من غيرهم فيها كبير شأن . وهاج التوحيد والجدل فيهِ عصبية جلّى بين الاشعرية والمعتزلة ثم بين المعتزلة بعضهم مع بعض ثم بين الفلاسفة وجميع هؤلاء وبين الاشعرية والحنابلة ببغداد لما كان لهؤلاء من القول بالتشبيه الذي لا يقول بهِ اتباع الاشعري . وكانت تستعر الفتن بين الفريقين حتى تمسي بغداد منهم على خطر . انبرى الغزالي لتعجيز ذلك كله وانهُ ليس مما يوصل الى الله ويطهر القلب ويجعل الانسان انسانًا كاملاً . فقال ان ما يفيد الانسان هو الكلام في جهاد النفس وتحليتها بجميل الاخلاق وتخليتها من دنس الاخلاق . فالعلم بحدود هذه الامور وحقائقها واسبابها وثمراتها وعلاجها هو العلم الحق وهو فرض عين سبق فتوى علماء الآخرة . ولو سئل فقيه عن معنى من هذه المعاني حتى عن الاخلاص او عن التوكل او وجه الاحتراز عن الرياء لتوقف فيهِ ولو سألتهُ عن اللعان والظهار لسرد عليك مجلدات من التفريعات الدقيقة التي تنقض الدهور ولا يحتاج الى شيء منها لا يزال يتعب ليلاً ونهارًا في حفظها ودرسها ويغفل عما هو مهم في نفسهِ في الدين واذا روجع فيهِ قال اشتغلت بهِ لانهُ علم الدين وفرض الكفاية ويلبس على نفسهِ وعلى غيرهِ في تعلمهِ وانفطن يعلم انهُ لو كان غرضهُ اداء حق الامر في فرض الكفاية لقدم عليهِ فرض العين بل قدم عليهِ

كثيراً من فروض الكفايات . فكم من بلد ليس فيه طبيب الا من اهل الذمة ثم لا ترى احداً يشتغل به ويتهافتون على علم الفقه لا سيما الخلافيات والجدليات والبلد مشحون من الفقهاء بين يشتغل بالفتوى والجواب عن الوقائع فليت شعري كيف يرخص فقهاء الدين في الاشتغال بفرض كفاية قد قام به جماعة واهمال ما لا قائم به . هل لهذا سبب الا ان الطب ليس يتيسر به الوصول الى تولي الاوقاف والوصايا وحيازة اموال الايتام وتقلد القضاء والحكومة والتقدم به على الاقران والتسلط به على الاعداء

ثم ضرب المتكلمين ضربة هي اشد من هذه وانكى فقال ان حاصل ما يشتغل عليه الكلام من الادلة التي ينتفع بها فالقرآن والاخبار مشتملة عليها وما خرج عنهما فهو اما تحاولة مذمومة وهي من البدع واما مشاغبة بالتسلق بمناقضات الفرق لها وتطويل بنقل المقالات التي اكثرها ترهات وهذيانات تزدريها الطباع وتجها الاسماع وبعضها خوض في ما لا يتعلق بالدين ولم يكن شيء منه مألوفاً في العصر الاول وكان الخوض فيه بالكلية من البدع ولكن تغير الآن حكمه اذ حدثت البدع الصارفة عن مقتضى القرآن والسنة ونبغت جماعة لفقوا لها شبهاً ورتبوا فيها كلاماً مؤلفاً فصار ذلك المحظور بحكم الضرورة مأذوناً فيه بل صار من فروض الكفايات وهو القدر الذي يقابل به المبتدع اذا قصد الدعوة على البدعة وذلك الى حد محدود . ثم قال ان معرفة الله وصفاته وافعاله لا تحصل من علم الكلام بل يكاد يكون الكلام حجاباً عليه ومانعاً منه وانما الوصول اليه بالمجاهدة

ثم اورد على نفسه اعتراضاً وهو كيف تنزل بهذين العلمين الفقه والتوحيد الى هذا الحد مع ان فقهاء الامة المشهورين بالفضل هم الفقهاء والمتكلمون وهم افضل الخلق عند الله فكيف تنزل درجاتهم الى هذه المنزلة السافلة بالاضافة الى علم الدين . واجاب عن ذلك بقوله اعلم ان من عرف الحق بالرجال حار في متاهات الضلال فاعرف الحق تعرف اهله ان كنت سالكاً طريق الحق وان قنعت بالتقليد والنظر الى ما اشتهر من درجات الفضل بين الناس فلا تغفل عن الصحابة وعلو منزلتهم فقد اجمع الدين عرضت بذكرهم على تقدمهم وانهم لا يدرك في الدين شأوهم ولا يشق غبارهم ولم يكن تقدمهم بالكلام والفقه بل بعلم الآخرة وسلوك طريقها

بحث الغزالي عن الاسباب التي دعت لشيوع المناظرة والجدل بين الفقهاء والمتكلمين لان الاشياء اذا ظهرت للناس اسبابها وكانت اسباباً مرضية سهل رجوع الناس عنها فقال لما انتقل امر الخلافة الى من لم يكونوا في انفسهم فقهاء احتاجوا الى من يعينهم من الفقهاء

ليزاولوا القضاء والحكومات فرأى اهل تلك الاعصار ان العلماء واقبال الائمة والولاة عليهم فاشرأبوا لطلب العلم توصلاً الى درك العز ونيل الجاه من قبل الولاة فاكبوا على الفتاوى وعرضوا انفسهم على الولاة وتعرفوا اليهم وطلبوا الولايات والصلات وكان اكثر الاقبال في تلك الاعصار على الفتاوى والاقضية لشدة الحاجة اليهما في الولايات والحكومات . ثم ظهر بعدهم من الصدور والامراء من يسمع مقالات الناس في قواعد العقائد ومالت نفسهُ الى سماع الحجج فيها فمالت رغبتهُ الى المناظرة والمجادلة في الكلام فاكب الناس على علم الكلام واكثروا فيهِ التصانيف ورتبوا فيهِ طرق الجادلات وزعموا ان غرضهم الذب عن الدين والذهاب عن السنة وقمع المبتدعة كما زعم من قبلهم ان قصدهم من الاشتغال بالفتاوى الدين ونقلد احكام المسلمين اشفاقاً على خلق الله ونصيحة لهم . ثم ظهر بعد ذلك من الصدور من لم يستصوب الخوض في الكلام وفتح باب المناظرة فيهِ لما كان قد تولد من فتح بابهِ من التعصبات الفاحشة والخصومات الفاشية والمفضية الى اهراق الدماء وتخريب البلاد ومالت نفسهِ الى المناظرة في الفقه وبيان الاولى من مذهب الشافعي وابي حنيفة على الخصوص وتساهلوا في الخلاف مع مالك وسفيان واحمد وغيرهم وزعموا ان غرضهم استنباط دقائق الشرع وتقرير علل المذاهب وتمهيد اصول الفتاوى وهم مستمرون عليهِ الى اليوم . ولسنا ندري ما الذي يحدث الله فيما بعدنا من الاعصار . فهذا هو الباعث على الاكباب على الخلاف والمناظرات لا غير ولو مالت نفوس ارباب الدنيا الى الخلاف مع امام آخر من الائمة اراني علم آخر من العلوم لمالوا ايضاً معهم ولم يمسكوا عن النضال بان ما اشتغلوا بهِ هو علم الدين وان لا مطلب لهم سوى التقرب الى رب العالمين

رأى المناظرين قد يلبسون على الناس للرفع من قيمة مناظراتهم وانما كان يفعلها السلف من الصحابة والكبار من الفقهاء لاحقاق الحق فقال ان الوصول الى الحق محمود فالمناظرة التي تؤدي اليهِ محمودة ولكن جعل لذلك شروطاً هي مبادئ سامية لكل مناظر ولا يمكنهم ان يدعوا الاتصاف بها

(١) ان لا يشتغل بها وهي من فروض الكفاية من لم يتفرغ من فروض الاعيان فان من عليهِ فرض عين فاشتغل بفرض كفاية وزعم ان مقصدهُ الحق فهو كذاب ومثلهُ من يترك الصلاة في نفسهِ ويتجرد في تحصيل الثياب ونسجها ويقول غرضي استتر من يصلي عرياناً ولا يجد ثوباً فان ذلك ربما يتفق ووقوعهُ ممكن كما يزعم الفقيه ان وقوع الوادر التي عنها البحث في الخلاف ممكن . والمشتغلون بالمناظرة مبطلون لامور هي فرض عين بالاتفاق

(٢) ان لا يرى فرض كفاية اهم من المناظرة فان رأى ما هو اهم وفعل غيرهُ عصى بفعله وكان مثالهُ مثال من يرى جماعة من العطاش اشرفوا على الهلاك وقد اهملهم الناس وهو قادر على احيائهم بان يسقيهم الماء واشتغل بتعلم الحجامة وزعم انهُ من فروض الكفاية ولو خلا البلد عنها هلك الناس واذا قيل لهُ ان في البلد جماعة من الحجامين وفيهم غنية فيقول هذا لا يخرج الفعل عن كونهِ فرض كفاية . فحال من يفعل هذا ويهمل الاشتغال بالواقعة الملمة بجماعة العطاش كحال المشتغل بالمناظرة وفي البلد فروض كفايات لا قائم بها

(٣) ان يكون المناظر مجتهداً يفتي برأيهِ لا بمذهب الشافعي وابي حنيفة حتى اذا ظهر لهُ الحق في مذهب ابي حنيفة ترك ما يوافق رأي الشافعي وافتى بما ظهر لهُ كما كان يفعل الصحابة والائمة فاما من ليس لهُ رتبة الاجتهاد وهو حكم كل اهل العصر وانما يفتي فيما يأثر عنهُ ناقلاً عن مذهب صاحبهِ فلو ظهر لهُ ضعف مذهبهِ لم يجز لهُ ان يتركهُ فاي فائدة لهُ في المناظرة ومذهبهُ معلوم وليس لهُ التفتي بغيرهِ وما يشكل عليهِ يلزمهُ ان يقول لعل عند صاحب مذهبي جواباً عن هذا فاني لست مستقلاً بالاجتهاد في اصل الشرع

(٤) ان لا يناظر الاَّ في مسألة واقعة او قريبة من الوقوع غالباً . ولا ترى المتناظرين يبتدون بالمسائل التي تم البلوى بالفتوى فيها بل يطلبون الطبوليات التي تسمع فيتسع مجال الجدل فيها كيف كان الامر وربما يتركون ما يكثر وقوعهُ ويقولون هذه مسألة خبرية او هي من الزوايا وليست من الطبوليات . فمن العجائب ان يكون المطلب هو الحق ثم يتركون المسألة لما ذكروا والمقصود في الحق ان يقصر الكلام ويبلغ الغاية على القرب لا ان يطول

(٥) ان تكون المناظرة في الخلوة احب اليهِ واهم من المحافل وبين اظهر الاكابر والسلاطين فان الخلوة اجمع للفهم واحرى بصفاء الذهن والفكر ودرك الحق وفي حضور الجمع ما يحرك دواعي الرياء ويوجب الحرص على نصرة كل واحد نفسهِ حقاً كان او مبطلاً وانت تعلم ان حرصهم على المجامع والمحافل ليس لله وان الواحد منهم يخلو بصاحبهِ مدة طويلة فلا يكلمهُ وربما يقترح عليهِ فلا يجيب واذا ظهر مقدم او انتظم مجمع لم يغادر شيئاً من فرس الاحتيال منازعاً حتى يكون هو المتخصص بالكلام

(٦) ان يكون في طلب الحق كناشد ضالة لا يفرق بين ان تظهر الضالة على يدهِ او على يد من يعاونهُ ويرى رفيقهُ معيناً لا خصماً ويشكرهُ اذا عرَّفهُ الخطأ واظهر لهُ الحق كما لو اخذ طريقاً في طلب ضالة فنبههُ صاحبهُ على ضالتهِ في طريق آخر فانهُ كان يشكرهُ ولا يذمهُ ويكرمهُ ويفرح بهِ اما المناظرون اليوم فانت ترى كيف يسود وجه احدهم اذا

اتضح الحق على لسان خصمهِ وكيف يخجل بهِ وكيف يجتهد في مجاحدتهِ بافضى قدراهِ وكيف يذم من اخمهُ طول عمرهِ

(٧) ان لا يمنع معينهُ في النظر من الانتقال من دليل الى دليل ومن اشكال الى اشكال ويخرج من كلامهِ جميع دقائق الجدل المبتدعة فيما لهُ وعليهِ كقولهِ هذا لا يلزمني ذكرهُ وهذا يناقضهُ كلامك الاول فلا يقبل منك . فان الرجوع الى الحق مناقض للباطل يجب قبولهُ وانت ترى جميع المجالس تنقضي في المدافعات والمجادلات حتى يقيس المستدل بعلة يظنها فيقال لهُ ما الدليل على ان الحكم في الاصل معلل بهذه العلة فيقول هذا ما ظهر لي فان ظهر لك ما هو اوضح منهُ واولى فاذكرهُ حتى انظر فيهِ فيصير المعترض ويقول فيهِ معان سوى ما ذكرتهُ وقد عرفتها ولا اذكرها اذ لا يلزمني ذكرها ويقول المستدل عليك ايراد ما تدعيهِ وراء هذا و يصير المعترض على انهُ لا يلزمهُ و يتوخى مجالس المناظرة بهذا الجنس من السؤال والمثالهِ ولا يدري المسكين ان قولهُ اعرفهُ ولا اذكرهُ اذ لا يلزمني كذب على الشرع فانهُ ان كان لا يعرف معناهُ وانما يدعيهِ لعجز خصمهِ فهو فاسق كذاب عصى الله وتعرض لسخطهِ بدعواهُ معرفة هو خال عنها وان كان صادقاً فقد فسق باخفائهِ ما عرف من امر الشرع بعد ان سئل عنهُ . فمعنى قوله لا يلزمني اي في شرع الجدل الذي ابتدعناهُ بحكم التشهي والرغبة في طريق الاحتيال والمصارعة بالكلام لا يلزمني

(٨) ان يناظر من يتوقع الاستفادة ممن هو مشتغل بالعلم والغالب انهم يحترزون من مناظرة الفحول والاكابر خوفاً من ظهور الحق على السنتهم فيرغبون فيمن دونهم طمعاً في ترويج الباطل عليهم

هذه هي المبادئ السامية التي وضعها هذا الامام الحجة الثبت للمناظرة بعد ان بين اسبابها واضرارها وعلاجها كما هو شأن الباحثين الذين يريدون الخير باسهم ولكنا بالاسف لم نستفد كثيراً من هذه التعاليم بل بقينا كما كنا لان مظاهر الدنيا غطت على البصائر والابصار

يقول هذا الامام بعد ان ادلى بحجتهِ واعلم ان من لا يناظر الشيطان وهو مستولٍ على قلبهِ وهو اعدى عدوهُ ولا يزال يدعوهُ الى هلاكهِ ثم يشتغل بمناظرة غيرهِ في المسائل التي المجتهد فيها مصيب ومسامح للمصيب في الاجر فهو ضحكة للشيطان وعبرة للمخلصين

تكلم الغزالي عن التعليم والتعلم فوضع للتعلم والمعلم اساساً يبنيان عليها ما يريدان ان يشتغلا بهِ وهي على ما نظن من خير المبادئ التي اخرجها الفكر للناس ومقامها في التعليم العالي الذي كان الغزالي يشتغل بهِ قال رحمهُ الله على يلزم المتعلم

(١) ان يقدم طهارة نفسه عن رذائل الاخلاق فان كان الطالب رديء الخلق ما ازداد من العلم الحقيقي الا بعداً عن الله وكلما كان الخلق رديئاً فان التعاليم النظرية لا تزيد صاحبها الا رداءة وخبثاً

(٢) ان لا يتكبر على العلم ولا يتأمر على المعلم ويلقي زمام امره بالكلية اليه في كل تفصيل ويذعن لنصحه اذعان المريض الجاهل للطبيب المشفق الحاذق وينبغي ان يتواضع للعلم ويطلب الثواب والشرف بخدمته ولا ينبغي ان يسأله الا اذا اذن له فان سؤال الطالب عما لم تبلغ مرتبته اليه مذموم

(٣) ان يحترز اخائفين في العلم في مبدإ الامر عن الاصغاء الى اختلاف الناس سواء كان ما خاض فيه من علوم الدنيا ام من علوم الآخرة وذلك يدهش عقله ويحير ذهنه ويفتر رأيه ويوشك ان يحرمه عن الادراك والاطلاع بل ينبغي ان يتقن اولاً الطريقة الواحدة المرضية عند استاذه ثم بعد ذلك يصغي الى المذاهب والشبه وان لم يكن استاذه مستقلاً باختيار رأي واحد وانما عادته نقل المذاهب وما قيل فيها فليحذر منه فان اضلاله اكثر من ارشاده فلا يصلح الاعمى لقود العميان وارشادهم ومن هذا حاله يبعد في عمى الحيرة وتيه الجهل

(٤) ان لا يدع الطالب فناً من الفنون المحمودة ولا نوعاً من انواعه الا وينظر فيه نظراً يطلع به على مقاصده وغايته ثم ان ساعده العمر طلب التبحر فيه واستوفاه وتطرف من البقية فان العلوم متعاونة وبعضها مرتبط ببعض ويستفيد منه في الحال الانفكاك عن عداوة ذلك العلم بسبب جهله فان الناس اعداء لما جهلوا

(٥) ان لا يخوض في فن من الفنون دفعة بل يراعي الترتيب ويبتدئ بالاهم فان العمر اذا كان لا يتسع لجميع العلوم فالحزم ان يأخذ من كل شيء احسنه

(٦) ان لا يخوض في فن حتى يستوفي الفن الذي قبله فان العلوم مرتبة ترتيباً ضرورياً وبعضها طريق الى بعض والموفق من راعى ذلك الترتيب والتدريج

(٧) ان يكون قصد المتعلم في الحال تحلية باطنه وتجميله بالفضيلة وفي المآل القرب من الله سبحانه ولا يقصد به الرئاسة والمال والجاه ومماراة السفهاء ومباراة الاقران

اما ما يلزم المرشد المعلم فهو

(١) الشفقة على المتعلمين وان يجريهم مجرى بنيه

(٢) ان لا يطلب على افادة العلم اجراً ولا يقصد به جزاء ولا شكراً بل يعلم لوجه الله خالصاً وان لا يرى لنفسه منة على طلبة وان كانت المنة لازمة عليهم بل يرى الفضل لهم

اذ هذبوا قلوبهم لان تتقرب الى الله بزرع العلوم فيها

(٣) ان لا يدع من نصح المتعلم شيئاً وذلك بان يمنعهُ من التصدي لرتبة قبل استحقاقهِ والتشاغل بعلم خفي قبل الفراغ من الجلي

(٤) وهي من دقائق صناعة التعليم ان يزجر المتعلم عن سوء الاخلاق بطريق التعريض ما امكن ولا يصرح وبطريق الرحمة لا بطريق التوبيخ فان التصريح يهتك حجاب الهيبة ويورث الجرأة على الهجوم بالخلاف ويهيج الحرص على الاصرار

(٥) ان المتكفل ببعض العلوم ينبغي لهُ ان لا يقبح في نفس المتعلم العلوم التي وراءهُ كمعلم اللغة اذ عادتهُ تقبيح الفقه ومعلم الفقه عادتهُ تقبيح علم الحديث والتفسير ومعلم الكلام ينفر عن الفقه فهذه اخلاق مذمومة للمعلمين ينبغي ان تجتنب والمتكفل بعلم واحد ينبغي ان يوسع على المتعلم طريق التعلم في غيرهِ

(٦) ان يقتصر بالمتعلم على قدر فهمهِ فلا يلقي اليهِ ما لا يبلغهُ عقلهُ فينفرهُ او يخبط عليهِ عقلهُ

(٧) ان المتعلم القاصر ينبغي ان يلقى اليهِ الجلي اللائق بهِ ولا يذكر لهُ ان وراء هذا تدقيقاً وهو يدخرهُ عنهُ فان ذلك يفتر رغبتهُ في الجلي ويشوش عليهِ قلبهُ ويوهم اليهِ البخل بهِ عنهُ اذ يظن كل احد انهُ اهل لكل علم دقيق فما من احد الاَّ وهو راضٍ عن الله سبحانهُ في كمال عقلهِ واشدهم حماقة واضعفهم عقلاً هو افرحهم بكمال عقلهِ

(٨) ان يكون المعلم عاملاً بعلمهِ فلا يكذب قولهُ فعلهُ وكل من تناول شيئاً وقال للناس لا تتناولوهُ فانهُ سم ذعاف مخرب الناس بهِ واتهموهُ وزاد حرصهم على ما نهوا عنهُ

هذا ايها السادة طرف من تعليم هذا الرجل في القرن الخامس من الهجرة . ومما يؤسف لهُ في حياة هذه الامة الباسلة ان وجد فيها كثير من ارباب الفكر الذين ازاحوا عن اعناقهم نير التقليد بما ادتهُ من قوة العقل ورياضة الجأش ولكن تعاليمهم لا تلبث ان يأتي عليها الزمن فتنطمس كامس الدابر ولا يكون للخلف تعبير يهذب قواعدها ويدعو الناس الى العمل بها . ويا ليت ان المفكرين يخلصون لا عليهم ولا لهم بل الامر بالعكس فان كتب الغزالي ظلت لقيت اضطهاداً حتى في المدن المستنيرة فقد احرقت في رابعة النهار بمدينة المرية احدى حواضر الاندلس وجعلهُ من ترجمهُ موضوعاً للقادحين والمادحين فهذا يقول زائغ ملحد وآخر يقول بل مؤمن محقق ويظلون في ابحاث الالفاظ حتى يضيقوا الخناق على من يقرأ كلامهم اما الموضوع والتعاليم فقلما يبحثون فيها . ولذلك قلما تكون تعاليم النابغين

آثار عملية في حياة هذه الامة ويعتقد كثير من الناس ان حياتهم لا تدوم الاَّ بمصادمة كل ذي فكرة يرى فيها صلاحاً لأمته فيخافون لهُ العواقب ويتهمونهُ بما شاؤوا من التهم واذا اعوزتهم الحيلة جاءوا من قبل الدين فيشوهونهُ للعامة بصورة تنفر منها الابدان ولولا ان الغزالي كان يظهر للناس آراءهُ وهو بعيد من دنيا اهل السوء حينما نفى عليهم مذاهبهم لنالهُ منهم شر كثير

وبالجملة فانا نرى الغزالي قد ارتفع كثيراً عن الوسط الذي عاش فيهِ وابدى آراءهُ بكثير من الصراحة وان لم يمكننا ان نقول بكل الصراحة

آراء الغزالي في النفس

الغزالي كان جل ما يسعى اليهِ هو الفضيلة والتحلي بها ومن هذا شأنهُ لا بد لهُ من كلمة في النفس واني ارى آراءهُ فيها نضجت من قبل التصوف المحجوب بالنقل عن الدين وهو من ابحاثهِ بعيد عن التشريح (التحليل) الفلسفي وهو ما اهتم بهِ المتقدمون من الفلاسفة وقليل من متاخريهم كما انهُ بعيد عن التشريح العملي وهو ما يميل اليهِ كثير من فلاسفة الغربيين الآن

قال الغزالي ان هناك اربعة من الاسامي تختلف مسمياتها القلب والنفس والروح والعقل

فاما القلب فحقيقتهُ الجسمية معلومة وتستوي فيهِ الحيوانات . واما القلب المشار اليهِ بقولهِ تعالى (ان في ذلك لذكرى لمن كان لهُ قلب او القى السمع وهو شهيد) فهو لطيفة ربانية روحانية لها بهذا القلب الجسماني تعلق وتلك اللطيفة هي حقيقة الانسان واما علاقتها بالقلب الجسماني فما حار فيهِ الغزالي او مما لم يرد اظهارهُ

الروح يراد بها معنيان احدهما جسم لطيف منبعهُ تجويف القلب فينتشر بواسطة العروق الضوارب الى سائر اجزاء البدن وجريانهُ في البدن وفيضان انوار الحياة والحس منها على الاعضاء يشبه فيضان النور من السراج الذي يدار في زوايا البيت فانهُ لا ينتهي الى جزء من البيت الاَّ ويستنير بهِ والحياة بمثالها النور الحاصل في الحيطان والروح بمثالها السراج وسريان الروح وحركتهُ في الباطن مثل حركة السراج في جوانب البيت بتحريك محركهِ — الثاني — هو اللطيفة العالمة المدركة من الانسان وهو المعنى الثاني من معاني القلب

النفس يراد بها معنيان احدهما المعنى الجامع لقوة الغضب والشهوة في الانسان — الثاني تلك اللطيفة التي هي الانسان بالحقيقة وانما اوصاف يختلف احوالها فهي المطمئنة وهي اللوامة

العقل ذكر لهُ اربعة معان — اولها — ذلك الوصف الذي استعد بهِ الانسان لقبول العلوم النظرية وتدبير الصناعات الخفية الفكرية وهو الغريزة او هو الاستعداد — ولا نظن

احداً ينكر هذا المعنى حتى الملحدين انفسهم — قال ونسبة هذه الغريزة الى العلوم كنسبة العين الى الرؤية — الثاني — العلوم الادبية التي تخرج الى الوجود في ذات الطفل المميز وقد صحح الغزالي هذا الاطلاق ونفى ان يكون العقل هو هذه العلوم لا غير — الثالث — العلوم المستفادة من التجارب — الرابع — ان تنتهي تلك الغريزة الى ان يعرف عواقب الامور ويقمع الشهوة . وسكت الغزالي بالمرة عن الخ وتلافيفه فلم يتكلم عليه بكلمة وكأنه اعتبره مجرد آلة للادراك كبقية الآلات تعمل في الجسم بتدبير الروح وهذا مما لا اجيز لنفسي الخوض فيه الا اذا كنت ممن يسيرون وراء الظنون والتخمينات

اظن ايها السادة ان هذا القدر يظهر لحضراتكم بالغزالي ونسبته الى الوسط الذي عاش فيه . وللرجل بعد تعاليم كثيرة في الاخلاق وتهذيب النفس وهو ما فصرتنه عليه في آخر عمره ولا بقي وقتي بان اطيل عليكم فاكتفي بهذا القدر والسلام محمد الخضري

معجم الحيوان

(تابع ما قبله)

﴿ العُقاب ﴾ Aquila. E. Eagle. F. Aigle طائرٌ من سباع الطير وهي اعظم الجوارح اي الكواسر ولا تقع على الجيف الا اذا عضها الجوع . قوية المخالب ومسرولة اي في ساقيها ريش ولها منسرٌ اي منقار قصير احقف واقبت بالشعواء والظفراء لتعقفه وزيادة اعلاه على اسفله

﴿ النَّسْر ﴾ Vultur. E. Vulture. F. Vautour طائر من سباع الطير لكنهُ ليس من عقائها اي جوارحها بل يقع على الجيف وقلما يصيد وهو اعظم من العقاب شرهٌ نهم رغيب . لهُ منسرٌ طويل منعقف في طرفهِ فقط ولا ريش لهُ في رأسهِ وعنقهِ بل فيهما زغبٌ ابيض قصير وله بُرائل اي ريشٌ مستدير باسفل عنقهِ . ساقاهُ عاريتان ولا مخالب لهُ بل اظفار ولا يقوى على جمع اظفارهِ وحمل فريسته بها كما تفعل العقاب بمخالبها . والنسور انواع كثيرة اشهرها الرخمة وسيأتي ذكرها وهذا الطائر الذي مرّ وصفهُ وهو المعروف بالنسر عند العرب من عهد جاهليتهم الى يومنا ويعرف بهذا الاسم عند المتكلمين بالعربية من المغرب الاقصى الى العراق ومن الشام شمالاً الى اليمن والسودان جنوباً وبسميه علماء الحيوان Gyps fulvus وهو Vautour fauve بالفرنسوية و Griffon vulture بالانكليزية

وقد اخطأ كثيرون من المعرّبين والكتّاب المحدثين في التمييز بين هذين الطائرين ولعلّ السبب في ذلك ترجمة التوراة فلفظة النسر في الكتاب المقدّس يقابلها نَشَر بالعبرانية و Aetos باليونانية و Aquila باللاتينية و Aigle بالفرنسوية الخ . ولعلماء التوراة مباحث دقيقة في هذا الموضوع فالنسر المسمّى Gyps باليونانية و Vultur باللاتينيّة والعقاب Aetos باليونانية و Aquila باللاتينية غير ان بعض اليونانيين ومنهم نقلة التوراة الى اللغة اليونانية توسّعوا في لفظة Aetos واطلقوها على هذين الطائرين بدون تمييز بينهما وهي اللفظة المستعملة في ميخا ١ : ١٦ حيث قال " وسّعي قرعتك كالنسر " وفي متى ٢٤ : ٢٨ في قوله " حيث تكون الجثّة فهناك تجتمع النسور " . فاللفظة العربيّة في محلها في هاتين الآيتين يقابلها لفظة نشر العبرانية في الآية الاولى واما اللفظة اليونانية فمن باب التوسع لان هذا الوصف لا ينطبق عليها بل على الطائر المسمى Gyps صدم فالمسمى Aetos لا يقع على الجثث الاّ فيما ندر ولا هو اقرع . وقد قيل ان العبرانيين والعرب توسعوا في لفظة النسر ايضاً . اما كون العبرانيين فعلوا ذلك فلا اعترض له والذي اعلمهُ ان العرب لم يفعلوا شيئاً من هذا فالنسر والعقاب هندم طائران مختلفان من عهد شعراء الجاهلية الى يومنا هذا والاول يسميهِ الافرنج Vultur والثاني Aquila كما سيأتي

وقد نبّه سائيني الى هذا الخطإ في الترجمة منذ مئة عام تقريباً والمقتطف منذ خمس عشرة سنة (مجلد ١٨ صفحة ٦١٠) والاب انستاس الكرملي منذ ست سنوات (مجلة المشرق مجلد ٥ صفحة ٦٧٦) والترجمة خطأ في كثير من النبذات التي بين ايدينا وهي خطأ في بادجر وسواب في لاين . بقي عليّ الآن ان ابين صحة الترجمة كما ذكرت فاقول

اولاً — لفظة Aetos اليونانية جاءت بمعنى العقاب العربيّة فهي كل مرتفع عالٍ لم يطل كثيراً مثل المسنّ والقمة وهي الرابة ايضاً وهذان المعنيان من معاني العقاب العربية

ثانياً — قالوا ابصر من عقاب وقال الافرنج Avoir des yeux d'aigle

ثالثاً — قال العرب العقاب سيد الطيور وقال الافرنج L'aigle est le roi des oiseaux

رابعاً — الفلكيون من العرب سمّوا العقاب من صور السماء ما يسميهِ الافرنج[1] Aquila

اما النسران عند العرب وهما النسر الطائر والنسر الواقع فهما خلاف العقاب فالاول كوكب في صورة العقاب ويسميهِ الافرنج Altair بلفظهِ العربي والثاني كوكب في صورة السلياق السماة Lyra عند الافرنج

(1) من لفظة اولاً الى هنا عن الاب انستاس الكرملي بتصرف قليل

L'aigle العقاب

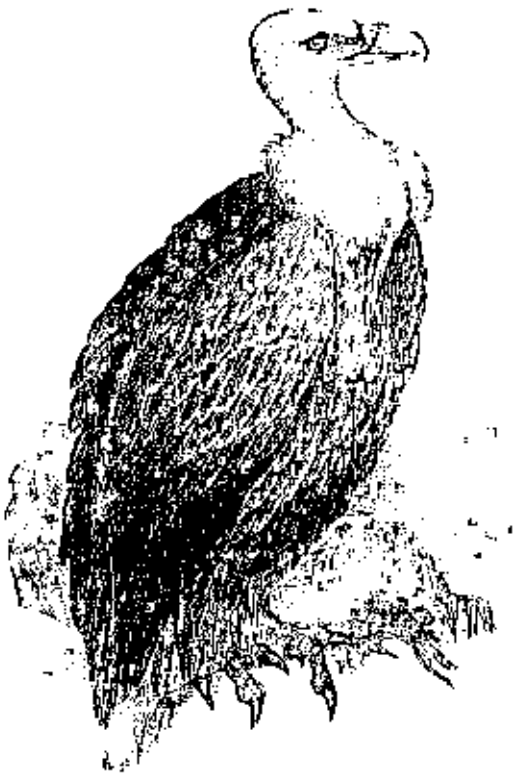

Le vautour النسر

خامساً — يسمى الأنف الاقني عند الافرنج Aquiline تشبيهاً له بمنقار العقاب لانهُ اكثر تعقفاً من منقار النسر وقد مرَّ بنا ان العقاب تلقّب بالشهواء والخواء لتعقف منقارها

سادساً — كانت العقاب راية قريش وراية صاحب الشريعة الاسلامية وفي قصة عنترة كانت راية بني عبس ايضاً ولم يذكر التاريخ لنا اعلمهُ ان صورة العقاب كانت مرسومة على هذه الرايات لكنها كانت مرسومة على رايات الفرس والرومان Aquila والفرنسويين في زمن الامبراطوريتين Aigle ولم يسمع ان العرب او غيرهم اتخذوا النسر راية لهم لانهُ من لئام الطير . والعقاب شعار بروسيا والنمسا وروسيا وغيرها والعقاب المزدوجة الرأس في شعار روسيا يسميها الفرس عقاب دوسر اي العقاب ذات الرأسين . وقول الجرائد نشان النسر الاسود او الاحمر خطأٌ وصوابهُ نشان العقاب السوداء او الحمراء . ولا ريب ان امبراطور الالمان يأنف ان يكون النسر شعاراً لمملكتهِ . والعقاب لقب بهاء الدين قره قوش خادم صلاح الدين ومعنى قره قوش بالتركية عقاب (ابن خلكان) ويترجمونها Aigle بالفرنسوية فالعقاب عند العرب ومن البأس والقوة وهي كذلك عند الافرنج

سابعاً — جاء في كتاب الحيوان للجاحظ ما نصهُ "زعم صاحب المنطق (اي ارسطو) انهُ ليس شيءٌ في الطير اجفى لفراخهِ من العقاب وانهُ لا بد من ان يُخرج واحداً وربما طردهنَّ جميعاً حتى يجيء طائر يحتى كاسر العظام فيتكفل بهِ" . وقد اصاب الجاحظ في نسبتهِ هذا القول الى ارسطو كما يتبين لدى المراجعة (كتاب النموت ٦ : ٦ : ١) فالعبارة منقولة بالحرف الواحد تقريباً واللفظة اليونانية التي عرّبت بالعقاب هي Aetos اي Aquila باللاتينية

ثامناً — تطلق لفظة النسر في العراق والشام ومصر والسودان وبلاد العرب والمغرب في يومنا على هذا الطائر الاصلع الرأس الذي يسميهِ الافرنج Vultur ولفظة العقاب على هذا الطائر الشبيه بالصقر او البازي المسمى Aquila عند الافرنج وقد ذكر ذلك كثيرٌ من السياح وعلماء الحيوان مثل سانيني وبروس وترسترام وبرتون ودوطي وغيرهم اي كما سمعوا هاتين اللفظتين من اهالي البلاد التي مرّوا فيها وهي اللهجة التي عوّل عليها كبار المستشرقين مثل لكلرك في نقلهِ مفردات ابن البيطار الى اللغة الفرنسوية ولاين صاحب المعجم المشهور وجايكر مترجم حياة الحيوان الكبرى وقد نبّه سانيني الى كثرة الخطاء في ترجمة هذه اللفظة فقال ما تعريبهُ "الطائر المسمى Griffon هو النسر المذكور في الدميري ويعرف بالنسر عند عامة المصريين وكانت لفظة النسر تترجم بلفظة Aquila غير ان الاعراب وعلماء الطبيعيات عند العرب يطلقونها على ما نسميهِ Vautour (وصف مصر مجلد ٢٣ صفحة ٢٣٦)

تاسعاً — وصف النسر في كلام العرب والمؤلفات العربية ينطبق على ما نسميه نسراً في وقتنا الحاضر وعلى ما يسميه الافرنج Vultur ووصف العقاب ينطبق على ما نسميه عقاباً ويسميه الافرنج Aquila . قال ابن المقفع في كتاب كليلة ودمنة " خير السلاطين من اشبه النسر وحوله الجيف لا من اشبه الجيفة وحولها النسور " وقال الجاحظ في كتاب الحيوان " والرخم والنسر سباع وانما قصر بها عدم السلاح فاما البدن والقوة ففوق جميع الجوارح ولكنها في معنى الدجاج لمكان البراثن ولعدم المخالب " . وقال ايضاً " النسر طائر ثقيل عظيم شرهٌ رغيب نهم فاذا سقط على الجيفة وتملأ لم يستطع الطيران حتى يشب وثبات ثم يدور حول سقطه مراراً ويسقط في ذلك فلا يزال يرفع نفسهُ طبقةً طبقةً في الهواء حتى يدخل تحتهُ الريح ... وهو ليس بذي مخلب وانما لهُ اظفار كاظفار الدجاج " . وفي الدميري والقزويني شيء مثل هذا وبعضهُ منقول عن الجاحظ . وقد وصف بعضهم بياض رأس النسر في قولهِ

ورجعتُ من بعد الشباب وعصره شيخاً ازبَّ كأنهُ نسرُ

وقال النابغة يصف النسور خلف الجيش مشبهاً لها بالشيوخ على اكتافها فراء من جلود الارانب

تراهنَّ خلف القوم خزراً عيونها جلوس الشيوخ في ثياب المرانب

ولامرأة في قتيل نصف مشية النسور اليهِ

تمشي النسور اليهِ وهي لاهيةٌ مشيَ العذارى عليهنَّ الجلاليبُ

وللنبي في وصف النسر

يفدّي امّ الطير عمراً سلاحهُ نسورُ الفلا احداثها والقشاعمُ

وما ضرّها خلقٌ بغير مخالبٍ وقد خُلقت امثالهُ والقوائمُ

وفي لسان العرب " النسر طائرٌ معروف زعم ابو حنيفة (اللغوي) انهُ من العتاق قال ابن سيده ولا ادري كيف ذلك ... يقال النسر لا مخلب لهُ وانما لهُ الظفر كظفر الدجاجة والغراب والرخمة "

اما العقاب فهي من الجوارح اي التي تصيد . قالوا هوت العقاب اذا انقضّت على صيدٍ او نحوهِ . قال ابن سيده في المخصص " واعظم الجوارح العقاب وليس بعد النسر من الطير اعظم منها وهي سوداء دجوجية ... وذكر العقبان من طير آخر لطاف الجرم لا تساوي

شيئاً (١) والعقاب تصيد الناس يربونها " . وفي لسان العرب " قال ابن الاعرابي عتاق الطير العقبان وسباع الطير التي لا تصيد " وهذا الوصف لا يصدق الاَّ على ما يسميهِ الافرنج Aquila وكان الافرنج يصيدون بها ايضاً ولم يسمع ان العرب كانت تصيد بالنسر . وقد ورد ذكر العقاب وصيدها في كثير من اشعارهم . قال بعضهم

كاني بين خافيتي عقابٍ اصاب حمامةً في يوم غيمِ

ومن الشعر المنقول الى امرىء القيس قصيدة يصف بها فرسهُ مشبهاً لها بالعقاب ولا بأس بايراد الابيات التي يصف بها العقاب لانهُ لم يرد منها في دواوين امرىء القيس المطبوعة الاَّ البيت الاول فقط والابيات هي

كانها (٢) حين فاض الماء واحتفلت سقعاء (٣) لاح لها بالقفرةِ الذيبُ
فابصرت شخصهُ من رأس مرقبةٍ ودون موقعها منهُ شناخيبُ (٤)
فاقبلت نحوهُ في الجوّ كاسرةً يحثها من هويّ اللوحِ تصويبُ
صبّت عليهِ ولم تنصبهُ من أمَمٍ (٥) انّ البلاء على الاَّشقين معصوبُ
كالدلوِ بُتّت عُراها وهي مثقلةٌ رخامها وَذَمٌ منها وتكريبُ (٦)
لا كالتي في هواء الجوّ طالبةً ولا كهذا الذي في الارض مطلوبُ
كالبرق والريح مرآها عجبٌ ما في اجتهادهِ عن الإسراع تثريبُ (٧)
فادركتهُ فنالتهُ مخالبها فانسلّ من تحتها والدفُّ منقوبُ (٨)
يلوذ بالصخر منها بعد ما قنزت منها ومنهُ على الصخرِ الشآبيبُ (٩)
ثم استغاث بدحلٍ وهي تتبعهُ وباللسان وبالشدقين تعريبُ (١٠)
ما اخطأتهُ المنايا ليسَ آملةٍ ولا تحرّز الاَّ وهو مكروبُ (١١)
فظلّ منجحراً منها يراصدها ويرقبُ الليل انّ العيش محجوبُ

اصلاح خطأ — جاء في العدد الماضي " قرن الخروب يأتي في الكركدن " وصوابها يأتي في الكركدّن وعليهِ تسقط العبارة التي بعدها والخطأ الاصلي في تذكرة داود الانطاكي التي اخذت عنها واني اشكر الشيخ عبد القادر المغربي لانهُ نبهني الى ذلك

(١) قولهُ ان ذكور العقبان اصغر من اناثها صحيح لكن الفرق ليس عظيماً كما يفهم من كلامهِ
(٢) اي فرسهُ (٣) وفي رواية اخرى قفقاء وكلاهما بمعنى العقاب (٤) الشخوب اعلى الجبل
(٥) قرب (٦) شبه ستورها عليهِ كالدلو قطعت عراها وحبالها وهي مثقلة بالماء (٧) تقصير وفتور
(٨) اي الجنب منقوب بمخالبها (٩) اي دمعات الدم مثل شؤبوب المطر (١٠) الدحل نقب في الارض لهُ ضيق في وسطهِ متسع والتعريب التضليع بالتراب (١١) المكروب الذي قد شارف على الموت

المعادن وما يستخرج منها

كان عصر لم يكن الناس يعرفون فيهِ غير الذهب والفضة والنحاس كما يظهر من آثارهم الباقية الى الآن وهو المعروف بفجر التاريخ وقد مضى عليهِ الآن نحو عشرة آلاف سنة . ثم عرفوا الحديد والقصدير والرصاص واستخرجوا الزيبق فصارت المعادن سبعة وفي غاية ما عرفوهُ وحسبوا انها منتهى ما يمكن الوصول اليهِ لان العدد سبعة عدد كامل في عرفهم . فلما اتصل العلم بالعرب وارادوا الابقاء على كون المعادن سبعة اخرجوا منها الزيبق والقصدير واضافوا اليها الخارصيني عنوا بهِ البرنز والاسرب عنوا بهِ الرصاص او القوتيا كما سيجيء

قال الامام القزويني في عجائب المخلوقات ان المعادن الاصلية او الفلزات مركبة كلها من الزيبق والكبريت فاذا اختلط الزيبق بالكبريت الاصفر اختلاطاً تاماً وكانا نقيين صافيين تكوَّن منهما الذهب واذا كان الكبريت ابيض تكونت منهما الفضة واذا اصاب المزيج بردٌ قليل النضج تكوَّن الخارصيني وان كان الزيبق صافياً والكبريت رديئاً تولَّد النحاس وان كان الكبريت غير جيد المخالطة مع الزيبق تولَّد الرصاص وان كان الكبريت والزيبق رديئين ضعيفي التركيب تولَّد الاسرب . وزعم ان ذلك معروف بتجربة اهل الصناعة . وهو زعم فاسد كما لا يخفى لانهُ لم يتيسَّر لاحد حتى الآن ان يصنع معدناً من المعادن الاصلية بتركيبهِ من الزيبق والكبريت

والمعادن التي ذكرها القزويني معروفة الآن باسمائها الافرنجية والاسرب . ويظهر لنا انهُ اراد بالاول البرنز اي النحاس الممزوج بالقصدير لقولهِ ان معدنهُ بارض الصين وان فصلهُ شديد الصلابة يتخذ منهُ الكلاليب يصاد بها الحوت وتتخذ منهُ المرآة فان معدن القصدير كثير في بلاد الصين والنحاس الممزوج بهِ صلب جداً وتصنع منهُ النصال ورؤوس السهام والمرايا الصينية . ولكن النحاس لا يمزج بالقصدير للسرف بل بحجارة فيها قصدير . ويُحتمل انهُ اراد بالاسرب نوعاً من حجارة القوتيا بدليل قول ابن سينا انهُ اذا شُمَّت صفيحة من الاسرب على الخنازير والقرد نفيها وقول القزويني انهُ صنف اردأ من الرصاص لان مادتهُ اكثر وساختهُ منهُ وقول اليونان والرومان ان القوتيا فساد او وسخ في الرصاص . وواضح مما تقدَّم ان القزويني لم يشر الى القصدير نصاً في كلامهِ عن الخارصيني بل الى البرنز ولم يشر الى القوتيا في قولهِ الاسرب بل الى خليط منها او الى حجر من حجارة الرصاص

ويظهر لنا ان لفظة خار في كلمة خارصيني هي خلكوس اليونانية ومعناها النحاس وكلمة قصدير

العربيَّة يونانية الاصل وهي كاستروس باليونانية و يظهر من كلام بلينيوس ان الرومانيين لم يكونوا يميزون بين القصدير والرصاص بل كانوا يسمون الاول الرصاص الابيض والثاني الرصاص الاسود اذا ارادوا الفرق بينهما

ولا يعلم اي هذه المعادن كُشف اولاً ولكن يرجح ان الذهب كشف اولاً لانهُ يوجد صرفاً وكذلك الفضة والنحاس والزيبق . واتفق لبعض الصناع ان مزج النحاس بتراب فيهِ قصدير وهو يسبكهُ فكان منهُ مزيج شديد الصلابة وهو البرنز . والبرنز قديم جدًّا فقد وجدت قطع منهُ في اقدم الآثار المصرية اما الحديد وهو اكثر المعادن وجودًا بعد الالمونيوم فآخر سبكهُ لانهُ لا يوجد صرفاً ولان سبكهُ يقتضي حرارة شديدة جدًّا وكان المظنون انهُ لم يعرف الاَّ منذ نحو ١٥٠٠ سنة ولكن يظهر من بعض المكتشفات الحديثة انهُ اقدم من ذلك كثيرًا ولعلَّ الناس عثروا اولاً على بعض الحجارة النيزكية التي اكثرها حديد صرف وتمكنوا من احمائها وتطريقها وعمل بعض الادوات منها ثم اكتشف الانتيمون والبزموت نحو سنة ١٤٥٠ والتوتيا المعدنية سنة ١٥٢٠ والزرنيخ سنة ١٦٩٤ والكوبلت والبلاتين سنة ١٧٣٥ والنكل سنة ١٧٥١ والمغنيسيا سنة ١٧٧٤ والتنجستن والمولبدنوم سنة ١٧٨١ وتوالت سلسلة المكتشفات الى الآن

لاَّ ان المعادن التي يكثر استعمالها في الصناعة كثيرة الوجود في التجارة وهي احد عشر معدنًا الذهب والفضة والنحاس والحديد والرصاص والقصدير والزيبق والتوتيا والنكل والبلاتين والاليومنوم . ويتلوها ستة معادن يمزج بها الحديد الآن وهي المغنيسيا والتنجستن والمولبدنوم والتنانوم والكروم والفناديوم وستة اخرى تستعمل مركباتها بكثرة وهي البزموت والزرنيخ والكوبلت والاورانيوم والثوريوم والكدميوم وثلاثة تستعمل في الآلات التي تحتاج الى تدقيق كثير . ولا يزال نصف المعادن من غير فائدة تذكر ولكن قد توجد لهُ فوائد كبيرة فالثيوم مثلاً اخف من الماء كثيرًا فاذا وجدت واسطة لتميزهِ من التأكسد في الهواء فلا يبعد ان يستخدم لعمل آلات الطيران

ولدينا الآن آخر احصاء لما استخرج من هذه المعادن من المسكونة كلها سنة ١٩٠٦ وهو كما يلي

الذهب

كان مقدار ما استخرج من الذهب سنة ١٨٥٠ اي قبل اكتشاف مناجم كليفورنيا ومناجم استراليا نحو مئتين طنًّا والطن يساوي ٢٢٠٤٦ جنيهًا وذلك فالذهب الذي كان

يستخرج في السنة من مناجم الارض كلها لم يكن يزيد على سبعة ملايين وربع مليون من الجنيهات اما سنة ١٩٠٦ فبلغ المستخرج من مناجم الذهب كلها ٦٧٥ طناً او نحو ٨١ مليوناً من الجنيهات واكثرها من الاملاك الانكليزية كما ترى في هذا الجدول وقد ذكر فيه مقدار الذهب بالكيلوغرام

من بريطانيا وارلندا	٤٨	من رودیسیا	١٤٥٣٨
« استراليا	١٠٧٣٤١	« غينيا البريطانية	٢٢٨٢
« كندا	١٨٠٩٠	« شاطىء الذهب	٦٥٣٣
« الهند	١٦٣٣٠	« الولايات المتحدة	١٤١٩٩٨
« زيلندا الجديدة	١٦٦٢٨	« روسيا	٣٣٥٤٢
« الترنسفال	١٨٠١٧٧	« المكسيك	١٩٧٦٧

الفضة

وكما زاد المستخرج من الذهب زاد المستخرج من الفضة فقد كان المستخرج منها سنوياً نحو ٩٧٥ طناً قبل سنة ١٨٥ فصار ٦٣٦٠ طناً سنة ١٩٠٦ واكثرها من بلاد المكسيك والولايات المتحدة كما ترى في هذا الجدول

من المكسيك	٢٧٥٣٦٠٨	كيلوغرامات
« الولايات المتحدة	١٧٥٧٩٠٥	«
« استراليا	٠٤١٤٨٣٧	«
« كندا	٠٢٦٦٥١٥	«
« بيرو	٠٢٣٠٣٠٠	«
« المانيا	٠١٧٧١٨٣	«
« بوليفيا (يامبركا الجنوبية)	٠٠٩٦٤٤٣	«
« اليابان	٠٠٨١٠٦٠	«

وثمن الطن من الفضة الآن نحو ٣٢٠٨ جنيهات لا غير

النحاس

استخرج من النحاس سنة ١٨٥٦ نحو ٤٧٣٠ طناً وسنة ١٨٧٩ نحو ١٩٩٠٠ طناً وقد بلغ المستخرج سنة ١٩٠٦ ٧٨٦٧٩٤ طناً اكثرها من الولايات المتحدة الاميركية فان المستخرج منها وحدها بلغ ٤١٦٣١٤ طناً ولتلوها اسبانيا والمكسيك واليابان وشيلي واستراليا وكندا

الحديد

الحديد انفع المعادن واكثرها استعمالاً وهو اساس العمران الحديث . وقد أحصي المستخرج منهُ سنة ١٨٦٥ فكان نحو عشرة ملايين طن فبلغ سنة ١٩٠٦ نحو ٦٥ مليون طن اي زاد اكثر من ستة اضعاف في نحو اربعين سنة ولو سُبك هذا المقدار في شكل هرمي لتكوَّن منهُ ثلاثة اهرام كلٌّ منها اكبر من هرم الجيزة الاكبر

ونحو نصف الحديد يستخرج من الولايات المتحدة الاميركية وتليها المانيا فانكلترا فاسبانيا ففرنسا كما ترى في هذا الجدول

اميركا	٢٥٧١٣٥٥٧ طنًّا	فرنسا	٠٣٠٠٠٠٠٠ طنًّا
المانيا	٠٧٠٢١٨٦٧ »	اسوج	٠٢٧٤٦٥٩٠ »
بريطانيا	٠٥٠٢١٢٤٦ »	روسيا	٠٢٦٦١٠٢٩ »
اسبانيا	٠٤٦٩٤٦٥٩ »	لكسمبرج	٠٢٦٠٢٥٧٨ »

الرصاص

استخرج من الرصاص سنة ١٨٨٥ نحو ٣٩١٥٤٣ طنًّا وسنة ١٩٠٦ نحو ١٠٦١٥٣٣ طنًّا اي نحو ثلاثة اضعاف ما استخرج منذ عشرين سنة . واكثر الرصاص يستخرج من الولايات المتحدة الاميركية وتليها اسبانيا والمانيا ثم المانيا والمكسيك

التصدير

كان المستخرج من القصدير سنة ١٨٦٣ نحو ٢٢٠٠٠ طن نصفها من كورنول بلاد الانكليز والباقي من سائر ممالك الارض اما في سنة ١٩٠٦ فبلغ المستخرج ١٠٩٠٠٠ طن اي زاد نحو خمسة اضعاف نصفها من بلاد ملقا التابعة للبلاد الانكليزية وتليها املاك هولندا الشرقية وجمهورية بوليفيا في اميركا الجنوبية واستراليا وسيام والصين

الزيبق

لم يعدّ القزويني الزيبق بين المعادن مع انهُ معدن صرف لكنهُ سائل على درجة الحرارة العادية فاذا اشتدَّ البرد عليهِ جمد كسائر المعادن . وقد بلغ المستخرج منهُ سنة ١٨٧٢ نحو ٥٣٠٠ طن ولم يزد سنة ١٩٠٦ على ٣٩٦٤ طنًّا . وقد كان المعدنون يكثرون من استخراجهِ لاستخراج الذهب والفضة بهِ فلما استعملت طرق اخرى لاستخراج الذهب والفضة قلَّ المستخرج من الزيبق . وقد استخرج من اسبانيا من نحو ثلاثة آلاف سنة وهو كثير فيها وفي غيرها من البلدان ولكنهُ لا يستعمل الآن الاَّ في بعض الاعمال الكيماوية والآلات

الطبيعيّة ولا يزال يستعمل على قلة في عمل المرايا ويقال انهُ اذا اكتشفت مناجم غنية بالذهب في آسيا وافريقية حيث يتعذر وجود الفحم الحجري كثر استعمال الزيبق لاستخراج الذهب منها

التوتيا

كانت التوتيا عثرة في سبيل مستخرجي الرصاص منذ الف سنة فصارت في الربع الاخير من القرن الماضي من انفع المعادن وقد بلغ المستخرج منها سنة ١٨٨٣ نحو ٣١٠٠٠٠ طن وكان اكثر استعمالها في عمل النحاس الاصفر (الصفر) لانهُ مزيج من النحاس والتوتيا ثم استعملت لطلاء ورق الحديد وكثر استعمالها في البطريات الكهربائية وفي استخراج الذهب بطريقة السيانيد وقد بلغ المستخرج منها سنة ١٩٠٦ نحو ٥٢٥٧٧٤ طنًّا اكثرها من المانيا والولايات المتحدة الاميركية وتليهما ايطاليا واسبانيا واستراليا واسوج

الاليومنوم

لما كنا ندرس الكيمياء منذ اربعين سنة كانت احلام الصبا تغرينا باكتشاف طريقة لاستخراج الاليومنوم من الدلغان لانهُ كان غاليًا كالفضة مع انهُ كثير كالتراب وانما غلاؤهُ من صعوبة استخراجهِ وجرَّبنا تجارب كثيرة على غير جدوى

وقد كان ثمن الدرهم من الاليومنوم نحو غرش منذ عشرين سنة ولم يبلغ المستخرج منهُ حينئذٍ سوى خمسين طنًّا ثم زاد المستخرج بسرعة فبلغ سنة ١٩٠٠ نحو ٨٠٠٠ طن وهبط ثمن الرطل المصري من مئة غرش الى ٣٠ غرشًا وبلغ المستخرج سنة ١٩٠٦ نحو ٢٠٠٠٠ طن وصار ثمن الرطل سبعة غروش

والاليومنوم اكثر المعادن وجودًا وقد قدَّر احد كبار الجيولوجيين انهُ اكثر من ثمانية في المئة من قشرة الارض والحديد اقل من خمسة في المئة من قشرتها. وهو اخف من الحديد جدًّا فان ثقلهُ ثلث ثقل الحديد ومتانتهُ مثل متانة الحديد المصبوب (الزهر) فاذا زيدت وسائل استخراجهِ اتقانًا حتى رخص ثمنهُ كالحديد او صار مضاعف ثمن الحديد فضَّل على الحديد من كل وجه لانهُ لا يصدأ مثلهُ

النكل

لم يكن احد يعرف النكل منذ خمسين سنة غير الكيماويين ولم يكن يستخرج منهُ منذ اربعين سنة اكثر من مئة طن في السنة وكان ثمن الرطل منهُ خمسين غرشًا الى ستين . ثم اكتشف في اماكن عديدة وبلغ المستخرج منهُ سنة ١٩٠٦ نحو ١٩٠٠٠ طن . وبكثر

استعمالهُ الآن مزيجاً مع الحديد الذي تدرَّع بهِ البوارج فيزيد في صلابتهِ ومتانتهِ وتصنع منهُ النقود الرخيصة كالقروش المصرية وهو افضل من النحاس لهذه الغاية

البلاتين

هو اثقل المعادن المستعملة في التجارة واندرها وكل ما استخرج منهُ منذ اول اكتشافهِ الى آخر سنة ١٩٠٧ لا يزيد على ١٦٠ طناً وهو الآن اغلى من الذهب بنحو ٢٥ في المئة والمانع من كثرة استخراجهِ واستعمالهِ ان مناجمهُ التي يوجد فيها بكثرة واقعة في كولمبيا وروسيا حيث وسائل التعدين قليلة ولا يقدم ارباب الاموال على المخاطرة باموالهم

وقد ذكرنا في الجدول التالي مقدار ما استخرج من هذه المعادن سنة ١٩٠٦ وثمن المستخرج منها

المعدن	الوزن بالطن	الثمن بالجنيه المصري
الحديد	٦٤٩٨٣٤٨١	٤٦٤٧٥٩٨٥٦
الذهب	٦٧٥	٠٨١٣٨٦٢٦٤
النحاس	٧٨٦٧١٤	٠٦١٩٩٩٣٦٧
الفضة	٦٣٦٥	٠٢٤٧٦٤٥٨٥
الرصاص	١٠٦١٥٣٣	٠٢٤٠٩٦٧٩٩
القصدير	٠١٠٨٧٣٨	٠١٧٣١٩٥٥٣
التوتيا	٠٧٧٤٥٢٥	٠١٣٨٨٥٦٨٤
النكل	٠٠١٨٩٨٣	٠٠٣٣٧٥٩٣٦
الاليومنوم	٠٠٢٠١٥٧	٠ ٣٠٦٣٨٦٤
الزيبق	٠٠٠٣٩٦٤	٠ ٠٨٤٦٧١٠
البلاتين	٥ ½	٠٠٠٧٠٥٤٩٦
والجملة	٦٧٧٦٥٢٣٠ ½	٦٩٦٣٠٠٠١١٨

فمجموع قيمة هذه المعادن التي استخرجت سنة ١٩٠٦ اقل من ٧٠٠ مليون جنيه ثلثاها ثمن الحديد والثلث الباقي ثمن سائر المعادن الذهب والفضة والنحاس والرصاص الخ ولذلك لا عجب اذا لقّب هذا العصر عصر الحديد لان له المقام الاول في كل الاعمال

وغني عن البيان ان المعادن ثروة طبيعيةٌ دائمة واند كان لها الشأن الاكبر في عمران الممالك فان الحاصلات الزراعية اثمن منها ولكنها تفقد في سنتها وما يبقى منها من سنة الى

اخرى يتلف تالياً واما المعادن فثروة مقيمة يستخرج منها على قدر الحاجة وما يستخرج هذه السنة يضاف الى ما استخرج في السنين الماضية وقلما يتلف سنة شيء ولذلك فالامم التي وجدت المعادن في بلادها فاقت غيرها في ميدان الحضارة

الاحسان[1]

رفقاً أخا الانسان بالانسان ... لا خير في مالٍ بلا احسانِ
أنجِد اخاك بما ينالك اجرهُ ... ان المؤاسي افضل الاخوانِ
وصنائع المعروف حصن مانع ... ترتدُّ عنهُ طوارق الحدثانِ
كل المحاسن جمعت في واحد ... عطف الغني على الفقير العافي
لم ألقِ الصح من مدامع عبرة ... نزلت عليها آية الشكرانِ
ولرب شهم لا تراهُ شاكياً ... يخلو فينذب حظهُ القمرانِ
كم رقعة في ثوب حر بائس ... ينهل منها مدمع الاجفانِ
تأبى السؤال عليهِ عزة نفسهِ ... فيبيتُ مطوياً على الكتمانِ
ذاك الفقير تعهدوهُ بالندى ... سراً والاَّ مات بالاعلانِ
واشدُّ نعماً بائس ذو علةٍ ... اخنى عليهِ الدهر بالحرمانِ
داءان من فقر ومن سقم بهِ ... لولا كما اودى به الداءانِ
ان كنت تؤمن بالكتاب وسارعت ... آياتهُ من حكمةٍ وبيانِ
فكن الرفيق البر غير مفاخرٍ ... فالرفق برهانٌ على الايمانِ
لو لم تكن اديانُنا بالعرفِ آ ... مرةً اذن لكفرت بالاديانِ
يا ايها القوم انصروا جمعية ... بعلائها تسمو على كيوانِ
هي عصبة الخير الكثير وملجأ ... الدنف الفقير ونخبة الشبانِ
جمعية اعضاؤها انتظمت لها ... اخلاقهم كازهر في بستانِ
فاستعرضوا الازهار فيَّنة الشذا ... حسناء في الاشكال والالوانِ
وتخيروا اسمى واشرف زهرة ... هي زهرة المعروف والاحسانِ
وكفاهمُ منها اشتراك صفاتها ... بصفات ربٍّ راحم رحمانِ

(١) القاها باشيه في دار التمثيل العربي ليلة اول مايو سنة ١٩٠٩ اجابة الى اقتراح جمعية تغذية المرضى الفقراء

ولها على زهر الرياض مزية في أنها تبقى مع الازمان
أمنت تضاريها التحول فهي في كانون واحدة وفي نيسان
ولها شذا كالزهر يجعل نشرهُ في كل آونة وكل مكان
في بهجة الارواح بل في فرة الابصار بل في صحة الابدان
اهديتها شعري وحسبي انني اهديت ما ملكت يدي ولساني
فيها يقضي حقها هب انهُ في كل بيت منهُ عقد جمان

تقولا رزق الله

نشوء الحيوان والنبات

لم يشغل العلماء شيء في عصر من العصور ما شغلهم النشوء في القرن التاسع عشر وهو وان يكن من اوضاع القرنين الاخيرين فالقول به لا شك قديم . اشار اليهِ طاليس وفيثاغوروس في كلامهما عن اصل الاكوان . وذكرهُ غيرهما كثيرون من الفلاسفة في كل زمان . على ان العالم القديم لم يكن في استعداد لهُ فقضى الباحثون القدماء ولم يأخذ بقولهم احد ومر على العالم قرون عديدة والنشوء كامن لا يشرض لهُ باحث حتى جاء "كنت" وسويدنبرج فتناولاهُ في بحثهما الفلسفي وبسطاهُ على موائد النقد العلمي . لكنهما لم يخرجا بهِ عن حد البحث النظري . فكان النشوء لذلك باباً من ابواب الفلسفة النظرية وبقي كذلك الى ان قام "لامرك" وكشف عن ناموس التباين فادخلهُ في مصاف الابحاث العلمية ووضع لهُ سببين كبيرين هما البيئة واستعمال الاعضاء او اهمالها

وكانما كُتب لداروين ان يكون ابا النشوء فتصدى العلماء للامرك وإمامهم يومئذٍ كوفيه وفندوا كثيراً من اقوالهِ الجوهرية . ساعدهم على ذلك ثقة الجمهور العظيمة بكوفيه من جهة وقلة الادلة العلمية لدى لامرك من جهة اخرى فمال الناس عنهُ وقلت ثقة العلماء بهِ . وقام داروين فاثبت تسلسل الانواع وزاد على السببين اللذين ذكرهما لامرك سببين آخرين هما الانتخاب الطبيعي والانتخاب الجنسي فخيَّر العلماء بقوة حجتهِ وادهش العالم بوفرة الحقائق المؤيدة لآرائهِ . والظاهر ان داروين خشي السقوط في مهبة التسرُّع فلم يتطرَّف الى تكران الخالق ولم يتصلب في آرائهِ المادية ولكنَّ بعض تلامذتهِ لم يقفوا عند هذا الحدّ بل تجاوزوهُ الى ما اسخط العالم عليهم وعلى داروين من اجلهم

ولعمري ان النشوء لا يقتضي انكار الخالق والباحث فيه من حيث هو ناموس لا ينبغي ان ينصرف الى ما وراء الطبيعة وما عليه الا ان يرى الحقائق الملقاة امامهُ فيبين بها النظام الذي يجري عليه الكون من حيث هو جسم تديرهُ القوة المستقرّة وراء الافهام

هذا ولقد اقرّت بصحة النشوء العلماء من كل المذاهب وانما هم مختلفون في الآراء (او التعاليل) الموضوعة لتفسيره . فمن تلك الآراء اللامركية والدرونية وغيرها وهي لا تخرج عن كونها آراء منها الصحيح ومنها الفاسد . والنشوء لا يصح بصحتها كما انهُ لا يفسد بفسادها فقد يقوم عالم ويرثي غير ما ارتأى داروين وسبنسر مثلاً فيفسّر النشوء تفسيراً اجلى من تفسيرهما واقرب تناولاً منهُ ومع ذلك فالنشوء واحد لا يزال يجري على السنن الموضوعة لهُ منذ الازل

ولست ارى من داعٍ للرعبة التي استولت على كثيرين عند سماعهم بالنشوء فان النشوء لا يغير شيئاً من امر الدين الحقيقي . الم ترَ رعبة الامم وتخطئهم على العلماء عند اكتشافهم دوران الارض والنظام الشمسي وكذلك خوفهم من ناموس الجاذبية واكثر من ذلك ارتداد فرانسيس مق مسألة قدَم الارض ثم ثابوا الى رشدهم ورأوا ان ذلك غير منافٍ لمعتقدهم وكثير منهم الآن من اشدّ انصار تلك المذاهب . وهذا النشوء لا بدّ من رعبة تلمّ بالسامعين بهِ لاول وهلةٍ ولكنها لا تدوم فيرجع الناس الى رشدهم ويرون فيهِ ما رأوا في النظام الشمسي وتقدّم الارض من قدرة الخالق وحكمتهِ الفائقة الادراك

ما هو النشوء (١)

يراد بالنشوء ثلاثة امور — الاول ان الاحياء في تغير وترقٍّ دائمين بطيئين . الثاني ان هذا التغير يجري بمقتضى نواميس ثابتة . والثالث ان القوى التي تحدث التغير كامنة في مادّة المتغير . اما الاول فعلى ثلاثة اوجه وهي (١) التغير الفردي ومثالهُ تغير البيضة من نقطة ميكروسكوبية الى جسم حيّ ذي اعضاء مستقلة في وظائفها (٢) التغير النوعي ومثالهُ تغير الانواع من بسيط الى مركب فاكثر تركيباً (٣) التغير الدوري او الجيولوجي ومعناهُ التغير المشاهد في احياء الادوار الجيولوجية وهو من البسيط في السفلى الى المركب فالاكثر تركيباً في العليا من تلك الادوار

اما نواميس النشوء المعروفة فثلاثة وهي ما يأتي

(١) ناموس التباين — ويراد بهِ ان الانواع تفرّعت من اصل واحد على نحو ما تتفرّع

(١) اكثر هذه المقالة مقتطف بتصرّف من كتاب في النشوء "لجوزف لاكونت" Joseph La Conte

الاغصان من الشجرة . فتوسعت لتباين فيها زادتهُ البيئة الى درجة اصبحت معهُ انواعاً مستقلة . ومثالهُ في التغير الفردي حويصلة الجنين الاولى فانها لا تزال تنقسم وتنمو حتى يظهر التباين فيها فتصير بعضها عظاماً وبعضها انسجة وبعضها غير ذلك . ومثالهُ في التغير النوعي التباين في الاعضاء من البسيطة في الاحياء السفلى الى المركبة الراقية في العليا كالتباين بين جناح الطائر ويد الانسان مثلاً . وليس المراد من النشوء ان الانواع على ما هي الآن نشأت بعضها من بعض فصار القرد انساناً والهرُّ اسداً وصارت الزحافات طيوراً كلاَّ بل المراد ان منشأ الانواع جميعها واحد وانهُ من ذلك المنشإ بدأت الطوائف الكبرى تتباين وتتباعد حتى اصبحت مع الزمان على ما هي عليهِ الآن . فلا يتوهمنَّ متوهم ان النشوء يقتضي ان يصير القرد انساناً او الدجاجة طاووساً او الكلب ضبعاً لان كلاً اتخذ في ارتقائهِ طريقاً لا يتعداها الى سواها

(٢) ناموس الارتقاء الاجمالي — ويراد بهِ ان الكون كجسم واحد يرتقي ارتقاء ثابتاً بطيئاً ولقد خبط كثيرون في هذا الناموس فسددوا سهامهم الى مذهب النشوء قبل اتعان النظر في معنى الارتقاء الاجمالي . حتى لقد ذهب بعضهم الى فساد النشوء لمشاهدتهم انقراض بعض الحيوانات او تقهقرها وفاتهم مثل الشجرة فانهُ وان انقرض بعض اغصانها بسبب التنازع الشديد على الغذاء والنور لا يلزم عنهُ تقهقر الشجرة او وقوفها عن النمو كذلك الكون قد تنقرض بعض اجزائهِ ومع ذلك يظلُّ يرتقي ويتقدم بل قد يكون ذلك الانقراض مدعاةً الى التقدم الى ما هو افضل واصلح

(٣) ناموس الترقي الدوري — ولئن كان الكون في نشوئهِ يسير ابداً نحو الكمال — فاجزاؤهُ لا تسير في خطوط مستقيمة بل سيرها اشبه بالحلقات اولها آخرها . يقوم نوع من الحيوان فيستولي على عرش القوة ثم ينقضي دور عظمتهِ فيقوم بعدهُ نوع آخر ويأخذ مكانهُ . كانت ذوات الاصداف سالئة الارض ثم غلبتها الاسماك على امرها وقام بعد الاسماك الزحافات ثم الحيوانات اللبونة وآخر الكل الانسان ولا يعلم غير الله كم يبقى هذا الاخير على عرش السلطة

هذه هي النواميس التي يجري عليها النشوء اما القوى التي تحدث التغير فموجودة في المادة اي انها طبيعيَّة محضة اما كيفيَّة نشوئها وكيفية وجودها في المادة فما لا يتناولهُ النشوء اذ هو لا يبحث الاَّ في خصائص المادة من حيث هي امور معروفة مشاهدة وكل ما وراء ذلك داخل في حكم الفلسفة النظرية

اسباب التغير والترقي

هذه الاسباب اربعة اثنان ذكرهما لامارك وهما المحيط واستعمال الاعضاء او اهمالها واثنان ذكرهما داروين وهما الانتخاب الطبيعي (بقاء الاصلح) والانتخاب الجنسي. وواضح ان القول بالانتخاب مبني على ناموس التباين وان اسباب التباين في الافراد مجهولة لم يجزم العلماء بصحة احدها فاذا ثبت لدى البعض فسادها لم يكن ذلك دليلاً على فساد النشوء نفسه فان النشوء امرٌ مشاهد لاخلاف في صحته ولكن الخلاف في الآراء التي وضعها العلماء لتفسير النشوء ولتبيان اسبابه فليفهم ذلك

التشابه والتماثل

وقبل الاخذ بالادلة على صحة النشوء لا بدَّ لي من بسط الفرق بين هذين اللفظين اعني بهما "التشابه والتماثل". فيراد بالاعضاء المتشابهة ما كانت متشابهةً في الهيئة والعمل لكنها مختلفة في الاصل والتركيب مثالها جناح الطائر وجناح الفراشة فانهما متشابهان في هيئتها الخارجية ولكنهما غير متماثلين في التركيب. ويراد بالاعضاء المتماثلة الاعضاء التي وان اختلفت في هيئتها الخارجية فهي من اصل واحد وتركيب واحد. ومثالها جناح الخفاش ويد الانسان فعلى اختلافهما العظيم في الهيئة متماثلان في تركيب اجزائهما ووحدة اصلها. ولنضرب مثلاً آخر. خذ الرئة في حيوان برّي (يتنفس الهواء بواسطة الرئة) والخيشوم في حيوان مائي. فترى الشبه بينهما كبيرًا من حيث عملها ولكنك اذا تحرّيت الامر تشريحيًّا رأيت البعد بينهما شاسعاً وظهر لك ان لا تماثل البتة بين هذين العضوين وبعكس ذلك الرئة في الحيوان البرّي وكيس الهواء في الحيوان المائي فان التماثل جلي فيهما يدلك على ذلك تاريخ السمك فان ذلك الكيس (الذي لا نفع لهُ في اكثر الاسماك غير المساعدة على التعويم) يرتقي بارتقاء الاسماك من كيس هوائي لا عمل خاص لهُ الى رئة كاملة. وهذا الارتقاء ظاهر في النوع المعروف بالجاربيك Garpike نوع من السمك حيث يتصل هذا الكيس بالبلعوم فيكثر فيه الدم ويساعد قليلاً على التنفس فاذا ارتقيت الى اعلى من ذلك قل الى نوع الديبنوي Dipnoi مثلاً تراهُ قد اتصل بالبلعوم والانف وصار كثير الاوعية الدموية ولهُ اهمية كبرى بالتنفس وبعبارة اخرى تراهُ اصبح رئةً كاملة

واعتبر ذلك ايضاً في نمو الضفدع فترى ان ذلك الحيوان يكون في اول اطواره كالسمك فيتنفس بالخياشيم فاذا انقضى ذلك الطور رأيت الضفدع حيواناً بريًّا يتنفس الهواء بواسطة الرئة فكيف ذلك؟ أيعقل ان نقول ان الخياشيم تحولت الى رئتين. كلاَّ بل الواقع ان

كيس الهواء الذي كان في الضفدع كان يرتقي مدة ارتقاء الضفدع حتى اصبح رئة كاملة وفي الوقت نفسه كانت الخياشيم تتقهقر وتنحط حتى امست اثرية لا عمل لها

فالتشابه اذن راجع الى التقارب في الهيئة والعمل والتماثل راجع الى الوحدة في الاصل والتركيب

اذا فهم ذلك فلنتقدم الى الادلة العملية على صحة مذهب النشوء وهي كثيرة نجتزىء على اربعة

اولها التماثل في بناء الاجسام

ولنضرب لذلك مثلين فقط (اولها) التماثل في الفقريات . ويراد بالفقريات من الحيوان ما كان له سلسلة من العظام ممتدة من الراس الى اسفل الحوض يقال لها العمود الفقاري . وهي تمتاز عن سائر الحيوان بالامور الآتية

(١) ان لها هيكلاً داخلياً من العظام تحرّكه العضلات من الخارج

(٢) ان لها عموداً شوكياً يحتوي على الحبل الشوكي

(٣) ان هذا العامود يتسع من الامام او الاعلى ليؤلف الجمجمة لوقاية الدماغ وذلك لا يوجد في سواها من الحيوان

(٤) ان في هيكلها تجويفين الواحد ظهري لحفظ الحبل الشوكي والثاني بطني لحفظ الاعضاء الداخلية

٥ ان لها اربعة اطراف او قوائم اثنان منها امامیان واثنان خلفيان يستثنى من ذلك بعض الاسماك والزحافات الدنيئة

هذا من جهة تماثلها العام فاذا قابلتها عضواً عضواً رأيت تحت اختلافات كثيرة في العمل والهيئة (عدم التشابه) ولكنك اذا امعنتها جيداً رأيت التماثل كاملاً فيها مما يدلك على وحدة الاصل في الفقاريات وعلى تفرعها من اصل واحد . واليك بيان ذلك

اولاً في الاطراف الامامية ومعظم الاختلاف فيها واقع في الاقسام الآتية — الترقوة والنتوء الغرابي والكعبرة والزند وعظام الرسغ والاصابع . فاذا اخذت الانسان وهو ارقى الحيوانات الثديية رأيت الترقوة فيه كبيرة والمنكبين عريضين ثم اذا هبطت الى ما دونه من الحيوان وجدت الترقوة تصغر رويداً رويداً حتى لقد تجدها اثرية في بعض الانواع على ان الترقوة في هي ايّاً كانت وعدم التشابه فاتج عن اسباب عرضية طرأت عليها . اما النتوء الغرابي فمعظم مستقل في الطيور والزحافات يتصل بالكوح من جهة ويعظم في الصدر من جهة اخرى وهو صغير

في الحيوانات اللبونة متدمج في الثوح كأنهُ جزء منهُ بل هو في الانسان قسم صغير من اللوح بارز عنهُ قليلاً . كان هذا العظم في الزحافات فورثتهُ الطيور وبقي كبيراً فيها لحاجتها اليهِ ثم ورثتهُ الحيوانات اللبونة ايضاً ولكن لعدم الحاجة اليهِ انحط فصار صغيراً غير مستقل عن اللوح . ومما يثبت ذلك انهُ لا يزال يظهر مستقلاً في احط الحيوانات اللبونة واغرب من ذلك ظهورهُ مستقلاً في اجنة الحيوانات اللبونة جميعها . وكذلك الزند والكعبرة فهما في الاصل مستقلان كما نشاهدهما في الزحافات والطيور لكنك تجدهما عظماً واحداً في الجرذان وذوات الحافر والسبب فيهِ على ما يظهر التخصيص اي التقليل من الاجزاء مع الزيادة في شدتها ودليلك ان الزند وهو العظم المنفرد عادةً يبقى اثرهُ ظاهراً حول التحامهِ بالكعبرة

ومن مظاهر التخصيص اعظم الرسغ وهي ثمانية في الانسان لكنك قد تجدها اقل من ذلك عدداً في غيرهِ وذلك لاندماج بعضها في بعض بحيث تصبح لويّة جداً على انها تكون ثمانية في اجنة تلك الحيوانات ثم تلتحم بعضها ببعض متى كمل خلقها . بقي علينا عظام اليد والاصابع فقد كانت هذه عديدة في بعض الزحافات المنقرضة (وهي لا تزال كذلك في السمك) ثم صارت خمسة في الفقاريات ولا تقل عن هذا العدد الاَّ حيث التخصيص يقتضي الزيادة في قوتها . وكثيراً ما يبقى لعظم المنفرد اثر يستدل بهِ على فعل التخصيص وعلى التماثل التام بين الاجزاء اما الاسماك فلا عضد لها وما ذلك الا لانها اقدم الفقاريات وجدت قبل ان تترقى الاطراف الامامية الى هذا الحد فبقيت على ما كانت عليهِ

هذا في الاطراف الامامية اما الخلفية والاختلاف فيها اي (عدم التشابه) قائم على ما يأتي — موضع الركبة والكعب — عدد الاصابع — عظم الساق والاستان . فالذي يرى الركبة او الكعب في الانسان لا يرى شيئاً من تشابه بينهما وبين الركبة والكعب في الحيوانات العداءة ولا سيما المجترات منها من حيث الموضع بالنسبة الى الجسم ولكن هذا الاختلاف لا اهمية لهُ البتة والظاهر ان المنفعة او الوظيفة التي خلقت توائم هذه الحيوانات لاجلها اقتضت ان يكون القسم الواقع بين القدم والكعب اطول بكثير مما هو في الانسان ولكن تركيب القوائم واحد والتماثل كامل لمن تحرّى الامر وامعنهُ

وكما ان ناموس التخصيص القائل بان ازدياد عدد الاعضاء المتماثلة العمل في جسم ما دليل على الانحطاط وان قلتها وصلابتها دليل على الارتقاء ظاهر في اليد كذلك هو ظاهر في الرجل واوضح مثال على ذلك قدم الفرس . قال مارش « كان الفرس في الدور الجيولوجي الايوسيني كالثعلب حجماً وكان لهُ خمسة اعظم وخمس اصابع في اليد وثلاث في

القدم وخلفهُ في آخر ذلك الدور فرسٌ لم تكن لهُ غير اربعة اعظم واربع اصابع في اليد ثم ثلاثة في الدور الميوسيني فرسان وكانا اكبر من اسلافها حجماً غير انهُ لم يكن لها غير ثلاث اصابع في القدم واربع في اليد واحد منها اثري . وتبع هذين فرسان آخران يجسم الحمار فني الاول منهما بدأ الاصبعان الخارجان بقصران فلم يأت الثاني حتى اصبحا قصيرين جدًّا . وفي الدور الرباعي ظهر الفرس الحديث ولهُ اصبع واحدة هي الحافر على ان آثار الاصابع المفقودة لاتزال ظاهرة مما يدل دلالة واضحة على تدرجهِ في النشوء

هذا هو فعل التخصيص وهو شاهد ايضاً في عظمي الساق وفي الاسنان وفي كثير من اجزاء الجسم . ولقد تحرّى الجيولوجيون البحث في ذلك فكشفت لهم التحجرات عن كثير من الحقائق الرائعة فاذا قرأت مطولاتهم امكنك ان تعرف تاريخ عدد كبير من الحيوانات التي لم تصل الى هذا الوقت حتى من اسلافها على تغيرات واضحة كل الوضوح . والذي نستنتجهُ من درس التاريخ الطبيعي ان الطبيعة لا تخلق شيئاً من لا شيء ولكنها اذا اضطرت الى القيام بعمل ما عمدت الى شيء موجود وكيفتهُ بحيث يصير مناسباً للقيام بذلك العمل . كانت الفقاريات الاولى اسماكاً او اشباهها فلم تكن تحتاج الاَّ الى اعضاء السباحة فلما نشأت الزحافات وصار الاحتياج الى آلة جديدة عمدت الطبيعة الى آلة السباحة وصيرتها تناسب الحيوان الجديد فلما جاء طور الطيور وصار الاحتياج الى اجنحة عملتها لها من الاطراف الامامية وما زالت كذلك تبدل وتغير حتى عملت للانسان يداً عجيبة في مبناها لكنها لا تفرق عن زعانف السمك واجنحة الطيور ويد الحيوان فرقاً جوهرياً

المثل الثاني — التماثل في الحلقيات

ولنأخذ الآن طائفة اخرى من الحيوان نستقرىء فيها الادلة على التماثل

الحلقيات ويراد بها ما يسميهُ الافرنج Articulata وهي حيوانات غير فقارية مركبة من حلقات او مفاصل عديدة . يدخل تحتها الحشرات والسراطين والعناكب والديدان وغيرها . فما يشاهد فيها ان حلقاتها تقل كلما ارتفع حيوان منها في سلم الارتقاء وتكثر كلما هبط فيها . وهي من هذا القبيل خاضعة لناموس التخصيص الذي رأينا فعلهُ في قوائم الفقاريات . واليك البيان . خذ حيواناً من هذه الطائفة متوسط المنزلة تجد لهُ احدى وعشرين حلقة وواحداً وعشرين زوجاً من الاطراف او النوائم على ان هذه الحلقات والاطراف ليست على وتيرة واحدة بل تختلف باختلاف عملها . فان من الحلقات ما يلتحم بعضهُ ببعض فيكون منهُ الرأس والصدر والبطن والذنب ومن الاطراف ما يستعمل لتناول الطعام ومنها ما هو للسباحة

والحركة وغير ذلك فاذا هبطنا الى ما دون هذا النوع رأينا الحلقات والاطراف تكثر ويزداد التماثل بينها حتى اننا نجدها في احط الانواع على تمام التماثل بحيث لا يختلف الواحد منها عن الآخر . وبعكس ذلك اذا ارتقينا فاننا نرى التشابه بين الاطراف والحلقات يقل حتى اذا وصلنا الى السرطان وجدنا جسمهُ قسمين رئيسيين . الحلقات الامامية اندمجت بعضها ببعض فحصل من اندماجها الرأس والصدر والحلقية القحت الواحدة بالاخرى فحصل منها الذنب او القسم الاسفل ثم اذا ارتقينا الى الحشرات وهي ارقى الحلقيات رأينا التخصيص اجلى واظهر فالجسم هناك ثلاثة اقسام واضحة تتألف من ١٧ حلقة ٣ للصدر و ٤ للرأس و ١٠ للقسم الاسفل . واما الاطراف فانفردت الامامية منها بالحس والطعام والوسطى بالحركة واهملت الخلفية لعدم الحاجة اليها . هكذا نرى التدرُّج في الحيوانات الحلقية — الانواع السفلى منها بسيطة جدًّا ومتماثلة الاجزاء فاذا ارتقى الحيوان قلَّت حلقاتهُ وظهر الاختصاص فيهِ . وهذا الناموس ظاهرٌ ليس في الفقاريات والحلقيات فقط بل في كل اسباط الحيوانات وانواعها قاطبةً برهنة الاصل فيها وشاهدًا على التدرج في نشوئها من البسيط المتماثل الى المركب المختلف

دلائل النشوء في الاجنّة

من الحقائق المقررة في علم الحياة ان الفرد في نموهِ يمرّ على نفس الادوار التي مرّ عليها نوعهُ . وهاك امثلة على ذلك

(١) في الحيوانات البرية المائية التي لا ذنب لها ومثالها الضفدع . فان هذا الحيوان يكون في اول اطواره كالسمك يتنفس بالخيشوم ويسبح في الماء ولو بقي في ذلك الدور لعد في صف الاسماك . ثم يصير في دورهِ الثاني اشبه ببعض الحيوانات البرية المائية السفلى فتظهر فيهِ الاطراف ويتنفس الماء والهواء على السواء . ولا تقف الضفدع عند هذا الحدّ بل ترتقي فتصير بشكل الحيوان المعروف بالسمندل . ولا تزال كذلك حتى تصبح بلا ذنب وبكمل نمو اطرافها . بلغت الضفدع هذا الحدّ بعد ان مرّت على كل الدرجات التي مرّ عليها نوعها من قبلها وذلك ظاهر جلي في الآثار الجيولوجية التي ترينا ان بعض الاسماك القديمة كانت في الدور الديفوني والدور السيلوري الاعلى بشكل الحيوانات المائية البرية وانهُ في الدور الكربوني ظهرت الطائفة الاولى المذكورة انفًا ثم في الدور الثلاثي ظهرت الطائفة الثانية وآخر الكل ظهرت طائفة الضفدع

(٢) ومن دلائل النشوء في الاجنّة الاتونس الاورطية . وهي ثلاثة ازواج من

الشرايين تخرج من القلب على هيئة الاقواس . فاذا شرّحنا ورلاً (سقاية) رأينا هذه الاقواس تخرج من القلب ثم يتألف منها شريان كبير يجري نحو البطن . ومن الغريب ان هذه الاقواس لا توجد الاّ في ما دون الورّل من انواع الحيوان ويستعاض عنها في الانواع العليا ومنها الانسان بقوس واحدة في الاورطى الكبيرة . فما تعليل ذلك

تعليله ان الاقواس في الخياشيم في الحيوانات المائية او الاسماك فوجودها هناك ضروري جدًّا وهي تظهر في الحيوانات المائية البرّية كالخياشيم احيانًا فتتنفس تلك الحيوانات بواسطتها اما وجودها في الزحافات فدليل على ان الزحافات ارتقت من الحيوانات المائية البرية واذا صح ذلك لزم ان تحملها الوراثة الى الطوائف العليا ايضًا تمهل لها من اثر هنالك . ثم وهي تظهر جلية مدة نمو الفرد الى درجة النوع في ذلك الحين تظهر الاقواس كما تظهر في الطوائف السفلى لكنها تعود فتتحد بعضها مع بعض وتكوّن قرسًا كبيرة في الاورطى المعروفة في الانسان وغيره من الحيوان ولزيادة الايضاح نقول . وجد المشرّحون ان في « سمكة الحربة » وهي احط الفقاريات (اذا صح ان تدعى فقارية) لا اقل من اربعين زوجًا من هذه الاقواس ثم وجدوا ان هذا العدد يقلّ كلما ارتقى نوع الحيوان الفقاري حتى انهم عدّوا منها في السمك المعروف باللامبري Lempray سبعة فقط وفي كلاب البحر خمسة وفي السمك العادي ثلاثة ثم انتقلوا الى الحيوانات البرية المائية فوجدوها كذلك وارتفعوا الى الزحافات فوجدوا في الورل (السقاية) ثلاثة ولم يجدوا غير اثنين في ما هو اعلى من ذلك من الزحافات ثم وصلوا الى الطيور والحيوانات اللبونة فلم يروا غير واحدة باقية على هيئتها الاصلية الموروثة من الطوائف السفلى . اما انها لا تظهر كلها في الحيوانات العليا فدليل على ناموس التخصيص الذي اشرنا اليه آنفًا وليس ذلك لنفي عدم انتقالها من النوع سفلى بداعي ظهورها في الاجنة التي تكرر تاريخ النوع في نموها

(٣) ومن اوضح الادلة على الشوء الآلي ارتقاء الدماغ . خذ دماغ السمك فهو مؤلف من خمس عقد وهي الفتاع المستطيل والمخيخ وعقدة البصر والمخ وعقدة الشم . انظر في (ش ١) فان ش عقدة الشم م — المخ ب — عقدة البصر خ — المخيخ س — الفتاع المستطيل فترى ان مركز البصر اكبر المراكز في دماغ السمك . فاذا ارتقعت قليلاً عن السمك وجدت ان الدماغ باقٍ على حاله الاّ ان المخ يبدأ يكبر فيما فوق السمك من الانواع حتى يصبح في الطيور وقد غطى قسمًا من عقدة البصر . وتراهُ في الحيوانات اللبونة غير الانسان يغطي عقدة البصر كلها وقسمًا صغيرًا من المخيخ وبعض عقدة الشم . وفي بعض القرود تراهُ

يغطي اكثر المخيخ . اما الانسان فنخهُ يغطي سائر اقسام الدماغ كلها فهو بلا شك ارقى الحيوانات دماغاً . والغريب ان هذا التدرج في نشوء الدماغ ظاهر في جنين الانسان . فان دماغ الجنين الانساني في اول اطواره احط من دماغ السمك وما هو عندئذٍ الاَّ عبارة عن ثلاث عقد في التجاع المستطيل وعقدة البصر وسرير الاعصاب ثم يرتقي الى ما يشبه السمك فيغو المخ من السرير والمخيخ من المستطيل ويزداد نموًّا فيصل الى الطور الزحافي فالطيري فالثديي حتى يكمل نموهُ في الطور الانساني . وفضلاً عما ذكر ترى ان تلافيف الدماغ تكثر كلما ارتقى الحيوان فدماغ السمك والزحافات والطير لا تلافيف ظاهرة فيها ثم تبدأ تظهر في الحيوانات الثديية وتكثر وتعمق كلما ارتفع النوع في سلم الاحياء حتى تصل الى اسمى حالاتها في دماغ الانسان . وكل ذلك ظاهر في نمو الجنين

ومن الادلة العلميَّة ايضاً اذناب السمك . وهي ثلاثة انواع كما ترى في (ش ٢) فان (١) الذنب الشفي والعمود الفقاري فيهِ لا يتجاوز الحرف (ف) حيث تنبع النقرات فينبعث منها خيوط الذنب (٢) الوتري . والعمود فيهِ يمتد الى طرفهِ حيث الحرف (ف) (٣) المستطيل . وهو لا يختلف عن الوتري الاَّ بالهيئة الخارجيَّة

فاذا اخذت سمكة عادية رأيت ذنبها شفيًا ولكنهُ لم يكن كذلك اول ولادتها بل تغير من المستطيل الى الوتري فالشفي . فلماذا هذا التغير لولا ان الاسماك العادية نشأت من طوائف احط منها ؟ يؤيد ذلك التحجرات الجيولوجيَّة فان الاذناب في الاسماك الاولى كانت مستطيلة ثم صارت في الانواع التي فوقها وتربة ولما ظهرت الانواع العادية (وذلك في الدور الجيولوجي المعروف بالطباشيري Cretaceous كانت اذنابها شفية . وشبيه بهذا الارتقاء ارتقاء الاذناب في الطيور فان الاركيتركس Archaeptrix (وهو اقدمها واكثر صلة رحم بالزحافات) كان ذنبهُ كالمروحة والعمود الفقاري فيهِ يمتد الى الطرف . في الدور الطباشيري نرى الطيور والعمود الفقاري لا يمتد في اذنابها الى ابعد من منتصفها . اما في الحديثة فهو لا يبرز عن الجسم الاَّ قليلاً . على ان الذنب في الطيور وهي في الحالة الجنينية

يكون كاذناب الطيور التي عاشت في الدور الجيولوجي المذكور

بقي علينا في هذا الباب الاعضاء الاثرية ولقد بحث فيها غير واحد من كتبنا واخص منهم بالذكر الدكتور امين ابي خاطر فمن اراد الاطلاع على شيء من ذلك فليراجع مقتطف السنة الاخيرة اي سنة ١٩٠٨ فان فيه امورًا يجدر بالباحث معرفتها . ولا ريب ان سيفي درس الاجنة مثالث من الشواهد الواضحة على النشوء او على تكرير النرد لتاريخ النوع وانما اكتفيت بهذا النزر القليل حرصاً على اذهان الجمهور من الملل انيس الياس الخوري

الفضائل

ظهرت في مصر منذ سنين عديدة حركة ترمي الى الاستقلال السياسي والحرية السياسية وهي حركة شريفة يشكر عليها كل مشترك فيها اذا سار في خطة حكيمة رشيدة ولازم التأني والاعتدال ودخل البيوت من ابوابها

ولكن هناك امر لا بد منهُ لبلوغ هذا الاستقلال ويجب على كل محب لمصر الاهتمام بهِ وهذا الامر هو تقويم الاخلاق وتهذيب النفوس كي تتحرر من عبودية الاهواء وتنال الاستقلال الادبي الاخلاقي

ليس العار ان يكون الانسان خاضعاً لاحكام غيره بل العار كل العار في ان يكون عبدًا لشهواتهِ واسيرًا لاهوائهِ . لذلك وجب على كل من لهُ لسان ينطق وقلم يكتب ان يعمل لتهذيب الاخلاق وترقية النفوس وتحرير الارادة من رق الشهوات

وقد وجدت من الواجب عليَّ نحو مواطني الافاضل ان الفت انظارهم لهذا البحث المفيد بسلسلة مقالات عزمت على نشرها على صفحات المقتطف كلما سمحت الفرصة وقد جعلت موضوع هذه المقالات اهم شيء في تكوين اخلاق الانسان وهو الفضائل والبحث في هذه المقالة يتناول (١) تعريفها — (٢) مقاتها — (٣) طريقة الحصول عليها — (٤) علاماتها — (٥) تقسيمها

(١)

(تعريف الفضيلة) الفضيلة (لغة) هي المزية وخلاف النقيصة والرذيلة كالمحبة والقناعة ونحوها والدرجة الرفيعة في الفضل . والفضل ضد النقص . والبقية والزيادة

(وخلقاً) هي الملكات الكريمة التي تعصم الانسان عن الرذائل والنقائص وترفعهُ الى اوج الكمال الانساني . بل هي تاج موضع على رؤوس الفضلاء وصولجان يملكون بهِ

الشهوات ويقمعون بصولتهِ الدنايا والمنكرات

بل هي نعمة انعم الله بها على عبادهِ الصالحين المتقين ورفع بها مراتبهم عن بقية بني الانسان وميزهم بها على اخوان الحيوان

(٢)

(منافع الفضيلة) وللفضيلة منافع وفوائد تعجز عن احصائها الاقلام البليغة وعن وصفها الالسن الفصيحة

قال شاكسبير الشاعر المشهور في وصف الانسان انهُ قد يلوح حتى يسمو على الملائكة ويسفل حتى يهبط عن الشياطين والابالسة . وما ذلك الرجل السامي الذي فاق الملائكة نوراً وبهاء سوى رجل الفضيلة — وما هذا الانسان القبيح المخيف القذر الاَّ نصير الرذيلة

لا ينفع الانسان جمال وجههِ وحسن بزتهِ اذا كان خلقهُ قبيحاً وكانت نفسهُ دنيئة — ما هذه المباكل الانسانية التي ترونها امامكم سوى مساكن تاوي اليها الارواح فماذا يفيدكم جمال المسكن اذا كان الساكن قبيحاً . وماذا تنفعكم نظافة المأوى اذا كان الآوي اليهِ خنزيراً

ان للجسم لذات لا تنكر ولكن الانسان ميَّال للمبالغة فيها — وللنفس والعقل لذات اعظم واكبر ولكن قلة تربية النفوس قللت من قيمتها وحطت من مرتبتها

وليست الفضيلة مانعة للذات الجسدية ولكنها مرتبة لها تحصرها ضمن دائرة الاعتدال والحلال وتمزجها بمزيج التقوى والشرف والعدالة

الفضيلة — تجعل الضمير مطمئناً والبال هادئاً — الفضيلة تجعل الانسان شاعراً بانهُ شريف وتجعل الناس يجلون لهُ احترامهم واعتبارهم حتى لو كانوا من ألد اعدائهِ

قالوا ان (العدل اساس الملك) واقول ان (العدل مظهر من مظاهر الفضيلة) وان الفضيلة اساس الاجتماع والعمران بل اساس نجاح الفرد ونجاح المجموع

لولا الفضيلة لعم الظلم وانتشر الفساد وساد الكذب والنفاق وتسلط الشقاق والشر . وفاز الشر وانظلم ومات العدل وانقرضت النزاهة . واندثر الصدق . والدحر الاتحاد . وقضي على الشرف والعفة والقناعة والصبر والجلد والشجاعة

لولا الفضيلة لما بقي لاحد من بني الانسان صحيفة بيضاء ناصعة بل لكانت كل صحائفهم ملوثة بالفضائح مدنسة بالمنكرات والقبائح

لولا الفضيلة لعق الولد اباهُ وتسي الوالد على بنيهِ . وانكرت الاخت اخاها . وتبرأ الاخ من اختهِ

لو سادت الفضيلة عندنا ولو بين زعمائنا وكبرائنا لما صممتم باختلال الامن العام ولا بتلك الجرائم والمنكرات . لو سادت الفضيلة عندنا بين قادة الافكار والكتاب والادباء لسرنا سيرًا سريعًا نحو النجاح والارتقاء . لو سادت الفضيلة عندنا بين المعلمين والمعلمات والمربين والمربيات لكان لنا بعد زمن قليل جند من جنود الخير نتقي بهم هجمات الشر وندفع بجموعهم جيوش المعاصي والموبقات التي اثخنت في الناس جراحًا وسودت وجوهًا كانت قبل ذلك بيضاء

(٣)

طريقة الوصول الى الفضيلة

ورب سائل يسأل اذا كانت هذه منافع الفضيلة فكيف السبيل الى تحصيلها

الجواب على ذلك — كل من سار على الدرب وصل — ان طريق الفضيلة في أولهِ وعر لا بد لصعودهِ من تجشم المشاق والتعرض للاشواك والأدغال والقيظ والبرد القارس ولكن متى سار الانسان فيهِ رأى المصاعب تقل والمشاق تخف وتعودت نفسهُ على مقابلتها ومكافحتها والفوز عليها وفي الفوز لذات لا تذكر . ثم متى قطع قاصدها المرحلة الاولى رأى نفسهُ في خمائل وروض وجنات تجري من تحتها الانهار في مكان مرتفع محاط بالمناظر الطبيعية الجميلة واذا اجال طرفهُ رأى واديًا ضيقًا منحدرًا ملآنًا بالوحول ورأى اناسًا فيهِ يتمرغون بتلك الاوحال ويحاولون الهرب منها والصعود الى فوق ولكن الطريق زلقة والمياه القذرة تنحدر فيها كالسيل الجارف فلا يمكن للذين انحدروا الى هذا القاع ان يصعدوا الى اعلى ويقاوموا هذا السيل العرم

اما (طريق الرذيلة) فانهُ واسع في البداية ترى فيهِ الرياحين والازهار فتشمها ولكنها مسمومة مخدرة للاعصاب لا تلبث ان تسكر الداخل فيتوغل فيها ويأخذ في الانحدار وكلما تقدم في الطريق زاد الانحدار وتكاثرت المياه القذرة حتى تصبح كالسيل فتأخذ الداخلين وتخطف ابصارهم وتعمي بصائرهم وما هي الا عشية وضحاها حتى يروا انفسهم سابحين في بحر من الوحول يستنشقون الروائح الكريهة ويتخبطون في دياجور من الظلام خبط عشواء فاذا لاح لهم وميض برق نظروا الى اعلى فرأوا جبل الفضيلة الشاهق بجنانهِ وانهارهِ وسكانهِ وروائهِ ونورهِ فندموا على سقوطهم في هوة الرذيلة واخذوا يفكرون في الخروج من هذا المأزق والتخلص من هذا المضيق ولا خلاص ولا مناص

ما هذه تخيلات واوهام بل هذه حقائق نرونها كل يوم بعين البصيرة ولا اخال واحدًا

منكم لم يتفطر فؤادهُ حزناً على صديق لهُ سقط من عرش الفضيلة الى هوة الرذيلة بعد ان سمق ذووه وأصدقاؤهُ في انتشالهُ فعلينا ان نرسم امام اعيننا خطة الفضيلة ونسير فيها وعلينا ان نحاسب انفسنا كل يوم ونقيس المسافة التي قطعناها ونبحث في اتجاهنا وهل حدنا عن الخط المرسوم ام لا نزال عليهِ

ولكن هل يكفينا ذلك — كلا بل علينا واجب مقدس وهو ان ننظر الى ذوينا ومن هم تحت مراقبتنا ونضع لهم خطة السير ونلاحظهم كيلا يضلوا السبيل . وننظر ايضاً الى مواطنينا ونرشدهم ونناديهم اذا ضلوا ونرجعهم الى الصراط السوي . واذا عثر احدهم وابتدأ في الانحدار والسقوط فعلينا ان نرمي لهُ حبل النجاة ونوصلهُ اليهِ لكي تتمسك بهِ ثم نجذبهُ الى مكان النجاة والسعادة فليست الفضيلة قاصرة على انقاذ الانسان نفسهُ من الرذيلة بل من الواجب علينا ديناً وشرفاً ومروءة ان لا نبخل على غيرنا بالمساعدة والمعاونة

ومن اهم الطرائق للوصول الى الفضيلة درس مبادئها وتعاليمها والاقوال المأثورة عنها وعن تاثيرها في ترقية الانسان والامتناع عن قراءة الكتب الساقطة المخالفة للآداب والاديان وعن السكر والمقامرة ومعاشرة الاشرار والساقطين لان مكروب الشر كثير العدوى عظيم الخطر . وملاحظة اقوال الفضلاء المعاصرين لنا واعمالهم واستحسانها مرّاً وجهراً واقوال واعمال انصار الرذيلة وتحقيرها في الخفاء والعلانية واعادة الانسان نظرهُ في كل ما قالهُ وعملهُ في يومهِ وتطبيقهُ على مبادئ الفضيلة وتعويد النفس على الارتياح والسرور عند اتيان اي عمل شريف مطابق للذمة والتألم والندم عند اتيان اي عمل دنيء او مخالف للذمة والضمير والسعي في تطهير النفس من الاميال الدنيئة وغرس الملكات الطيبة والاخلاق الشريفة — والخلاصة ان من واجبات كل فاضل ان يعمل في آخر كل يوم ميزانية اعمالهِ فيضع الاعمال الفاضلة في جدول المكاسب والاعمال والرديئة في جدول الخسائر ومن واجباتهِ ايضاً ان لا يعذر نفسهُ بل يحاسبها على اقل هفوة ويؤنبها اذا ضلت طريق الفضيلة

ولما كان الانسان كثيراً ما يتنبهُ الغرض عن تمييز حقيقة اعمالهِ فلا بد لهُ من اختيار صديق او اكثر من مارسوا الفضيلة والفوها ليراقبوا سلوكهُ ويحضوهُ النصح فاذا حاد عن الطريق السوي اعادوهُ اليهِ بالموعظة والقدوة الحسنة وحبذا لو وجد الانسان اولئك الناصحين في ذوي قرباهُ فانهم يكونون ابرّ بهِ من الغريب واذا تعذر ذلك فالقريب الفاضل خير من القريب العاطل

(٤)

علامات الفضيلة

الفضيلة علامات — والرذيلة دلائل

اذا نظرت من بعيد نسورًا حائمة على مكان علمت ان فيهِ جيفة . واذا مررت بمكان وشممت رائحة منتنة علمت ان هناك جثة او اقذارًا او شيئًا متعفنًا

واذا اقبلت على بقعة من البقاع وشممت رائحة زكية علمت ان هناك ازهارًا ورياحين

والفضيلة رائحة عطرة كما ان للرذيلة رائحة خبيثة عفنة منتنة

الشجرة الطيبة تعرف من ثمرها — والشخص الطيب يعرف من اعماله

يحاول كثيرون من السائرين في سبيل الرذيلة ان يمشوا الناس ويخدعوهم فيسرقون ثوبًا من اثواب الفضيلة ويلبسونهُ ولكن اذا وجه العاقل مناظر البحث الى هذا الثوب وجدهُ يشف عما تحتهُ من الدنايا والارجاس . ولا بد لحق ان يسود الباطل . ان الله يحق الحق ويزهق الباطل ان الباطل كان زهوقًا

من علامات الفضيلة

(١) استهجان الرذيلة وتحقيرها وعدم التماس العذر لصاحبها . لان اكثر الذين يعذرون الرذيلة يميلون في سرهم اليها (ومن كان بيتهُ من زجاج لا يجرأ على رشق الناس بالحجارة)

(٢) قوة الارادة لان الرذائل في هذا العالم جلابة براقة تخدع النفوس الضعيفة وتأسر الارادات الواهنة

(٣) التقوى الحقيقية وهي الاعتقاد بالخالق وبانهُ مدبر هذا الكون وبان شعرة واحدة من راس الانسان لا تسقط بدون اذنهِ . ومن لوازم هذا الاعتقاد السير حسب وصايا الدين

للدين علاقة سببية عظيمة بالفضيلة فقد خلق الانسان ميالاً لارضاء شهواتهِ واهوائهِ فلا يمنعهُ عن المعاصي والدنايا سوى خوف احتقار الناس اياهُ وخوف العقاب

اما احتقار الناس وعقاب القانون فاجتنابهما ميسور بالتستر لذلك تجد كثيرين ممن يدعون الفضيلة يرتكبون اعظم المحارم والآثام سرًا — واما العقاب الالهي في الدنيا والآخرة فهو الرادع الاكبر للمتقين الحقيقيين

(٤) معاشرة انصار الفضيلة والابتعاد عن اتباع الرذيلة

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينهِ فكل قرين بالمقارن يقتدي

كل من يميل الى احتكاك بساقط لا بد ان يكون ساقطاً — وكل من يبتعد عن الادنياء ومعاشرتهم ومخالطتهم ويتقرب من الاتقياء والفضلاء لا بد ان يكون تقيًّا فاضلاً

واحذر معاشرة اللئيم فانهُ يُعدي كما يعدي السليم الاجربُ

(٥) الابتعاد عن اسباب المعاصي — لان النفس امارة بالسوء واحسن طريقة لاجتناب الخطر اتقاء اسبابهِ والابتعاد عنهُ وعدم التعرض لهُ — فقد تكون خطوة واحدة في ارض كثيرة الزلق سبباً في وقوع صاحبها في هوة الهلاك.

ومن اسباب المعاصي — المسكرات — والمقامرة — والاستهتار بالصغائر الذي يؤدي الى الكبائر

(تقسيم أمهات الفضائل)

عرفنا الى الآن ما هي الفضيلة وما فائدتها — وما هي طريقة الوصول اليها . وما هي العلامات الدالة عليها . وبقي علينا ان نبحث في تقسيمها

تنقسم الفضائل الى قسمين

فضائل اصلية وهي عبارة عن امهات الفضائل — وفضائل فرعية وهي ناشئة من الاولى والفضائل لاعداد لها ولكننا سنقصر الكلام على امهاتها وهي :

ا (الاستقامة) فضيلة اصلية ويتفرع منها (١) الصدق (٢) الوفا (٣) الامانة (٤) والعدل

ب (العفة) ويتفرع منها (١) القناعة (٢) التقشف (٣) الزهد في الدنيا

ج (المحبة) ويتفرع منها (١) المودة (٢) الشفقة (٣) النجدة (٤) المروة (٥) والاحسان للفقير

د (الشجاعة) ويتفرع منها (١) الاقدام (٢) الصبر (٣) الجلد (٤) قهر النفس وهو اعظمها

وموعدنا المقالة التالية وموضوعها (الاستقامة) (نجيب شقرا)

عبد الحميد في نظر الطب

بحث فزيولوجي بسيكولوجي (١)

اذا كان في مستطاع الطب اليوم ان يحكم في اخلاق مشاهير الرجال الغابرين وسائر اطوارهم بسيكولوجيًا وفزيولوجيًا بالنظر الى علائقها بحالاتهم العصبية من نفس افعالهم التي وصلت الينا من خلال التاريخ في القرون البعيدة كموسى وعيسى ومحمد من الانبياء والاسكندر ونابليون من الفاتحين وتيمورلنك ونيرون من الجبابرة السفاحين فبالاولى ان يستطيع ذلك في الرجال الحاضرين بقطع النظر عن درس طباعهم ومراقبة حالاتهم العصبية عن قرب بل من مجرد البحث في افعالهم فقط

لا ريب في ان عبد الحميد من اشهر مشاهير هذا العصر وسيعد له التاريخ صفحة كبيرة. والشهرة لا تدل دائمًا على العظمة وكبر الصفحة ليس دائمًا دليل المجد

ان عبد الحميد بين ملوك هذا العصر يكاد يكون نادرة لا لانهُ لم يقم لهُ شبيهٌ في التاريخ الماضي او لا يوجد لهُ شبيهٌ في التاريخ الحاضر. فان جميع الملوك في الماضي البعيد كانوا مطلقي الايدي مستبدين ارادتهم قوة تشريعية وتنفيذية معًا. وملوك الصين اليوم ليس لهم سلطتهم سلطة يرضخون اليها. بل لانهُ كان سلطان مملكة شاغلة اهم بقعة في الارض بموقعها الجغرافي ذات شعوب متباينة من حيث التربية والاستعداد. فبينما هي في اقصى الهمجية في بعض الجهات اذا هي تفتقُ ارقى مزايا المدنية في بعض الجهات الاخرى. وبينما هي من اصول نشأت في حضن الحكم المقيد في بعض الاقوام اذا هي لم تعرف غير الحكم الاستبدادي في بعض الاقوام الآخرين. قال ابقراط. «ان اهل اوربا تحكمهم شرائعهم واما اهل اسيا فتحكمهم ملوك». والمملكة التي كان يحكمها عبد الحميد تمتد املاكها في هاتين القارتين. ونظرًا الى مركزها هذا المتوسط في قلب الممالك والذي هو الصلة بين الشرق الاقصى والغرب الاقصى في مرتبطة ارتباطًا شديدًا بمصالح الامم الاخرى مما يجعل امرها ذا شأن عظيم جدًا في امور تلك الامم وممالكها بحيث لا يمكن لهذه الامم ان تنصرف عن الاهتمام بها اهتمامًا كليًا حيويًا لحفظ كيانها سليمًا من الطوارئ، والامم المتمدنة على قيد شبر منها. ومع كل ذلك فعبد الحميد استطاع ان يعيش كل مدة حكمهِ سلطانًا مطلقًا دائمًا

(١) اي من حيث حالة الاعصاب وانحال العقل

على كل الشرائع الوضعية حتى الالهية نفسها وان يكن قد تذرع بهذه الاخيرة احياناً كثيرة الى تأييد حكمه ودعمه بدعائم دينية لوية

يقول جمهور الاخلاقيين اليوم ان عبد الحميد تمكن من كل ذلك لانهُ على جانب عظيم من الذكاء والدهاء حتى اجاز على رعاياهُ وسائر الامم فوز اغراضهِ وسيتبعهم في هذا القول المؤرخون ايضاً بلا ريب بل هو في نظر البعض اعظم داهية في هذا العصر ويريدون بهذا القول انهُ ذو مدارك عقلية فائقة . ولا ينكر عليهِ ان لواءهُ العقلية مترابطة في مراميها متناسقة في استنباطها وانما هذا وحدهُ لا يجعلهُ في مصاف اصحاب العقول الكبيرة حقيقة الاَّ في نظار الذين يحكمون في اعمال العقل بالنظر الى جسامة الحوادث المترتبة على تدبيرهِ بقطع النظر عن ماهية الحوادث المترتبة على هذا التدبير

عبد الحميد يعتبر اليوم في قوة فهمهِ اعظم ممثل للذكاء الشرقي الفطري الذي قضت عليهِ التربية العلمية الحديثة وفي سلوكهِ اعظم ممثل للسياسة القديمة الشرقية المكتسبة من تربية الشرق الاجتماعية والتي كان آخر ممثل عظيم لها في الغرب السياسة البزماركية مع الفرق بان السياسة البزماركية لم تتذرع بتلك الاسباب المشجوبة الاَّ للتوصل الى النتائج الحميدة في مصالح المملكة العامة . واما سياسة عبد الحميد فواحدة في التناسب بين اسبابها القريبة ونتائجها البعيدة غير قاصد فيها الاَّ مصلحة نفسهِ الخاصة

عبد الحميد ورث عن اجدادهِ ومجتمعهِ طبائع تخالف تمام نسيج من اخلاق الجبان الحاذر والمداجي الماكر والغليظ القلب القاسي وهذه الصفات وان كانت عامة في جميع الامم الاَّ ان الشرق هو الاسبق فيها لنوع احكامهِ المطلقة كما تقدم . وهذا يؤثر في اخلاق الامم تأثيراً سيئاً افقدهُ ذل النفوس واثقله الشر بانواع الحيل ولا يزال السابق فيها حتى اليوم لفقد العلم منهُ . واكتسب من نوع تربيتهِ البيتية التي شبَّ فيها كالسجين بين جدران قصرهِ قلة ثقتهِ بغير نفسهِ وحذرهُ من كل من سواهُ واعتقادهُ الراسخ فيهِ ان مصلحتهُ لا تتفق مع مصلحة غيرهِ . وتربيتهُ العلمية لم يكن فيها شيء ينزع منهُ مثل هذا الاعتقاد ويزيل منهُ تلك الاثرة الناشئة عن تربيتهِ العرفية المتسلسلة ابًا عن جد والمحفوظة في قلوب حاشيتهِ ومهذبيهِ والمنقولة اليهِ بلسانهم من ان الملك الذي سينتقل اليهِ انما هو لهُ وحدهُ لا لله ولا للناس فلا مصلحة من ورائهِ الاَّ مصلحة نفسهِ وليس في عمله واختباره نظراً لمعيشتهِ المنقطعة عن العالم ما يرشدهُ الى ان مصلحة نفسهِ تكون اضمن واجل اذا اتت من وراء مصلحة امتهِ

والملوك الذين يتربون هذه التربية لا يستغرب منهم انهم يخالفون في سياستهم وسلوكهم مع رعاياهم المعقول والمقبول بل العجب منهم ان يسلكوا هذا السبيل السوي لمصلحة الرعايا انفسهم . ولذلك كان كل الملوك الذين تربوا هذه التربية في كل العصور وفي كل الممالك ينشأون على هذه الاثرة وهذا الترفع عن سائر الناس وقلة الاعتداد بهم الاَّ لاغراضهم . لاذمام لهم غالبًا ينكثون عهدًا ولا يحفظون ودًّا . حتى انك لترى صحة هذا القول في تربية ملوك اوربا الراقية اليوم بحسب درجة تقيدهم بامتيازاتهم او انطلاقهم منها فان فئة تلك الامتيازات لا تزال تعمل فيهم عند اقل عارض يعرض لهم كانهم في اعتقادهم من طينة فوق طينة سائر الناس ولا ريب ان ارقى الملوك اليوم علمًا واختبارًا هو ملك الانكليز الحالي لانهُ اختلط بالناس كثيرًا قبل ان تبوَّأ عرش الملك فهو اقرب الى عامة الناس منهُ الى آلهة الملوك واعرف بطبائعهم فهو اقرب الى رؤساء الجمهوريات المنتخبين من الشعب منهُ الى الملوك النازلين من تخت جوبيتر

وما عدا هذه الامور العامة فان هناك امورًا خاصة اتفقت لعبد الحميد جعلتهُ في منتهى الخوف والحذر والامتناع عن مخالطة الامة وهي تبوُّءهُ الملك بعد خلع سلطان قُتِل او انتحر وآخر جنَّ او استجنَّ وحصول كل ذلك بمساعي طائفة من اصحاب النفوذ ما زالت محيطة بهِ في اول الامر . ورأى تلك العبر فاشتدت بهِ المخاوف من كل من حولهُ ولم يعد يرى في المقرَّبين منهُ الاَّ كل يد آثمة . واشتد حذرهُ من كل شيء حتى من الهواء الذي يستنشقهُ والماء الذي يشربهُ والطعام الذي يأكلهُ . ووقع من جراء ذلك في حالة عصبية تهيجية اشبه شيء بوسواس المضطهدين فلم يكن لهُ هم سوى التفكير في وقاية نفسهِ والتخلص من كل من توهم انهُ سبب في الانقلاب السابق وان وجودهُ خطر عليهِ . وقد احسن التدبير حتى فتك باولئك المقربين متدرجًا من العزل فالابعاد فالنفي الى القتل وحتى انهُ قلب النظام الجديد الذي كانوا قد وضعوهُ واعاد النظام القديم

ولكن وسواسهُ الاضطهادي لم يقف بهِ عند هذا الحد بل استمرَّ بهِ على تزيد فلم يأمن على نفسهِ حتى من النظام القديم الذي كان معمولاً بهِ على عهد سلفائهِ والذي يجعل الحكومة في ايدي رجال مسؤولين . ولم يطمئن لهُ بال حتى جعل كل شيء في يده فقلبهُ شيئًا فشيئًا حتى صارت ادارة الاحكام كلها لهُ وصارت موارد الدولة كلها ترد الى خزينتهِ فاستخدمها لقضاء مآربهِ صونًا لحياتهِ يضدقها على هذا المقرب ويقصي بها ذلك المبعد ويتخلص من ذلك الذي اشتدَّ قلقهُ منهُ . يضرب الواحد بالآخر حتى يكون الواحد رقيبًا لهُ على

الآخر . ولم يقتصر بهِ ذلك على رجال الوظائف الادارية بل اشتدَّ بهِ الوسواس حتى لم يعد يأتمن على نفسهِ حاشيتهُ التي تقيم معهُ في قصرهِ ولا خدمهُ الذين يخدمونهُ ولا نساءهُ انفسهن فكان يستعمل معهم جميعهم نفس سياسة التفريق التي كان يستعملها بين رجال دولتهِ . ولم يكن يستنكف ان يقتص منهم بنفسهِ حتى لم يكن يفارقهُ مسدسهُ يقتل بهِ ايًّا كان منهم لحركة تصدر منهُ توقع عندهُ الريب فيهِ . وما اسرع تسرُّب الريب اليهِ وكم قتل بهِ ابرياء لمجرد الوهم فقط حتى انهُ قتل يومًا ابنتهُ الصغيرة لانها استغفلتهُ ورأت على طاولتهِ مسدسًا فاخذتهُ لتلعب بهِ شأن كل الاطفال فتوهم انها مغراة على الفتك بهِ فأودى بها وهو مع ذلك كان يحبها محبة شديدة وانما الوسواس الاضطهادي كان بهِ اشد من ذلك الحب الابوي فهو مغرًى بهِ ومدفوع الى العمل بموجبهِ بقوة تفوق كل عاطفة أُخرى

ثم اشتد بهِ هذا الوسواس حتى تجاوز بطانتهُ الى مجموع الامة كلها فاقام بعضها على بعض والقى العداء بينها بحجة الدين يستميل بذلك قومًا ويرهب آخرين ويشغل البعض بالبعض بالمجازر التي انها في اول الامر وجلاً قتلاً في الافراد ثم الفها مذابح في الجموع حتى صار الفتك بهِ طبيعة . وخاف من كل واحد من افراد الامة فجعل بعضها جواسيس على بعض . وصادف من الامة أعوانًا خونة لقضاء اغراضهِ في سبيل مخاوفهِ حتى لم يعد يأمن الواحد على نفسهِ من اهل بيتهِ أنفسهم . وهو كلما زاد ايقاعًا بالامة زاد استهواء في وسواسهِ واسترسالاً في استنباطهِ اساليب الشر الواقية وليس يبعد ان تكون الحال قد انتهت بهِ الى انهُ لم يكن يستطيع ان يفكر كيف انهُ سيمضي وفي المملكة بعدهُ دمَّار وبالخ نار لان هذا الضرب من الوسواس معهود خصوصًا في اصحاب السلطان كنيرون رومية الذي احرقها ليقوم وحدهُ متفرجًا عليها

وربما كان في اول الامر يتأثر بعض الشيء من القتل لانهُ لم يكن يقدم عليهِ بتلك العزيمة التي لم تعد بعد ذلك تعرف حذرًا ولا ندمًا والتي اشتدت بهِ في مجازر ارمينيا وكان في نيتهِ اخيرًا ان يشبك المملكة كلها بها غير مقدر العواقب فيها لولا انها نشبت بفعل التقادير قبل ان نضجت مدادتها كلها كما كان يرغب والتي لو تمت لكان بها القضاء التام على المملكة . وذلك لميلهِ هذا الى الفتك اكثر مما الى استرجاع نفوذهِ المطلق الذي فقدهُ بالنظام الجديد لان مثل هذه الحالات العصبية التي تدفع الانسان الى القتل لمجرد القتل فقط كثيرة تشاهد حتى في النساء الوديعات فيقتلن الاطفال ويتسترن وربما بكينهم بعد ذلك . ويشاهد ايضًا في الامهات انفسهن فيقتلن اولادهن ينعلن ذلك مع اتخاذ كل

الاحتياطات اللازمة ليجعلن المقدمات تنطبق على النتيجة مما يحمل على الاعتقاد بان قوانين العقلية سليمة وهي على هذا المثال من الخلل

ولا يعقل ان يكون الا يهم بعبد الحميد غير ذلك والا فلو كان الدافع له على هذا التدبير الاخير استرجاع ما فقده من النفوذ فهو لم يفقد بالحقيقة بعد الانقلاب الاول الا متاعب الملك وتوفرت له كل امتيازاته الحسنة حتى كاد الناس يتناسون مساوئه الماضية مما يحسن بكل عاقل الاستمساك به لا سيما وان هذه الطريقة لم تكن مأمونة لنيل ما يتوخاه بها من ذلك بل كل عاقل يرى بها زوال سلطته وملكه وتعريض حياته للخطر ايضاً وهو في اهماله الماضية لم يأت عملاً يكون من ورائه مثل هذا التعريض بحياته حتى انه لما رأى ان لا قبل له بالمقاومة في اوائل الانتقاض عليه سلم بكل مطالب الامة معتذراً بان الخونة هم الذين كانوا يحولون بينه وبين هذه المطالب التي كان يرغب فيها من كل قلبه . وما فعل ذلك الا حرصاً على حياته لاعتباره ان السلطة التي فقدها بذلك ليست مما يتمسك به ما دامت غايته الكبرى من سلامته متوفرة له فكيف ينكث اخيراً العهد الذي اعطاه على نفسه ويحنث باليمين التي اقسمها وسلطته لم تمس في جوهرها . فلو لم يكن حب سفك الدم هو الذي دفعه الى ذلك منقاداً اليه بتلك الهواجس ومدفوعاً اليه بذلك الميل المكتسب الذي تأصل فيه وصار من طبعه لغير غاية الأغاية سفك الدم لما اقدم على هذا التدبير وغرر بنفسه الى هذا الحد وهو غير آمن من العواقب ولا هو مضطر

فمدارك السلطان عبد الحميد كانت كل ايام حكمه منصبة لخدمة هواجسه وهي من هذا القبيل كانت محكمة ممتازة متناسبة تامة الارتباط بين المقدمات والنتائج كما في كثيرين من اصحاب الوساوس الذين ينحصر وسواسهم في موضوع واحد . وكما ان هؤلاء لا يعدون من اصحاب العقول الكبيرة فهو لا يفضلهم ايضاً وان كان قد سلم له ثلثا ملكه مدة حكمه بخسارة الثلث فقط فليس ذلك لحسن تدبيره وحصافة رأيه بل لاختلاف مصالح الدول الطامعة . واذا كانت الامة قد صبرت عليه كل هذا الزمان الطويل وهو يعيث ويخرب فليس من حسن تدبيره بل لان اختلاف اجناسها وأديانها ولغاتها وجهلها ساعده عليها

فاذا نظرنا الى الاسباب التي حفظت عبد الحميد سلطاناً على هذا الملك المتداعي الذي ارهقه كل هذا الزمان الطويل فهي من قبله اسباب سلبية فقط اذا جازنا ان نستعمل مثل هذا التعبير وما عهدنا بان ذلك من صفات العقول الايجابية . واما الاسباب الايجابية الفعلية فهي خارجية من تنافس الدول وداخلية من حالة تربية الامة الاجتماعية

هذه في حالة عبد الحيد البيكولوجية الفزيولوجية مع امته مستنتجة من افعاله مدة حكمه الطويل فما بالك بالامة التي كان هذا سلطانها المطلق مدة ثلاث وثلاثين سنة والتي لا يزال كثيرون منها اليوم يبكون حسرةً عليه! — واما ماذا يكون من امرهِ بعد اسرهِ فقد تغير اطوارهُ من الضد الى الضد ويذوق راحة من هواجسهِ لم يعرفها من قبل. اذ ليس علاج ينجع في مثل هذه الوساوس من الانتقال بصاحبها من مركز الى ضدهِ وان لم يكن بالعلاج الشافي دائمًا. اما مسؤليتهُ الحقيقية من وراء كل ذلك فمختلف فيها وفي نظرنا انهُ اذا كانت المسؤولية الادبية تجد مخففًا لها عنهُ من حالتهِ هذه فالرزايا المادية التي حلقت بالامة من جرائها تبعتها في مثل هذا المرقف تلتصق بالامة وحدها لان المال السائب يعلم الناس الحرام. وقد تحملت الامة عاقبة جهلها. واما المسؤلية الحقيقية فعلى الدول الراقية المسؤلة وحدها لدى الانسانية المخفامنة

الدكتور
شبلي شميل

نيتشه وابن الانسان[1]

اصدرت الجمعية اليوجنية (Eugenics' Society) مجلة شهرية الغرض منها نشر ما يعرف عن العلوم اليوجنية بين الشعب وحمل الحكومة على جعل قوانينها منطبقة على مبادىء هذا العلم الجديد

اليوجنية علم وضع اسمهُ المستر فرنسيس غلتون رئيس الجمعية اصولهُ مأخوذة من قوانين علم الحياة وغرضهُ منع العوامل التي تؤول الى اضعاف النسل كمنع زواج اصحاب العاهات الوراثية — وتقوية العوامل التي تؤول الى تحسين النسل كتشجيع الزواج بين اصحاء الاجسام والعقول. وهذا كلهُ مبني على قانون دارون: بقاء الاصلح والانتخاب الصناعي. ووقوف نجاح الجمعية طبعًا على ميل الامة الى تحسين نسلها وما يشاهد من رواج بيع مجلتها الجديدة يدل على قوة هذا الميل

وليس غرضي شرح الطرق التي ستتخذها الجمعية للوصول الى غايتها من تحسين النسل وانما ذكرت خبر هذه النهضة مشاهدًا على اهتمام الامة الانكليزية بنسلها وتنبيهًا للقارىء الشرقي الى مستقبل بلادهِ. وغرضي من هذه المقالة شرح فلسفة جديدة لاحد فلاسفة

[1] Nietzche's "Thus spake Zarathustra," and Ludovici's "Who is to be master of the World," and "Man and Superman" by G.B. Shaw.

الالمان فردريك نيتشه اضعها اولاً في سؤالين ثم اشرحها

الاول : اذا صح ان الانسان قد تناسل من حيوانات ادنى منهُ افلا يصح ان يتناسل منهُ حيوان ارقى منهُ

والثاني : ما هو الطريق المؤدي الى جعل نسلنا يفوقنا جسماً وعقلاً كما نفوق نحن الحيوانات التي تسلسلنا منها

١ تأثير داروين في اعتبار الانسان

كان لظهور كتاب داروين في سنة ١٨٥٧ رجّة عظيمة بين العلماء اذ غيّر مجرى الافكار في اعتبار الاحياء وبيّن اجمالاً اشتراك الحيوانات في اصل واحد كما اوضحهُ بعدهُ كتب العلماء الذين تبعوهُ . ولكن داروين لم يذكر في كتابهِ هذا ادلة على اصل الانسان الحيواني بل ترك ذلك الى ان جمع الادلة الكافية في كتاب "اصل الانسان" حيث اوضح تسلسل الانسان من الحيوان . ونظرية النشء التي قال بها داروين وبنى عليها كل استنتاجاتهِ اصبحت اليوم من الامور المسلمة — حتى ان الكنيسة الانجليزية وافقت عليها في مؤتمرها العام الماضي في لندن

فنحن نفهم الآن بنظرية النشء ناموساً طبيعياً جرى عليهِ جسم الانسان فوصل الى ما هو عليهِ الآن وقد جرت عليهِ كل الحيوانات فاحيا منها ما احيا وابادَ ما اباد وأهم قوانين النشء هو "بقاء الاصلح" فالانسان بقي والبقاثير يه انقرضت لان الانسان كان صالحاً للوسط الذي عاش فيهِ وأما البقاثيريه فلم تصلح لهُ . ولكن كيف وصل الانسان من الحيوانية الى الانسانية ؟

وصل الى ذلك بالانتخاب الجنسي . فالانثى تنتخب القوي الجميل من الذكور على ما ترشدها طبيعتها والقوي يمنع الضعيف من التناسل بحيازتهِ المرأة الجميلة

فالمرأة بصفتها واسطة لتكثير الجنس وبصفتها حائزة للقوي من الرجال ولدت القوي من الجنس وأبادت الضعيف منهُ

ولكن لماذا لا يتغير الانسان اليوم ؟ لماذا نرى الشبه شديداً بين موميات المصريين القدماء وبين أنماط العصر الحاضر ؟

فالجواب اننا وقفنا ضد الطبيعة . وأذا ظللنا نقف أمامها فلربما سنكون كسلافنا بلا فرق ولا تغيير . فنيتشه الفيلسوف الالماني قضى عمرهُ يوضح أغلاط الانسان في وقوفهِ أمام الطبيعة ويبيّن الطريق المؤدي الى العودة الى الطبيعة حيث تجري حسب نواميسها

٢ كيف الوصول الى ذلك

آداب الامة أو القبيلة وأخلاقها موضوعة لغرض ما فمن بطل الغرض بطل الداعي للاداب والاخلاق. ولكن اذا تقادم العهد على قوانين هذه الآداب الاجتماعية يغفل النظر عن الغرض منها وأصبر تتبع اتباعاً اعمى . وبعض هذه القوانين طبيعي لا يمكن ابطالهُ وبعضها اجتماعي يمكن ابطالهُ متى بطلت فائدتهُ . فمن الطبيعي مثلاً التزاوج ومن الاجتماعي الزواج . ومن الطبيعي حب القوة ومن الاجتماعي الشفقة على الغريب أو الضعيف

فاذا نظرنا الى فضيلة الشفقة على صاحب العاهة كالأبله او المقعد او المولود اعمى . هل نحن محقون في شفقتنا عليهم بعد ان عرفنا قانون الوراثة ؟ هل من الفضيلة ان نقدم لصاحب العاهة وسيلة يكثر بها نسلهُ ؟ نعم انهُ من الفضيلة والانسانية ان نقدم لهُ مسائل الراحة ولكن من الجرم ان نسمح لهُ بالزواج وتكثير اصحاب العاهات الوراثية

وقد بيّن نيتشه ان اصل الآداب حب القوة . وان في الامة دائماً نوعين من الآداب وهما في عراك دائم . الاول " آداب السيد " التي يرغب القوي في ان تعم لانها تزيدهُ قوة والثاني " آداب العبد " التي يرغب الضعيف في ان تعم لانها تزيدهُ قوة . وضرب لذلك مثلاً العصفور والصقر فمن مصلحة الصقر ان يأكل العصفور ومن مصلحة العصفور ان يموت الصقر جوعاً ثم استنتج من ذلك ان الآداب العصرية المتبعة في آداب الضعيف التي تمنع القوي من الظهور ومن تكثير نسلهِ كالزواج بواحدة والشفقة على الضعيف ولذلك قادم الديانة المسيحية لانها زعيمة هذه الآداب . وقال ان واضع هذه الآداب هو الضعيف فهي تؤول الى تخليد جنسهِ والغاء الجنس القوي فاذا استمرت سائدة ضعف الجنس البشري وربما انقرض فاذا اردنا تحسينهُ وجب علينا ان نقلب ميزان هذه الآداب اي يجب ان نجعلها تؤول الى تخليد الجنس القوي وأبادة الجنس الضعيف

ولا يتصور القارئ ان نيتشه يطلب منا ان لا يحب الضعيف ولا يحسن اليهِ وانما يطلب ان لا نكثر جنسهُ والفرق كبير بين الامرين

٣ ابن الانسان

من اقوال برنارد شو الفيلسوف الانجليزي الذي تبع نيتشه في فلسفتهِ عن " ابن الانسان " Ecce Homo انهُ يسوءنا ان نرى الابناء مثل الآباء في قوة عقولهم فان هذا دليل على عدم وجود التقدم

لما هدم الانسان اديانهُ القديمة بمباحثهِ المنطقية والعلمية ورأى ان النعيم الذي صورهُ

لهُ الانبياء خيال وضاع املهُ من آخرة يحاسب فيها ويكافأ استقط في يدهِ ويئس من الحياة حتى قال شوبنهور اننا لو عقلنا لانتحرنا

ولكن جاءنا بعد شوبنهور نيتشه وفجأنا من هذه اليأس . قال صحيح اننا نموت ولنحمل اجسامنا ولكن امامنا مجد عظيم . انظر كيف اخرجت الطبيعة من شبه القرد القبيح ذلك الانسان الجميل . فمجدنا اذن يجب ان يكون في اخراج ملاك من الانسان ولذلك يجب ان تكون قبلتنا ابن الانسان . فالانسان ليس تاج الشيء ويجب ان نفسح للطبيعة حتى تطبق نواميسها علينا . فانهُ من العار على الانسان ان يحسن نوع خرافهِ وطيورهِ ولا يحسن نوعهُ . واذا لم تكن الآداب واسطة لسعادة الشعب وجب تبديلها لانها جعلت آلة للوصول الى السعادة

فالانسان ورث من اصلهِ الحيواني كثيرًا من الصفات والاعضاء الذي لقف في سبيل سعادتهِ . فهو عرضة لالتهابات الزائدة التي ورثها من الحيوانات اسلافهِ ومكروبات السل والدفتيريا والطاعون والكوليرا وكثير غيرها تنغص عيشهُ . فهل يحسن بنا ان نترك لتربيتنا هذه الامراض من غير ان نعمل شيئًا لنجاتهم منها ؟ يظهر فينا من آن الى آن نابغة في الفكر فنبدهُ في حياتهِ ولكنهُ قد يموت بلا نسل امام اعيننا . اذا رأينا راعي الغنم ينتقي الكبش القوي لتكثير نسلهِ بين اطراف اعجبنا بفراستهِ واذا قام فينا رجل وطلب منا ان نعتني باولادنا كما نعتني باطراف مرآنا به وعددناهُ ناقصًا في آدابهِ كما عدَّ نيتشه . قال برنارد شو ما معناهُ :— اذا فرضنا ان قطيعًا من الغنم يحوي مئة نعجة ومائة كبش وان نصف هذه الكباش قوي والنصف الآخر ضعيف وان راعي هذا القطيع منع القوي من ان يستأثر بالنعاج وقسمها بين الاتقياء والضعاف على التساوي التناسل بالتساوي بين الجنسين الضعيف والقوي . فاذا تكون النتيجة بعد عشرين او ثلاثين جيلاً اضعاف القطيع او تقويتهُ ؟ فالقارئ يفهم اذن السر الظاهر في انتخاب اقوى الغنم للتناسل

ولكننا اذا علمنا ان قانون الانتخاب الذي يطبقهُ راعي الغنم في غنمهِ غير معمول بهِ في الانسان فهمنا مصير المجتمع الانساني . زد على هذا قانونًا طبيعيًا بيّنهُ سبنسر في اصول علم الحياة خلاصتهُ انهُ كلما علا الانسان في سلم الشيء قلت قوتهُ على اخلاف النسل ومعنى هذا ان العناصر العالية فينا اقل قدرة في تخليد جنسها من العناصر الواطئة ولعل هذا سبب قلة المواليد في الامم الراقية عنها في الامم المنحطة

لندن سلامه موسى

الثورة الادبية[1]

ايها السادة والسيدات

قبل ان ابدأ بالكلام اطلب منكم ألا اكلمكم هذه الليلة بالرموز والالغاز . بل في نيتي ان اجرد الاشياء من رموزها . واسميها باسمائها . فان ذكرت العقاب مثلاً لا تظنوني اشير الى شيء خفي تحتهُ او فوقهُ او وراءهُ او فيهِ . بل اريد العقاب بعينهِ . وان قلت هبت الشرقية . فلا تقولوا ما اجمل هذه الصور الخيالية . فاني اقصد النار الحقيقية . تلك التي لو مرت العقاب لوقعت فيها مشوية . قد حان لنا ان ندعو المعول معولاً على حد قول اخواننا الاميركيين . وبناء على ذلك سنبقى على الارض هذه الليلة بعيدين عن القمر والجوزاء والشعراء

لما وقفت امامكم في السنة الماضية شعرت بوجودي معكم في غور الحياة بل في اردن الموت . واما الآن فاراني والحمد لله اخاطبكم وانتم في سهول الصحة تستنشقون هواء الحرية فمن اردن الموت الى سهول الحياة وحقول الحرية — خطوة خطيرة . ولكنها صغيرة . هي خطوة الى الأمام . ولكنها لا تغني عن رحلتنا الطويلة شيئاً من الاقدام . فان حولنا وجهنا الى مشرق الشمس نرَ الجبال قائمة في طريقنا لا لتعترضنا في سيرنا بل لتشحذ منا الهمة وتيقظ فينا النشاط وكلما صعدنا في جبل نشاهد فوقنا روح ما تجسّد من الامال . وهي تدعونا الى ما فوقها من الجبال . فان الامة التي تستيقظ من سباتها وتنفض عنها غبار خمول الاجيال ينبغي لها ان تواصل السير بالسرى والاَّ تقهقرت نسقطت ثانية في الوهدة التي نهضت منها . ولا يخفى عليكم ان الطريق وعرة . والزاد قليل . والنفس مضناة من اقامتها طويلاً في الغور . والاحمال ثقيلة . والاعداء كثيرون . وسنتوفق ان شاء الله في سيرنا على رغم هذه الصعوبات والعقبات . اذا اتخذنا الشمس دليلنا . وزادنا الآداب والفنون

ان الشمس المشرقة علينا من المغرب اليوم هي والحق يقال شمسنا . هي شمس آدابنا . هي شمس اديانا . هي شمس مجدنا الغابر . فاذا نظرتم الى خارطة العالم رأيتم ان ثلاثاً من البلاد آخذة من مركز القلب . وهذه البلاد هي سوريا وفلسطين وجزيرة العرب وما بين النهرين . هذه البلاد وطننا . وهذا الوطن قلب العالم . وفي هذا القلب ظهرت الانبياء وفيهِ نشأت الاديان . ومن هذا القلب اشرقت على اوربا في القرون الوسطى شمس العلم

(١) خطبة القيت في حفلة جمعية بهذب الشبيبة السورية في نادي مدرسة الكلية في ١٣ ايار سنة ١٩٠٩

والادب والفلسفة فانارت ظلمات الاوروبيين وخرجت بهم من مهامه الجهل والتوحش الى واحات الرقي والعمران . اجل ان وطننا لقلب العالم . ولكن اوربا رأسهُ . وان كان القلب منشأ الخيال والنبوة فالرأس منشأ العلوم والفنون . على ان النور المنبثق من الرأس فقط هو كالنور الاصطناعي الذي يضيئون به المراسح في اوربا . هو نور بارد جامد خامد . وان لم يشترك مع نور القلب وحرارته فلا خير فيهِ للانسان مهما عظمت نتائجهُ في دوائر العمران . والفنون ان لم يكن الضمير اساسها والاخلاص لباسها . ونفع البشر غايتها الاولى فهي اليون لا فنون . فانها تخدر الحواس وتلهب بشيء من السموم ولكنها تقتل النفس وتفسد الحياة

ان سكان هذه البلاد التي هي قلب العالم لشبيهون بشجرة ذكرها النبي . شجرة مباركة لا غربيةٌ ولا شرقية . نحن اليوم واقفون بين مدنيتين متناقضتين معاديتين الواحدة للاخرى . مدنية جديدة ومدنية قديمة . مدنية اوربيةٌ ترفع اليوم اعلامها في البلاد كلها . ومدنية شرقية لم يزل لها المقام الرفيع بين فئة راقية من الادباء والفلاسفة في اوربا . فان كان هؤلاء الاوروبيون يجدون في مدنيتنا ما لا ينبغي تركهُ . ما لا يجوز اضمحلالهُ . فكم بالحري نحن . ولي كلام طويل في مائين بالمدنيتين اقول الوجيز منهُ الآن

لست بجاهل ما في مدنية اليوم لمن كثُر مالهُ فقط من دواعي الراحة في المعيشة البيتية الماديَّة والسهولة في التوصل والسفر والانتقال . ولا انكم تجهلون ما في التعادي والتكالب في سبيل هذه الاشياء من الشقاء ايضاً والبلاء . فان المدنية التي يدعى التكالب فيها نشاطاً . والخداع براعة . والقوة حقاً في عندي شر المدنيات . وهذه هي مدنية اوربا اليوم . مدنية كهرباء وبخار . مدنية تجارة وكسب واستغزار . مدنية حروب وفتوحات واستعمار . ليس فيها للضمير والذمة أثر من الآثار . مدنية جذورها حب الذات والاستئثار . وليها اليأس والانتحار . لا تقولوا بالبت . فان كلامي من الاخبار . لا من التجلات والاسفار . واما مدنية الشرق فلست بناكر انها مدنية خمول وجمود واستسلام . مدنية اصولها القضاء والقدر وليها محض اوهام . ولكن فيها من جميل العادات والتقاليد . من جميل العواطف والشعور . من شهامة النفس وكرم الاخلاق . من الانعطاف والوداد والوفاء ما تفتقر اليهِ المدنية الاوروبيَّة فهذه الخلال الشريفة تبعث الحرارة من الحقيقة الباردة القاسية فتسمي الحياة خفيفة الاحمال مرضية الامال . فاعلم عن انهُ لم يزل في هذه المدنية القديمة شيء من البساطة والوداعة ومن الضمير الحي مما يزيد النفس الشرقية جمالاً . والضمير الحي

يا سادتي هو مطلع العلوم والفنون والآداب ومن هذه كلها تتغذى المدنية الحقة

نحن اليوم واقفون بين هاتين المدنيتين · بين مدنية غازية متعسفة واخرى مدبرة · وينبغي ان لا نخضع على الاطلاق لهذا الفاتح القوي وان لا نترك ما في مدنيتنا من اكبر الروحي · ولا يخيفنا من استبداد هذه الفاتحة القاهرة ويحفظ لنا حسنات تلك المدبرة الا الآداب · ولا اريد بالآداب الكتب فقط بل اريد منها آداب النفس اولاً والاخلاق · ان الدين وهو ابو مدنية الشرق يرفض بتاتاً مدنية الغرب · والعلم المادي وهو آلة مدنية الغرب يرفض بتاتاً مدنية الشرق . فالدين والعلم في هذا الموقف متعارضان كل لقومه ولا يدفعنا الواحد منهما دون الاخر · واني لا اجد في كل قوى النفس والفكر وثمارها اصلح وانجح من الآداب تجمع بين الاثنين فينشأ عن ذلك مدنية جديدة لوائها الصنائع والفنون وشعارها الاخاء العام · واعلموا ان الفنون السامية الجميلة هي التي تتغذى من العلم والدين معاً · والامة التي تجعل مثل هذه الفنون اساس حياتها الاجتماعية هي ولا غرو مجد المستقبل وام الامم · واحب ان اشاهد على شطوط البحرين او في اودية الرافدين مثل هذه المدنية الجامعة بين محاسن المدنيتين · احب ان ارى في قلب العالم جمال روح العالم وكماله · احب ان ارى في بلاد الشام وبلاد العرب ثمار الانبياء وثمار العلماء على شجرة واحدة · احب ان نزرع بساتين هذه الارض المقدسة من تلك الشجرة المباركة التي جاء ذكرها في كتاب اخواننا المسلمين — شجرة لا شرقية ولا غربية · واحب ان ارى الشعراء والادباء بعيدين عن السياسة واوحالها منصرفين الى حراثة هذه البساتين الجميلة

سادتي · لا تظنوا ان الانقلاب السياسي يجدي الامة نفعاً ان لم يتبعهُ انقلاب ادبي · لا تظنوا ان في الحكومة الدستورية دواء شافياً لكل امراضنا . لا تظنوا ان الدستور وحدهُ يخلص الامة من الاخطار المحدقة بها والنامية في قلبها · وان الصحافة الحرة تقف دائماً من اجل الامة في وجه المشعوذين والمضللين والمفسدين · وهل الدستور والصحافة الحرة رقيقان من رق السحرة حتى اذا قلنا مثلاً — شولم صحافة ! صرنا شعباً حراً . شولم دستور ! صرنا امة راقية ؟ لا يا اخواني لا . فان طلبتم الحرية اطلبوا المعنوي منها قبل الحرفي الجوهري قبل السياسي · اطلبوا الحرية الروحية التي تحميها الآداب قبل الحرية المدنية التي تتاجر بها الاحزاب · وان خفي عليكم الفرق بين الاثنين اذكروا ان حرية الجسد لا تجدي المرء نفعاً اذا كانت النفس مقيدة · وان حرية الفكر والقول لا تغني فتيلاً اذا ظلت الروح اسيرة ما اعتادهُ الجسد من الراحة والترف والرخاء او الذلة وتدمير الوجه والمياه · اخواني · ان

الفرق بين الحرية الادبيَّة الروحية والحرية المدنيَّة المادية كالفرق بين حرية السياسي سيفي مراوغاتهِ وحرية البدوي في خيمتهِ او الرجل الصالح الجريء في معاملاتهِ. ان الحرية الحقيقية هي التي تنشأ في النفس لا التي يمنحها الملك الرعية. فان هذه تزعزعها الاهواء ويتاجر بها الزعماء وتقتلها رجعات التقهقر الشعواء وتلك كنز من كنوز النفس الخالدة. والذين لا يناضلون عن مثل هذه الحرية ولا يفادون من اجلها بشيء مما ألفوهُ من رخاء العيش او بشيء مما نالوهُ من المال او الرفعة والوجاهة بل يتنازلون عنها ويتاجرون بها كما لو كانت ثوبًا من الخام او سهمًا من اسهم البورص فما هم الاَّ قبور متحركة اذ ما الجسد الاَّ كالقبر للنفس باعت حريتها. ولكني خرجت عن الموضوع

قلت ان الآداب التي تجمع بين العلم والدين تكون قوام المدنية الجديدة التي يقترن فيها بين مدنية المغرب المادية ومدنية المشرق الروحيَّة. ولكن آدابنا لم تزل تحت سيطرة المحدثين والمتطهرين. وأنفسنا لم تزل في ربقة رجال الدين. وان لم تحفر من هذا الاستبداد الديني او بالحري الكهنوتي كما تحررنا من الاستبداد السياسي تظل آدابنا جامدة مبتذلة خاسئة. ونعود بعد حين الى ما كنا فيهِ من الفتور والخمول والانحطاط

خذوني بمجلسكم فاقص عليكم برجيز الكلام قصة الكهان. ونشوء العبادة في قلب الانسان. لنعد الى الاكواخ اذًا فهكي هنالك شيئًا من حكاية اجدادنا الاولين. من المعقولات التي لا تنفيها الالهيات او الالهيات التي لا تنفيها المعقولات — ان اول دعوة لباها الانسان دعوة بطنهِ وشهواتهِ. وماذا يهمنا وقد علمنا هل كان الانسان الاول يمشي على الاربع في تلك الايام او على الاثنتين. فان في العالم حتى اليوم كثيرًا من الحيوانات التي لا تمشي على الاربع! هذا الحيوان الناطق اذًا لم يكن يفهم في بادىء امرهِ الاَّ حديث معدتهِ وحديث كبدهِ. فكان لا يحسن غير الصيد والحرب والاكل والزواج. وبعد فترة من الزمن مقدارها الفان قرنًا او الفان عامًا — لا فرق عندي — بدأ يسمع صوتًا آخر من فوق المعدة والكبد. بدأ يشعر بدعوة القلب فصار يعطف قليلاً على اولادهِ ان لم نقل ايضًا على شريكتهِ بل جاريتهِ بل زوجتهِ. وعلى هذه الحال عاش قرونًا — وللعلماء ان يجمعوا الالوف منها فوق الالوف فان عددها لا يستحق تعب الفكر — عاش قرونًا وهو لا يرى ولا يسمع سوى ما زيَّنتهُ لهُ الغريزة وحدَّثتهُ عنهُ المعدة. اوَلا ترى ان بعض شعوب اليوم ناهيك عن القبائل المتوحشة لم تزل في هاتهِ الحالة المنحطة من الحياة. فان القوى المدركة لم تظهر فيهم بعد. وفي هذه الفترة الطويلة الامد نشأت على ما اظن العبادات

والمعبودات التي كانت في بدئ امرها مادية محضة . لان هذا الحيوان الناطق بل هذا العباد الغازي ما رأى في الاشياء الاَّ ما ظهر منها . ما رأى في الشمس الاَّ النور . ما رأى في الشجرة الاَّ ثمارها واغصانها وقشورها . ما رأى في النار سوى لهيبها ودخانها ورمادها . ما رأى في الحيوانات سوى ما بدا منها وما ظهر من حركاتها . في تلك الايام السعيدة كان كل حيوان ناطق يعبد طاغوتهُ على طريقتهِ الخاصة . بمقتضى شعورهِ وهواهُ . عملاً ببداهي القلب والغريزة . وبعد مضي احقاب من الزمن وهو في هذا الغور من الحب والعبادة ارتقى قليلاً الى ما فوق السهول وبدا يشغل المخيلة منهُ حتى صار يرى في الاشياء شبحًا تحت القشور وتحت الرماد . وبما انهُ لم يدرك اسرارها راح يملي نفسهُ بالاشعار ويملأها بالخيالات و بمقتضى هذا خلق كل انسان يمثل الخالق في الشكل الذي انطبع في قلبهِ اكثر من سواهُ ولا حاجة لتعداد هذه المعبودات كلها فمهما جئت اعدد منها لا ان اعددها لا تنفي ذلك من الوقت ما لا يتسع بهِ المقام . ولكن اذا ذكرنا منها الجعل والشمس فقط نكون قد اتينا على ذكر اولها وآخرها ادناها واعلاها . اصغرها واكبرها وحالة الفرد تجاه معبودهِ في تلك الايام هي اليوم حالة المجموع في شعوب الارض كلها . وما اوثق في الامم سوى الافراد

ولكن لنعد الى اصحاب الاكواخ . لما ظهر في الجماعات الناس ارقى نوعًا من اخوانهم وبدا لهم ان الانسان يرتاح الى كل غريب عجيب — والزنجي والباريزي اليوم سواء من هذا القبيل — لما علم هؤلاء الدهاة ما للخيال والوهم من السطوة على النفوس والقلوب قاموا ينشؤن من هذه العبادات ديانات رسمية . فبنوا الهياكل وحاكوا من اوهام الناس طقوسًا وطرائق واقاموا انفسهم رؤساء في الهيكل وبدأوا يتكهنون ويتألهون الله ! — بل يتألهون الطاغوت على الارض وهذا في رأيي اول ما كان من امر الوثنية والكهان . ولا تنسوا ان الوثنية لم تزل سائدة في بلادنا والكهان يتعاطون التجارة اليوم في دكانهم القديم فوجدت الديانة الرسمية وشيدت من اجلها الهياكل ونصبت الاصنام وقدمت الذبائح والقرابين وتسربت الى بيت المكهن العطايا والاموال . وذلك قبل ان ظهر في الارض الانبياء الذين هم اعداء الملوك والكهان . فاذكروا هذا ولا تنسوهُ . ان الانبياء لاعداء الظلم في الملك والرياسة في الهيكل والفساد في الجماعات

واما الكهان يا سادتي فهم اول من عاثوا في الارض فسادًا . هم اول من قيدوا النفس البشرية واستعبدوها . هم اول من تاجروا بالخداع والتغرير . هم اول من استولوا على الملوك والامراء وايدوا سلطانهم بانباء مكذوبة من السماء . والكهان اليوم هم اعداء الحرية الادبية

الروحية . ولا يغرنكم ما بدا منهم من الارتياح الى هذه الحرية التي منحنا اياها الدستور . فان العثمان لم يزل في ايديهم والارواح لم تزل في ربقتهم . الكهان هم اعداء الآداب الراقية . اعداء اشتياقات الانفس السامية الى الكمالات الفكرية . على الكهان وآلهة الكهان امتشق نبيُّ العرب حسامهُ في الكعبة وصب اشياء نار غضبهِ في اورشليم . على الكهان واصنامهم وتزاويقهم وملابسهم ورجاساتهم انقضت صواعق حزقيال في اسرائيل ودمدت رعود دانيال في بابل . على تغريرات الكهان وخزعبلات العبادات قام عبد الوهاب سيف نجد ولوثروس في وتنبورغ وجون نكس في انكلترا وغيرهم في الارض كثيرون . فما ضرنا لو استغنينا عن المكهنين المدلسين وتفلتنا من ربقتهم واعتصمنا بالله وبدين الله وبانبياء الله ؟ تدبروا كلامي ولا تسيئوا مرادي . إني احترم العاطفة الدينية التي تكون فطرية في الانسان ولكني لا اجد في خزعبلات هؤلاء الناس وفي تنطعهم — وقد قيل هلك المتنطعون — ما يساوي ذرة من نفس امرىء راقية . ولكن اذا لبس الكاهن لغايته ثوباً من التحرير والخداع ولبس المتعبدون ثوباً من الجهل والخرافة فذلك لان الانسان لا يسير في الارض عريانا . ينبغي لهُ ان يستر سوأتهُ ولو بسوءة اسوأ منها . وقد قيل — ان من آفات الدين فسق المتكهنين وجهل المتعبدين

ايها السادة . ان المرء يحتاج دائماً الى من يذكرهُ بانهُ من ابناء اليوم لا من بقايا امس . يحتاج دائماً الى من يربط الريقة في ربلتهِ . والقيود على روحهِ . يحتاج دائماً الى من يهمس في اذنهِ او يصرخ في وجههِ — انك انسان حر لا حلية في جيب هذا او ذاك يتصرف بها ساعة شاء كيف شاء . نيا ايها الشرقيون . ان تحت رعوكم مرجات عظيمات لو تلاعبتم العاصفة ولو مرة في الحياة فان مثل هذه النهضات الروحية . مثل هذه الثورات الادبية وان كانت عاقبتها اليوم غير مرضية ، فهي غداً منعشة لنفس محيية ، مثل هذه النهضات تعود المرء الفكرة . وتروض منهُ الارادة . وتكسبهُ المنعة والاستقلال . ان للماضي اثراً قوياً في العروق . ان فتور الشرقي نتي الدم . فان كان لا يمرن نفسهُ وارادتهُ على ما يحرك الدم — دم الجسد ودم الروح معاً — يظل ما دام حياً كطلل من اطلال الزمان . ولا ينهض الشرقيين من هذا الفور المظلم سوى الثورة الادبية التي يتبعها انقلاب عظيم في الاخلاق

ها اننا صرنا امة حرة ذات حكومة دستورية . ولكن ذلك لا ينافي ما في العائلة وما في الطائفة وما في المدرسة من الجور والحيف والاستبداد . من العماوة والجهل والفساد . ذلك

لا ينافي ما في اصطلاحاتنا الاجتماعيَّة — وأكثرها من فضول التمدن الافرنجي — من الضيم والشقاء ما لا يعانيهُ ظلم اظلم حكومة مطلقة . ألا ترون ان التاجر لم يزل تحت اموالهِ وصكوكهِ . والصانع لم يزل اسير هذا العبد سيدهِ . والتلميذ في المدرسة اسير جهل استاذهِ . والاستاذ اسير استبداد رئيسهِ . ألا ترون ان المصلح السياسي موهونة حريتهُ تحت حزبهِ . والكاتب حريتهُ عند قرائهِ او في قبضة رزقهِ . والعصاني حريتهُ في جلدهِ واستقلالهُ في كيسهِ — لا تؤاخذوني فقد وعدتكم في البداية بان اسمي المعول معولاً والعقاب عقاباً — ألا ترون ان المرأة في البيت مقيدة بارادة زوجها عادلة كانت او جائرة . وان الاب لم يزل يعتقد ان اصول التربية في تأييد سلطتهِ . والمأمور في الحكومة يتألم من ضغط ذاك الجالس فوق رأسهِ . والجندي من استئثار ضباطهِ . والكاهن من ظلم اسقفهِ . والاسقف من استبداد بطريقهِ . والراهب يحترق في نذرهِ ويئن من عنف رئيسهِ . والفلاح يتأوه من جور امرائهِ بل يصرخ في بعض الاماكن تحت سوطهِ . شولم صحافة ! اصرنا شعباً حرًّا ؟ شولم دستور ! أصرنا امة راقية ؟ اي اخواني . اسمعوا التقية تهمس في اذن هذا الكاهن — حافظ على مركزك . اسمعوا الخوف يقول لذاك الصحافي — حافظ على مصلحتك . اسمعوا الذلة ترشد اخانا الفلاح قائلة — اتقِ بطش سيدك . اسمعوا الجبانة تهمس في قلب الراهب — اتقِ الفضيحة وحافظ على ثوبك . فالتقية والخوف والذلة والجبانة هي اعداء حرية الانسان الحقيقية وان لم يحرر نفسهُ منها بنفسهِ فمئة قانون ومئة دستور لا تحررهُ . واعلموا ان الارادة المستولية على ارواحنا لا يخلصنا من ظلمها الاَّ ارادة اشد وأقوى منها

لذلك ادعوكم الى ثورة ادبيَّة اناشدكم بالحرية التي بعثت من قبور ماضينا حياة جديدة ألاَّ تدعوا الخوف والتقية والذلة والجبن تستولي عليكم متى شعرتم بيد تضغط جورًا على انفسكم متى رأيتم حريتكم الادبيَّة مقيدة امامكم

ارفعوا اعلام الآداب في البلاد . شيدوا صروح التهذيب اسسوا معاهد الفنون فان الآداب والتهذيب والفنون هي القوى الادبية الروحية التي يتألف فيها العلم والدين ويقترن فيها بين بديهيات الانبياء ونظريات العلماء وتمتزج فيها روح الجمال وروح الحقيقة وتنبثق منها اشعة السلم والحب والاخاء . هي هي القوى الادبية الروحية التي يتوقف عليها تحرير الانسان وتحرير الامم والشعوب . لتعزز الآداب اذًا والفنون لتؤيد بالقول والعمل التعاليم السامية لتنصر المبادىء الحرة السديدة ومتى رأينا ان الحزب الذي ننتمي اليهِ او الجريدة التي نكتب فيها او الطائفة التي نحن منها تحاول تقييد افكارنا او الضغط على عقولنا او المتاجرة

باروا حذا لعلينا ان نخرج منها سريعاً وننفض عن نعالنا غبارها ان شرف المرء في حرية عقله ونفسه وشرف الاحزاب في حرية رجالها وشرف الطوائف في حرية ابنائها

اخواني ما الناس الاَّ امة واحدة وستجمعهم في المستقبل ان شاء الله جامعة واحدة هي جامعة الآداب والفنون ودين واحد شامل ترامهُ الايربة الالمية والاخاء العام

امين ريحاني

باب المراسلة والمناظرة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب فتحةً ترغيباً في المعارف وافهاماً للمبهم وتحبيذاً للاذهان . ولكنَّ التهيدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فحص براءة كلهِ . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج رعدمهِ ما يأتي : (١) المناظر والمخبر متشاركان من اصل واحد فمناظرك اظهرك (٢) الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف الغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستخار على المطوَّلة

ميكروبات الامراض والمناعة

سيدي الفاضلين

ارى فيلسوفنا الكبير الدكتور شميل لاهياً هذه الايام بالحيوانات الكبيرة وسياستها وقد ترك المكروبات وشأنها فاستأذنهُ في الرد على ما اعترض عليهِ بهِ الدكتور توليق جهلان فاذن لي لكني اخشى ان لا احسن في ذلك لينبري للرد على الاثنين واكون قد جنيت على نفسي والعياذ بالله من قلمهِ وتلك المراوة الفخمة التي يتوكأ عليها

قال الدكتور شميل " اذا علمنا ان الشفاء من المرض والمناعة عليهِ سيان في طبيعتهما مهما كانت اقوال العلماء في تعليلها ولعلها نوع من التكافوء والائتلاف سهل علينا ان نفهم لماذا كانت المناعة ضعيفة قصيرة المدة في امراض الرتبة الاولى ثابتة طويلة المدة في امراض الرتبة الثانية ممتنعة (او هي غلبة المرض في هذا التنازع بينهُ وبين الجسم) في امراض الرتبة الثالثة " والذي قدرت ان افهمهُ من كلامهِ هذا انهُ لا يتكر اقوال العلماء وتعليلهم عن سير المرض واسباب المناعة سواء كانت تلك الاسباب غلبة الجسم على المرض او قيام مد

حصين في الجسم يمنع نموّ هذه الاحياء الدنيا فيهِ مرةً اخرى . فرأيهُ لا يثبت ولا ينفي تلك الاقوال بل على فرض صحة القول بقيام هذا السد المنيع في الجسم او الدم فهو مما يرجح رأيهُ فلو قلنا مثلاً ان المصاب بالجدري يقوم في جسمهِ او دمهِ ما يمنع نموّ الاحياء المسببة للجدري مرةً اخرى في ذلك الجسم فهذا السدّ لم يكن ناتجاً الاَّ عن هذه الاحياء بعينها الكائنة في نوعيتها فكلما قويت هذه النوعية كان هذا السدّ اثبت في نوعيتهِ واشد في مقاومتهِ لهذه الاحياء بعينها والدليل على ذلك الفرق ما بين التلقيح بالجدري الحقيقي والتلقيح بالجدري البقري فالمناعة اشد واطول مدةً في الحالة الاولى واضعف واقصر مدةً في الحالة الثانية وذلك لان الجدري الحقيقي اثبت في النوعية من الجدري البقري وما هذا الاخير الاَّ تباين من الاول واضعف منهُ في النوعية ولا ارى ان هذا الامر اقرب الى الدلالة على ضعف المكروب وانحطاطهِ في النوعية كما قال الدكتور جهلان بل عكس ذلك فالاحياء الكائنة في نوعيتها تسبب في الجسم سدًّا ثابتاً في نوعيتهِ يقوى على هذه الاحياء بعينها اذا هي دخلت ذلك الجسم مرةً اخرى

ثم ان مقابلة الدكتور جهلان بين الدفتيريا والكلب من الجهة الواحدة والسرطان والتدرّن من الجهة الثانية لا اراهُ في محلهِ فالدفتيريا لم تنتقل بالمصل من الرتبة الثالثة الى الاولى بل كانت تشفى احياناً وتعود الى المريض اي لم يكن لها الاَّ ساعة خفيفة قد لا تكون شيئاً يذكر فهي لم تكن من امراض الرتبة الثالثة وان انتهت بالموت في غالب الاحيان وهي والكلب من الامراض الحادّة ولا وقت للجسم ليتقوى فيهِ عليهما لسرعتهما وشدة وطأتهما والكلب لا يعلم بحادثة واحدة حقيقية شفيت منهُ لا قبل اكتشاف علاج باستور لهُ ولا بعدهُ ولو فرضنا ان حادثة واحدة شفيت لبقي المصاب بعدها في اشد المناعة اذ يكون قد بقي في جسمهِ هذا السدّ المنيع الناتج عن هذه الاحياء المسببة للكلب الكائنة في نوعيتها فيكون كأنهُ عولج بهذا العلاج الواقي الذي اكتشفهُ باستور فهذا العلاج واقٍ وليس شافياً اي لا يشفي بعد ظهور الاعراض واستعمالهُ قبل ظهور المرض ولم ينتقل بهِ الداء من الرتبة الثالثة الى الاولى بل هو باقٍ في رتبتهِ الثانية اي ان هذا العلاج يقي المصاب ولا يعرضهُ لهُ كما لو انتقل الداء الى الرتبة الاولى . ولا وجه للمقابلة بين الكلب والتدرّن من هذا القبيل لاسباب اخرى لا لزوم لاطالة البحث فيها

بقي امرٌ آخر اشارهُ صدر سهواً من الدكتور جهلان وهو قولهُ " قد ثبت ان من المكروبات التي يقول الدكتور شميل انها من رتبة النباتات ما هو ارقى تركيباً من

باشلوس كوخ نفسه". ولعلهُ يشير بذلك الى الاحياء المسببة للامراض الهوائية فارتقاؤها في التركيب لا يمنع كونها من النباتيات وهذا الحمام الاهلي كله تباينات وهو ارقى كثيرًا من باشلوس كوخ ولو ترك لنفسه لعاد الى اصله في النوعية وهو الحمام الرصاصي اللون الذي نراهُ في ابراج صعيد مصر

هذا ما عنَّ لي ذكرهُ واظن فيهِ ما يكفي لايضاح رأي الدكتور شميل واني لا اجزم بصحتهِ لكني اراهُ معقولاً لا ينافي ما تقدمهُ من آراء المناعة وسير الامراض بل يزيدها وضوحاً

الدكتور امين المعلوف

الشفاعي والشفهي

حضرة محرري مجلة المقتطف الغراء المحترمين

بعد تقديم واجب الاحترام اعرض اني قد قرأت في العدد الخامس من مجلتكم الغراء سنة ١٩٠٩ في صحيفة ٥٠٥ مقالة على كتاب فك التقليد ورأيت فيها كلمة (شفاعي). والمعلوم ان القاعدة العامة للنسبة هي : اذا أردت النسبة الى الجمع المكسر رددهُ الى مفردهِ نحو مساجد مسجدي الا اذا كان الجمع جرى مجرى العلم نحو أنصار أنصاري . ويؤخذ من ذلك ان الصواب شفهي نسبةً الى شفة المفرد . فارجوكم الافادة عن هذه المسألة ودمتم

جورج انطونيوس

طالب في كلية نيكشوريا

[المقتطف] اذا اريد النسبة الى الشفة او الشفتين او الشفاء التي هي جمع الشفة فالنسبة شفوي او شفهي فيقال الحروف الشفوية او الشفهية اي التي تلفظ من الشفتين . واذا اريد النسبة الى الشفاء الذي هو مصدر شافه اي خاطب فاهً لفم فالنسبة شفاهي فيقال الامتحان الشفاهي اي الذي يكون بالمشافهة لا بالكتابة . وكلمة شفاعي الواردة في الصحيفة ٥٠٦ من المقتطف نقلاً عن كتاب "فك التقليد" هي من هذا القبيل اي هي من النسبة الى الشفاء اي المشافهة لا من النسبة الى الشفة ولا الى الشفاء التي هي جمع شفة . ونرى احياناً نظارة المعارف المصرية تقسم الامتحان الى قسمين" شفهي وخطي" فكلمة شفهي منا غلط والصواب شفاهي اي مشافهة واما النسبة الى الشفة والشفتين والشفاء فتكون في مثل الحروف الشفوية او الشفهية كالباء والفاء اي التي تلفظ من الشفتين والسرطان الشفوي اي الذي يصيب الشفتين ولا اشكال في ذلك

البلاد العربية

اني احسب قرّاء المقتطف الكرام من لباب المتكلمين بالعربية واكثرهم علماً واوسعهم اطلاعاً واشدهم غيرةً على خير بلادهم فاستفتيهم في امر له الشأن الاكبر في مستقبل البلاد العربيّة واعني بالبلاد العربية كل الولايات العثمانية التي يتكلم سكانها باللسان العربي وهذه اسماؤها ومساحاتها وعدد سكانها حسب آخر تقدير لها وهو تقدير سنة ١٨٩٦

	المساحة	عدد السكان
ولاية حلب	٣٠٠٠٠	٩٩٥٨٠٠
« بيروت	١١٧٧٠	٥٣٣٦٠٠
متصرفية لبنان	٢٥١٠	٣٩٩٥٠٠
« القدس	٨٢٣٠	٣٣٣٠٠٠
ولاية سورية	٢٣٨٠٠	٩٥٥٧٠٠
متصرفية الزور	٣٢٨٣٠	١٠٠٠٠٠
ولاية بغداد	٥٤٤٨٠	٨٥٠٠٠٠
« الموصل	٣٩٢٠٠	٣٠٠٠٠٠
ولاية البصرة	١٦٤٧٩	٢٠٠٠٠٠
« الحجاز	٩٦٥٣٠	٣٠٠٠٠٠
« اليمن	٧٧١٧٠	٧٥٠٠٠٠
« طرابلس الغرب	٣٩٧٠٠٠	١٠٠٠٠٠٠
والجملة	٧٨٠٠٨٠	٦٧١٧٩٠٠

فهذه البلدان مساحتها مما اكثر من ٧٨٠ الف ميل مربع اي نحو اربعة اضعاف بلاد فرنسا وعدد سكانها اكثر من ستة ملايين وسبع مئة الف نفس ولا بدّ من ان يكونوا قد زادوا نحو ٥ في المئة منذ ثلاث عشرة سنة الى الآن فيكون عددهم الآن اكثر من سبعة ملايين وسبع مئة الف نفس فهم مثل سكان مملكة من ممالك اوربا الصغيرة وتجمعهم كلهم جامعة اللغة

ولا يخفى ان الممالك العثمانية بدأت في دور الانتقال من الحكم الاستبدادي المقيد بارادة السلطان وبعض القوانين الى الحكم الدستوري المقيد بارادة الشعب والشعب ينتخب

منهُ اناساً يرسلهم الى مجلس المبعوثان ينوبون عنهُ ويظهرون فيهِ ارادة منتخبيهم ونجاح هؤلاء النواب في اظهار آرائهم ومطالبهم وانتاع النير بها متوقف اكثرهُ على حسن القائهم باللغة التركية التي هي لغة المجلس . والذين يحسنون التركية ويحسنون الالقاء بها من ابناء الولايات العربيَّة قليلون جدًّا فحصر الانتخاب فيهم مبطل لاول مزية من مزايا الحكومة الدستوريَّة وهي ان يكون الشعب حرًّا في انتخاب من يريد ان ينوب عنهُ . وستبقى هذه المزية معدومة الى ان تشيع اللغة التركية في الولايات العربيَّة ويتعلمها الجميع على السواء وهذا امر قد لا يتم في عشرين سنة او ثلاثين او لا يتم ابدًا

فما دامت لغة مجلس المبعوثان التركية فلا يمكن للولايات العربيَّة ان تشترك فيهِ اشتراكاً فعليًّا صحيحاً ولا يمكن ان تكون حكومتها دستوريَّة حسب مفهوم الكلمة بل يبقى نوابها اناساً مخصوصين من الذين تيسَّر لهم اتقان اللغة التركية هذا اذا وجد فيها من اتقن هذه اللغة حتى صار قوي الحجة فيها مالكاً ناصية التعابير المطابقيَّة التي لها الوقع العظيم في النفوس . وليس احد من النواب الحاليين عن الولايات العربيَّة بالغًا هذه الدرجة مثل اخوانهم نواب الترك والروم والارمن والالبان وعليهِ فسبقى الولايات العربيَّة محرومة من اول حق من حقوق الحكومة الدستوريَّة ولو صارت الحكومة دستوريَّة فعلاً

هذا هو الامر الاول والامر الثاني ان الحكام والمأمورين لا يتصلون بالشعب الاتصال الواجب ولا يتصل الشعب بهم الاَّ اذا عرفوا لغة الشعب تمام المعرفة . فلا يصلح تعيين المأمورين الاتراك والارمن والالبان واليونان في الولايات العربيَّة ولا يصلح تعيين المأمورين من ابناء العربيَّة في الولايات التركية . واذا وضع هذا الفصل بين المأمورين في الولايات امتنعت وحدة السلطنة وتعذَّرت مخاطبة المراجع العليا

وما يقال عن المأمورين يقال عن الجنود فانهُ ينتظر ان يصير عدد الضباط في الجيش العثماني من الولايات العربية على نسبة عدد سكانها اي نحو ثلث الضباط كلهم من الاعلام رتبةً الى ادناهم والاَّ فلا مساواة ولا دستور . ولا يُنتظر ان ينتقل الضباط الاتراك بقيادة الجيش التركي والضباط العرب بقيادة الجيش العربي في الولاية الواحدة ولا سبيل للاشتراك الفعلي التام الاَّ اذا توحدت اللغة وهذا امر بعيد الوقوع كما تقدم

فلهذه الاسباب كلها ومرجعها اللغة ارى انهُ يحسن ان تنقسم السلطنة السنية اداريًّا الى قسمين قسم تجري اشغال حكومتهِ كلها باللغة العربية وهو الولايات العربية المذكورة آنفاً وقسم تجري اشغال حكومتهِ كلها باللغة التركية وهو سائر الولايات العثمانية لان اللغة التركية

شائعة فيها كلها ويكون لكل قسم مجلس نواب خاص الواحد تجري مباحثهُ باللغة العربية والثاني باللغة التركية ويكون للسلطنة كلها مجلس اعلى ولا بأس بجعل مداولاتهِ باللغة التركية مع اباحة اللغة العربية ولو يترجم ما يقال فيها الى التركية

ولا انكر انهُ لو كانت البلاد كلها تركية او عربية اي لو كان لها لغة واحدة وحكومة واحدة ومجلس واحد لكان ذلك اصلح لها وكانت بهِ اقوى ممَّا لو كانت لها ادارتان وحكومتان وكان لها مجلسا نواب ولكنني ارى ان وجود الادارتين والمجلسين اصلح للبلاد واقرب الى العدل من وجود ادارة واحدة ومجلس واحد وثلث السكان غير مشترك فعلاً في حكومة بلادهِ كما في الحال الآن وقد اكون مخطئاً في رأيي هذا

وارجو ان يطرح موضوعي على بساط البحث وان تتناولهُ اقلام الكتَّاب الذين يغارون على بلادهم وشعبهم. ولم ادخل القطر المصري بين الولايات العربية وله الحق الاول بالدخول فيها لانني ارى من اخواننا الانراك الميل الى عدم التعرُّض لهُ اما لا يغضبوا الدولة الانكليزيَّة

باحث عثماني

وداع وعتاب

للسلطان السابق عبد الحميد

الله اكبر فالظُّلاَّم قد عملوا ... لاي منقلب ينقضي الأولى ظلموا

لقد هوى اليوم صرح الجور وانقضت ... اركانهُ وتولَّت اهلهُ النقمُ

وتمحص الحق في عزٍّ وفي ظفرٍ ... يحميهُ خادماهُ السيفُ والقلمُ

ثارت لهُ عصبة كانت مشرَّدةً ... وقد تهدَّدها الإرهاق والعدمُ

من كل اروع في حيزومهِ حنقٌ ... في نفسهِ عزَّةٌ في انفهِ شممُ

عبد الحميد استمع منهم مناقشةً ... فطالما صبروا بل طالما كظموا

غادرت امَّتك المنكود طالعها ... تنفضُّ مثلتها ان عدَّت الاممُ

اطلقت فيها صبوف الغادرين وقد ... كانت بحبلك بعد الله تعتصمُ

الله الله يا راعي القطيع فقد ... لاقت مصارعها في رعيك الغنمُ

حمَّلتنا ما تنوء الراسيات بهِ ... كيف الضعيف وانت الخصم والحكمُ

فكم شكونا ولم تسمع شكايتنا ... وكم دعونا وحظُّ الدعوة الصممُ

ولي نعمتنا قل لي اما بطلت ... تلك الولاية لما ضاعت النعمُ
فلو رفقت امير المؤمنين بنا ... ما كان انفي صمصامٌ وسال دمُ
يا خادم الحرمين اعدل فهل أمنت ... في ظلك الكعبة الزهراء والحرمُ
ام حجّ حجاج بيت الله في دعةٍ ... من غير ان يرهقوا فيهِ ويهتضموا
وليتهُ عاشماً (١) لم يرعَ حرمة من ... في ذمّة الله ضاعت عندهُ الذممُ
كم استجاروا عليهِ فازدريت بهم ... ان لم تكن ناقماً فالله منتقمُ
ربّ الهلال اجب هل كنت تمنحهُ ... ما اعتاد من نصرات ذلك العلمُ
ماذا فعلت باحرار البلاد وما ... جنوا على الدين والدنيا وما اجترموا
حتى قسمتهمُ شطرين فازدحمت ... على جسومهم الحيتان والرخمُ
ويا سلالة عثمانٍ اما اتصلت ... منهُ اليك الصفات الغرُّ والشيمُ
اين الفطاريف ارباب العزائم من ... اسلافك الغيرِ من بالعدل قد عظموا
شادوا لك العزّة القعساء من قدمٍ ... فجئت تهدمُ ما شادوا وما رسموا
كانت لهم دولة بالسيف ناهضة ... وفي زمانك لا سيف ولا قلمُ
حصدت ما زرعوا فرّقت ما جمعوا ... خفضت ما رفعوا بعثرت ما نظموا
حجّاج عصرك بل تولي العقاب بلا ... ذنبٍ ومزّاك صفّ الجمعُ والنهمُ
خليفة الله قد خالفت ما أمرت ... بهِ الشريعة والتنزيلُ والكلمُ
دمرت بيتك يا هذا فانت اذن ... عدوّ نفسك او قد سكّ الهدمُ
حشدت زمرة غدرٍ طالما سفكوا ... واستنزفوا ثمّ لا قيدوا ولا غرموا
المخلصون تولّوا شكك وانهزموا ... والخائنون على ابوابك ازدحموا
جبت آلك حتى بعضهم هلكوا ... كانما لم تكن قربى ولا رحمُ
حاولت اطفاء نور الحق وهو لظىً ... تثور افواههُ ان سدّ منهُ فمُ
ظال الزمان على جورٍ لعاجلهُ ... وعيل صبر الورى واستحوذ السأمُ
ضيّقت دارهم في الارض فاتسعت ... ولمرُّ مستبسلٌ ان عضهُ الألمُ
قد جمّع الظلمُ منهم كل مفترقٍ ... وشدّ ما استتروا في الامر واكتتموا
وكلما نام عنهم رعطك اليقظوا ... يدبرون وان لاحظتهم جثموا
وعندما اكتملت للوثب عدّتهم ... توكلوا واستخاروا بالقسيّ عزموا

(١) راتب باشا

سأُوا عليك سيوف العدل مرهفةً ... كانها شهبٌ في الافقِ او رُجُمُ
شقوا بها في جلابيب الشجي شفقاً ... بشّت لهُ الارضُ واخجلت بهِ الظلمُ
وطالبوك بحق كنت هاضمهُ ... وحاكموك الى النّار واختصموا
فادوا بارواحهم حبّاً بانتهم ... فلتهنِ تلك السجايا الغرُّ والشيمُ
قد كان ما كان والرحمان ناصرنا ... فالعدل منتصر والجور منهزمُ
دبّرت لفتنة سوء تستعيد بها ... من مجدك الباطل الغرّار ما هدموا
مجد كبير طوتهُ ظلمة كثفت ... ثمّ انجلت فاذا ما تحتها رَمَمُ
كرّوا بعزمة حرّ جاء منتصراً ... لنفسهِ واستباحوا منك ما استرموا
فانزلوك عن العرش الرفيع وما ... كانوا يريدونها لكنهم رُغموا
تأبى الشريعة ان تبقيك حافظها ... وانت بالغدرِ والإغواء متّهمُ
هبطت من قمة الامجاد منحدراً ... كصخرةٍ حطّها من شاهقٍ عرمُ
ففي هبوطك عاد الملك مرتفعاً ... وفي تولّيك كل الخلق قد سلموا
كانت بانباك الاقدار عابسةً ... فاصبحت بعد ما ادبرتَ تبتسمُ

دمشق ٥ مايو سنة ١٩٠٩ (ف)

باب الزراعة

الزراعة المصرية منذ مئة عام

(١٤)

زراعة قصب السكّر

تصلح اراضي مصر جميعاً لزراعة قصب السكّر. غير ان ما تقتضيهِ زراعتهُ من كثرة العناية والاهتمام يحصرها في ايدي فئة صغيرة من الاهالي أخصّهم مقيم في نواحي فرشوط واخميم من مديرية جرجا حيث مركز هذه الزراعة. أمّا ما يزرع من قصب السكّر في غير هذه المديرية فلا يستخرج منهُ السكر بل يباع في الاسواق أخضر او يطحن يصير معمًّا. وتقوم زراعتهُ بحرث الارض اولاً في شهر مارس اربع مرّاتٍ او خمساً حرثاً متقاطعاً

وبعد ذلك يخطون فيها الثلاماً متحاذية يلقون فيها قطعاً من قصب السكر الاخضر يغطونها بطبقة من التراب على علو عقدتين او ثلاثاً ثم يسقونها بالساقي بمعدل ساقية مجهزة باثني عشر ثوراً لكل ستة افدنة . لانهُ يلزم ثوران لسقي الفدان . ويستمر السقي بلا انقطاع احد عشر شهراً الى حين الجني

وعندما يدرك القصب يقطعونهُ قرب الارض فيستخدمون ٤ فعلة لقطع مزروعات الفدان في اسبوع

وتفرخ اصول القصب التي تبقى في الارض فيأخذون منها " نقاوي " السنة التالية

وتبلغ غلة الفدان ٢٠ قنطاراً سكراً و١٢ قنطاراً من عسل السكر . ويباع قنطار السكر الذي وزنهُ ١٠٥ اوطال بين ٣٢ فرنكاً و٣٨ فرنكاً وقنطار العسل بثمنية فرنكات

اما كيفية صنع السكر فسيأتي وصفها في الكلام عن الصنائع

(١٥)

زراعة النيلة

أكثر ما يزرع النيلة في الوجه القبلي . ليزرعوهُ هناك على آثار انحسار مياه الفيضان ولا يعود من ثمَّ داعٍ للاهتمام بهِ . وقد يزرعونهُ في الربيع فتقتضي الحال اعداد الارض بالحرث مرةً او مرتين قبل زرعهِ

ويزرعون في القيراطين من الفدان نحو من الاردب بزراً (نقاوي) وبعد ٤٠ او ٥٠ يوماً يزعو النبات ويشتد فيقتلعونهُ ويغرسونهُ في أجود ارض بعد اعدادها بالحراثة المتقاطعة مرتين في حفر يبعد بعضها عن بعض ثماني بوصات وعمقها ثماني بوصات ايضاً ويجزئونها على مقربة من الارض بعد شهرين ونصف من غرسها فتفرخ فيعيدون جزها بعد إفراخها بثلاثين يوماً

وبعد قطع سوق النبات ينزعون عنها الورق ويعرضونهُ للجفاف في الشمس ثمانية ايام ثم يحفظونهُ زمناً مغطىً بالحصر وفي النهاية يزمونهُ رزماً فيصير صالحاً للبيع

وفي جميع بلاد الريف في الصعيد لا يستعملون نيلةً غيرهُ

ويجنون من الجزَّة الاولى نحو ٢٠ رزمة جافة من كل فدان تزن الواحدة منها نحو ٤٠ رطلاً ومن الجزَّة الثانية نحو عشر رزم . ويباع القنطار من الاولى بنحو عشرة فرنكات ومن الثانية بنحو سبعة فرنكات

(١٦)

زراعة الورد

تجارة ماء الورد قاصرة على مديرية الفيوم التي يرد منها كل ما يستعمل من ماء الورد في القطر المصري

واكثر ما يزرع من الورد في ضواحي مدينة الفيوم حيث يستخرجون ماءهُ . فيعدّون الارض في الشتاء بالحرث عدّة مرات ثم يقسمونها الى مربعات صغيرة يزرعون فيها فسائل الورد على ابعاد نصف متر بعضها عن بعض ويسقونها مرة كل ١٥ يوماً على مدار السنة

ويجنون الزهر اثناء شهر ابريل واوائل مايو في كل صباح . ويستقطرونهُ بالانبيق في مكانهِ . والغالب انهم يجنون الورد في السنة الثانية من غرسهِ حتى السنة الخامسة وبعد ذلك يجدّدون غرسهُ

ومعدل جنى الفدان ثمانية قناطير زهراً يباع القنطار منهُ بين ٢٠ فرنكاً الى ٣٦ فرنكاً

(١٧)

زراعة النخل

النخل من اهم اشجار القطر المصري . وقد زراعتهُ من اصوان الى شاطىء البحر المتوسط . غير انهُ يكثر على الخصوص في ضواحي مدينة منفيس القديمة (جهات البدرشين وميت رهينة) التي تموّلت الى غابة منهُ . وفي شرقي بلبيس حيث بلدة الصالحية . وفي اللسان الفاصل بين بحيرة البرلّس والبحر المتوسط

ويزرعون نوى النخل إمّا في مزارع خاصة ينقلون منها "شتلهُ" بعد بضعة سنين الى حيث يراد غرسهُ واما في اماكن يتخيرونها لزرعهِ نهائيًّا . وفي كلتا الحالتين يزرعون النوى في حفر عمقها نحو ١٥ سنتيمترًا يروونها بالماء فتفرخ بعد ٤٠ يوماً او ٥٠

وعند ما تبلغ شجرتهُ سنتها الخامسة يشرعون في قطع سعفها ويكررون ذلك سنةً فسنةً ويبتدئ جني النخل المغروس غرساً بعد ٦ سنوات الى ٨ من غرسهِ وجني المزروع زرعاً بعد نحو ١٠ سنين من زرعهِ

غير انهُ لا بد من تلقيح اعذاق اناث شجر النخل سنويًّا فيضعون شيئاً من زهر أثناء ذكورهِ بين زهر اقناء اناثهِ فيتلقّح ويثمر . ومعدل ربح النخلة سنويًّا في الصعيد بين اربعة فرنكات وسبعة فرنكات . ومعدل عمرها بين ٨٠ سنة و ١٠٠ ولكني لست واثقاً من صحة ذلك لعلي ان معظم من شاهدتهم فيهِ يجهلون ازمنة مواليدهم

وبباع البلح طريًّا ومجففًا وعجوةً وربيبًا في الوجه البحري يماثل ربيعهُ في العسيد بوجه التقريب . ويُقبل الاهالي على زراعة النخل اولاً لكثرة فوائده اذ انهم يصنعون منهُ مشروبًا متعددة من العجوة والمكرات والسكرات وينتفعون بأخشابهِ والياقهِ في البناء والنجارة وصناعة الحبال وخلافها . وثانيًا لان الحكومة تشجعهم على زراعتهِ باعفائهِ من الضرائب على حين انها تجبي الخراج على سائر المزروعات

(١٨)

زراعة الكرم

يعتبرون الكرم في مصر بعد النخل في اهميتهِ وهو يزرع في جميع البساتين الخاصة غير ان الفيوم تعدّ موطن زراعتهِ وبلدوهات جهات البرلس . فيباع عنب الفيوم في القاهرة واخواتها وعنب البرلس في الاسكندريَّة ورشيد ودمياط

ويزرعون الكرم فسائل يغرسونها في الارض بعد اعدادها جيدًا لهذه الزراعة ويسمدونها بزبل الحمام . ومتى علت جناتهُ يعرّشونها على عوارض خشبية مستندة على قوائم عموديَّة فتتخذ شكل العريش

وفي الفيوم من البساتين اكثر مما في سائر جهات مصر لان اهاليها يزرعون انواعًا مختلفة من الاشجار المثمرة كالكثرى والمشمش والزيتون والتين وخلافها

ويزرع في كثير من انحاء مصر البرتقال والرمان والليمون الحامض (الملح) وخصوصًا في ارباض الاسكندريَّة ورشيد والقاهرة والجيزة حيث تكثر البساتين الخاصة بذوي اليسار . ونخصّ بالذكر جزيرة فاروس (الفنار) القديمة التي تسمى الآن جزيرة التين (راس التين) لكثرة هذا النوع من الشجر فيها وشدة خصبهِ ويقال على الجملة ان الاشجار المثمرة قليلة في مصر والاشجار الغابيَّة مفقودة منها . غير انهُ يكثر فيها شجر الجميز حتى لاتكاد ترى ساقية لا تستظل بظلهِ . وفضلاً عن ذلك فانهم ينتفعون بأخشابها لبناء القوارب وعمل جسور البيوت

مزايا القطن المصري وعيوبهُ

قرأنا للمستر لوراس برلس نباتي الجمعية الزراعيَّة الخديويَّة بحثًا مستفيضًا عن القطن المصري في كتاب الجمعية السنوي وصل فيهِ الى هذه النتيجة وهي انهُ يمكن ان يزيد ثمن محصول القطن المصري زيادة كبيرة جدًّا من غير ان تزاد زراعتهُ مساحةً وذلك بان يختار

مقدار من التقاوي من اجود اصناف القطن المصري التي تقرب من الكمال ويزرع سنتين متواليتين ويختار من اشجاره ما ظهر فيه اتم الخواص حسب ناموس سدل الوراثي وتزرع التقاوي منهُ في مكانين او ثلاثة امكنة من القطر. ويجب ان يفصل كل مكان منها عمَّا حولهُ بحيث لا تصل اليهِ الحشرات الكبيرة كالنحل لئلاَّ تنقلهُ من لقاح قطن آخر. ويكرَّر زرعهُ هناك من تقاويهِ نفسها منفصلاً عن غيره. ومن المحتمل ان التقاوي التي تؤخذ من الزراعة الاخيرة تثبت الصفات الجيدة فيها اربع سنوات متوالية فلا يحتاج الزارع ان يعود الى التقاوي النقية الاَّ في السنة الخامسة. ولا بدَّ من ان يكون في البلاد مكان معد لتوليد التقاوي النقية دائمًا

ولقد كان للقطن المصري مزيَّة مهمة وهي صلاحهُ لعملية المرسرة التي يصير بها كالحرير ولكن هذهِ العملية قد اتقنت الآن فصار يمكن استعمالها لغير القطن المصري فلم يعد ممتازًا بها. وكانت شعرتهُ طويلة دقيقة متينة فلم تعد كلها كذلك فاذا فقد المزايا التي تميزهُ عن القطن الرخيص هبط ثمنهُ حتمًا ومن ذلك خسارة لا تقدر على القطن المصري

ولم نرَ في ما كتبهُ المستر بولس دليلاً مقنعًا على انهُ اهتدى الى طريقة اصلاح القطن المصري او ارجاع المزايا الجوهرية اليهِ لان تجاربهُ لم تنتج دائمًا نتيجة واحدة ولكن اسلوبها معقول وناموس سدل الوراثي محقق وقد يمكن منع العوارض التي تقاومهُ وتمنع فعلهُ او تضعفهُ. والمسألة حرية بالبحث ويجب ان لا تبخل الحكومة بما يلزم لها من النفقات حتى اذا ثبت انهُ يمكن اصلاح نوع القطن وارجاع المزايا الجوهرية اليهِ فاقل ما يطلب منها ان تتولى اصلاح التقاوي اللازمة للقطر كلهِ فاذا فرضنا مساحة الاطيان التي تزرع قطنًا مليونًا ونصف مليون من الافدنة ولزم لافدان منهُ كيلات فالتقاوي اللازمة للاطيان كلها تساوي محصول سبعين الف فدان بزرةً ولا يصعب على الحكومة ان تختار من اطيانها الخصوصية واطيان الدومين ٢١٠٠٠٠ فدان وتزرع ثلثها كل سنة قطنًا منتقًى وتبيع بزرتهُ للزارعين تقاوي. واهتمامها بهذا الامر يجب ان لا يقل عن اهتمامها بالترع والمصارف وماء الري اذا كانت جودة المومسم تتوقف على جودة تقاويهِ لان في المسألة فرقًا يبلغ بضعة ملايين من الجنيهات كل سنة بين زيادة في ثمن المحصول او نقص في ثمنهِ

حقائق في زراعة القطن

قال الدكتور دبني رئيس مدرسة تنسي الجامعة في مقالة عن الزراعة الاميركية

نشرت في الطبعة الحديثة من الانسكلوبيذيا البريطانية ان القطن ابن الشمس ومحصول الفدان منهُ في المكان الواحد اقل اختلافاً سنة بعد سنة من غيره من المزروعات . اي ان المقدار المعلوم من نور الشمس يجني مقداراً مناسباً لهُ من القطن . فمحصول القطن متوقف على مقدار ما يصيبهُ من نور الشمس مدة اقامتهِ في الارض ولكن لا بدَّ من نسبة معلومة في توزع الحرارة والنور مدة الشهور التي يقيم فيها في الارض اي من الربيع الى الخريف ولا بدَّ لهُ من ستة اشهر الى سبعة يكون الطقس فيها مناسباً لهُ . وهو يجود مع اشتداد الحر اذا كان الهواء رطباً مع حرارتهِ ولا بدَّ لهُ من الري المتزايد مدة نموهِ

وهو يجود في انواع مختلفة من الاراضي في المنطقة المناسبة لزراعتهِ من الرملية الخفيفة الى الطينية الثقيلة فاذا كانت الارض خفيفة وطبقتها السفلى رملية كانت شجرات القطن صغيرة ولكنها تكون كثيرة اللوز واذا كانت الطبقة السفلى طفالية كانت الشجرات كبيرة ولكن لوزها يكون قليلاً وخير الاراضي الطينية المتوسطة بين الرملية والطفالية التي تصرف صرفاً جيداً

والارض التي تصلح لزراعة القطن في المنطقة التي يزرع القطن فيها باميركا واسعة جداً تبلغ عشرة اضعاف الاراضي التي يزرع القطن فيها الآن . فاذا زرعت كلها انتجت عشرة اضعاف ما تنتج الآن من القطن ولكن قلة وجود العمال تمنع التوسع في زراعتهِ فان اجرة العمال تبلغ ٥٤ في المئة من مجموع المصاريف اللازمة لهُ . ويقتضي لكل ثلاثة قناطير من القطن نفر واحد من السكان وعدد سكان الولايات التي تزرع القطن ١٥ مليوناً فيسهل عليهم ان يزرعوا ما يبلغ محصولهُ ٤٥ مليون قنطار او نحو ١١ مليون بالة اميركية . وقد اهتدوا الى وسائل كثيرة لتسهيل الخدمة فصار يمكنهم ان يقوموا بزراعة اكثر من ذلك

وقد بحثت الحكومة الاميركية عن مصاريف زراعة القطن سنة ١٨٩٧ فوجدت ان مصاريف الفدان من الابذر ١٥ ريالاً و ٤٢ سنتاً وايراد الفدان ١٩ ريالاً و ٣ سنتات فالربح من الفدان الواحد ٣ ريالات و ٦١ سنتاً (اي ٧٢ غرشاً) . وان متوسط محصول الفدان ٢٥٥ رطلاً و ٦ اعشار الرطل من القطن الشمر و ١٦ بشلاً (نحو ثلاث اراديب) من البزرة ومتوسط ثمن الرطل من القطن الشمر ٦٫٧ سنت ومتوسط ثمن البشل من البزرة ١١٫٩ سنت ومتوسط اجرة جمع المئة رطل من القطن نحو ٩ غروش ومتوسط مصاريف القنطار من القطن الشمر في الولايات كلها خمسة ريالات و ٢٧ سنتاً . وسنة ١٨٩٦ ربح ثمانون في المئة من زارعي القطن وخسر عشرون في المئة

وقد تحسن نوع القطن الاميركي كثيرًا بتحسن خدمته فقد كان في كل مئة رطل من القطن والبزرة ٣٥ رطلاً من القطن الشعر و٧٥ رطلاً من البزرة ثم زاد مقدار الشعر (اي التصافي) رويدًا رويدًا حتى بلغ الآن ٤٠ رطلاً من القطن الشعر و٦٠ من البزرة (لو بلغ القطن المصري هذا المبلغ لكان تصافي القنطار ١٣٦ رطلاً من القطن الشعر وهو فلا يزيد الآن على ١٠٦ ارطال) وكان طول الشعرة منذ عشرين الى ثلاثة فصار الآن خمسة وعشرات الى ستة في اجود الانواع. ولكن الانواع التي بلغت هذا الحد من كثرة التصافي وطول الشعرة قليلة جدًا والغالب انهُ اذا طالت الشعرة لم يكثر التصافي واذا كثر التصافي قصرت الشعرة واذا بلغ القطن الامريكي معًا اي كثرت تصافيهِ وطالت شعرتهُ فانهُ يخسر هذه الصفات سريعًا والقطن من النباتات التي تؤثر فيها الخدمة والسماد كثيرًا فيمكن تنويعهُ بسهولة وقد ثبت انهُ اذا اختيرت النقاوي من اللوزات التي تفتح باكرًا صار القطن الناتج منها طويل الشعر الاَّ ان النوع الذي يزيد حملهُ كثيرًا تضعف قوتهُ الحيوية

وكانت العادة ان تؤخذ النقاوي من وابورات الحلاجة اما الآن فينتش عن الاشجار التي تظهر فيها احسن الصفات وتؤخذ النقاوي من بزرتها. والمراد اختيار الاصناف الكثيرة التصافي التي شعرتها طويلة ودقيقة

خناق القطن

من الآفات التي تصيب القطن في القطر المصري مرض فطري يقع بجذر النبات عند اول ظهوره فيضعفهُ او يميتهُ وتدعو الحال الى كثرة ترقيع القطن وقد اطلق الفلاحون على هذه الآفة اسم خناق القطن. وقد اهتمت الجمعيَّة الزراعية الخديوية بالبحث عن سبب هذه الآفة والعلاج الشافي منها فوجدت ان سببها مادة فطرية كما تقدَّم وانهُ يمكن منع هذه الآفة بمزج نقاوي القطن قبل زرعهِ بالنفتالين وهو مادة كيماوية قوية الرائحة جدًّا تراهُ قشورًا دقيقة بيضاء يباع الرطل منهُ بنحو غرشين ويمزج بالجبس وثمن الرطل من الجبس نصف غرش ويضاف هذا المزيج الى البزر ويخلط بهِ جيدًا فلا يعود المرض الفطري المشار اليهِ يظهر فيهِ الاَّ نادرًا وتبلغ مصاريف معالجة نقاوي الفدان اربعة غروش اذا اشترى النفتالين بمقادير كبيرة. ويحسن بالذين يبيعون النقاوي ان يخلطوها بمحوق النفتالين والجبس على ما تقدم ويلزم لكل النقاوي التي تزرع في القطر المصري سنويًا نحو ٩٠٠ طن من النفتالين

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيه كل ما يهم اهل البيت معرفته من تربية الاولاد وتدبير الطعام والملابس والتدابير في السكن والراحة وغير ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

آداب دعوات العصر

من الدعوات ما يدعى فيه الناس لقضاء عصر النهار من الساعة الرابعة بعد الظهر الى السادسة او السابعة ولا بدّ من ان يُذكر ذلك في اوراق الدعوة ويذكر فيها ايضاً الالعاب التي يراد اللعب بها حينئذٍ وذلك في اسفلها . ويحق للمدعوين ان يحضروا في اية ساعة ارادوا من ساعات الدعوة . فاذا كان اليوم صحواً تفي في حديقة المنزل وتوضع للمدعوين موائد تحت الاشجار عليها المرطبات ونحوها او توضع لهم موائد في خيمة وتوضع عليها ما يلزم من الشاي والقهوة والليموناضة والاثمار والكعك والاشربة المبردة والمرطبة والسكاير ونحوها . ويكون في الحديقة او الخيم كثير من الكراسي والمقاعد ليستريح المدعوون عليها واذا كان اليوم ماطراً فلا بدّ من استقبال المدعوين في البيت ولكنهُ اذا كان شديد المطر تؤجل الدعوة الى يوم آخر

ولا بدّ لرب البيت وربة البيت من ان يستقبلا كل المدعوين والذين يأتون معهم من الاصدقاء ويصافحانهم واحداً واحداً وبعد انقضاء الوقت واخذ المدعوون في الانصراف وجب على كلٍّ منهم ان يودّع رب البيت وربة البيت ويشكرهما على فضلهما ولا داعي لهُ لان يترك ورقة زيارته الاّ اذا كان المدعوين كثيراً ولم يستطع ان يكلم رب البيت او ربة البيت وحينئذٍ فالمرأة المتزوجة تضع ورقة من اوراقها وورقتين من اوراق زوجها والارملة تضع ورقة واحدة والاعزب ورقتين

حفظ الشعر وتقويتهُ

خير الوسائل لتقوية الشعر وحفظهِ ان يبرش بفرشاة كل يوم في المساء والصباح خمس دقائق وينظف جلد الرأس دائماً واذا كان الشعر شديد الجفاف قصفاً فلا بد من دهنهِ بقليل من الزيت او البومادة . ولا يحسن صبغ الشعر بصباغ مهما كان نوعهُ

الفاكهة في الصيف

"كل الفواكه في ابانها" كلامٌ مأثور وحكمة انتجها الاختبار. ولقد كان عصر لم يكن طعام الانسان الاول فيهِ غير اثمار الاشجار وجذور النبات ولا تزال الاثمار والجذور طعام بعض قبائلهِ حتى الآن

والغذاء غير كثير في كل الاثمار ولكن فيها سكرًا سهل الهضم وهو سكر النبات وماء نقيًّا وحوامض آلية ومواد اخرى معدنية وكلها في حالة صالحة للهضم حتى اذا كانت الاثمار ناضجة كانت كانها طعام مهضوم تمتصهُ المعدة والامعاء حالما يصل اليها

ومن الناس من يتعب من اكل الفاكهة وسبب ذلك انهُ يكثر منها جدًّا او يأكل قشرها من غير ان يمضغهُ جيدًا او يأكل الكثير منها بين الاكلين حينما تكون معدتهُ وامعاؤهُ مشغولة بهضم طعامهِ العادي. ولو اقتصر على اكل الفاكهة وحدها او لو قلل طعامهُ الآخر واكل الفاكهة بدل ما قللهُ منهُ لما رأى صعوبةً في هضمها واما اذا شبع من الطعام ثم اكل الفاكهة فوقهُ فانهُ يتعب لانهُ يكون قد اكل فوق الشبع

وخلاصة المقال ان الفواكه الناضجة سهلة الهضم جدًّا بشرط ان تؤكل وحدها ولا تؤكل فوق الشبع. واما اذا مزجت بالخضر واللبن والزبدة والسكر ونحو ذلك من المواد فانها قد لا تعود سهلة الهضم لا لذاتها بل لما مزجت بهِ

واذا كانت الفواكه حامضة فلا بدَّ من مضغها جيدًا ليمتزج اللعاب بها ويعدّل حموضتها بفعلهِ القلوي. ولا يراد بالفواكه الحامضة ما يحلو اذا نضج كالحصرم وقرعون الشمش لان هذه يجب ان تترك حتى تنضج جيدًا وتحلو بل يراد الفواكه التي يبقى فيها شيء من الحموضة ولو نضجت كبعض انواع التفاح فان التفاح الجيد الذي يبقى فيهِ شيء من الحموضة ولو نضج مقدار جدًّا ولا يصعب هضمهُ الاَّ على الذين لا يمضغونهُ واذا مضغت الفاكهة وبقيت مع ذلك عسرة الهضم فالسبب من الاطعمة التي تؤكل معها لا منها فلتؤكل وحدها. والحامض القليل الذي في بعض الفاكهة من احسن المنظفات للقناة الهضمية والقاتلات للجراثيم المرضية. والذين جربوا عصير الاثمار في الحميات المهلكة كالتيفويد يقفلونهُ على خلاصة اللحم فانهُ ينعش الجسم ويميت الميكروبات

والفائدة الكبرى من الاثمار ناتجة عمَّا فيها من السكر فان سكرها نوع من الغذاء المهضوم الجاهز لان يتمثلهُ الجسم ولهذا السبب تجد الانسان ينتعش اذا اكل فاكهة اذا كان متعبًا جدًّا

واكل برتقالة او تفاحة او اجاصة او عنقود عنب او قطعة بطيخ لان السكر الذي فيها يدور في بدنه حالاً ويغذي الدقائق المنهكة من التعب

يقول الاوربيون ان الفاكهة ذهب في الفطور وفضة في الغداء ورصاص في العشاء يعنون انها تفيد كثيراً في الصباح وتثقل في المساء . اما فائدتها في الصباح فلا نزاع فيها واما ما ينتج عنها من التعب في المساء فسببهُ اكلها بعد ان تمتلئ المعدة من الطعام الغليظ فلو اقتصر العشاء على القليل الخفيف من الطعام لكانت الفاكهة خيرما يضاف اليهِ

ولا بدَّ من كون الفاكهة ناضجة تماماً فليس من الحكمة اكل النيء منها ولا سيما اذا كان حامضاً لانهُ يتعب المعدة والامعاء . واذا قطفت الفاكهة قبل ان تنضج واريد اكلها وجب طبخها قبل ذلك لكن الفاكهة الناضجة اسهل هضماً واكثر غذاء من غير الناضجة ولا داعي لطبخها حينئذٍ كما يفعل بعض الاوربيين بل ان طبخها يذهب بلذتها ويجانب من فائدتها ولا يزيدها هضماً

واذا كان لا بدَّ من طبخ الفاكهة وجب ان يقلَّل السكر الذي يضاف اليها على قدر الامكان اي سكر التعب لانهُ ليس مما يسهل هضمهُ . وبعض الفاكهة يؤكل يابساً اي زبيباً كالزبيب الذي هو عنب مقدَّد والتين اليابس وكلاهما كثير الغذاء سهل الهضم يحسن ان يؤكل ادماً مع الخبز فيغذي الغذاء الكافي . وما اصح ما كان يقتات بهِ الاقدمون في زمن داود وسليمان والانبياء رغيف خبز وعنقود زبيب . طعام قليل لا يسمن ولكنهُ يغني عن جوع ويحفظ الصحة والقوة ولا يتعب المعدة

قلنا ان الفاكهة يجب ان تكون ناضجة لكي تفيد ونقول ايضاً انها يجب ان تكون ناضجة على امها لا مقطوفة عجراء ومتروكة زماناً طويلاً حتى تنضج فانها تخسر حينئذٍ جانباً كبيراً من فائدتها وهو شأن اكثر الفواكه التي يتاجر بها من بلاد الى أخرى فانها ترسل عجراء فتنضج في اثناء الطريق ولكن شتان بينها وبين الفواكه التي تنضج على امهاتي طعمها ونكهتها

اكلنا قبل كتابة هذه السطور مشمشاً لوزياً قطف من حديقة في حلوان بعد ان نضج على امهِ فوجدنا حلاوتهُ لا تقل عن حلاوة العسل مع ان منظرهُ يدل على انهُ ليس من اجود انواع المشمش اللوزي ولا هو ناضج على مهل في حر معتدل . واكلنا بعدهُ مشمشاً لوزياً اتانا من بيروت وقد قطف عجراً حتى لا يتلف في الطريق ومنظرهُ يدلُّ على انهُ من اجود انواع المشمش اللوزي كبير الحجم ابيض اللون مورَّد الخدين فوجدنا طعمهُ دون طعم الاول مع انهُ لو ترك يومين آخرين حتى نضج على امهِ لكان الفاكهة تحت السماء

والموز الذي يؤتى به الى هذه العاصمة من جزائر الهند الغربية هو من اجود انواع الموز والموز يقطف عادة قبلما ينضج لانهُ لا ينضج كلهُ دفعةً واحدةً ولكن هذا يقطف قبلما ينضج بكثير ولذلك تزول فكاهتهُ ولا يكون فيهِ نصف الحلاوة التي تكون فيهِ عادةً لو قطف حالما يشرع ينضج

وفي الموز ٢٥ في المئة من سكر الاثمار وغيرهِ من المواد المغذية فهو من اكثر الاثمار غذاء ويكاد يماثل الزبيب والتين اليابس من هذا القبيل والرطل من الموز الجيد يجري من الغذاء قدر ما يحويهِ الرطل من اللحم واذا كان ناضجاً جيداً سهل هضمهُ على اضعف المعد

وقد شاع الآن تجفيف الموز الناضج وطحنهُ وعمل عصيدة من طحينهِ او شوربة وهي مغذية جداً وسهلة الهضم

والتمر من اكثر الاطعمة غذاء ولذلك لا عجب اذا قيل لنا ان الرجل من الدراويش كان يقتات في يومهِ بقليل من التمر وحفنة من الذرة ويصبر على تحمُّل المشاق والاهوال لان التمر كلهُ غذاء. وكذلك التين الاخضر واليابس لا سيما وان في التين مادة بيتروجينية ايضاً تزيدهُ غذاء واذا اضيف الجزر والموز الى الاثمار اليابسة كالتين والزبيب كمل الغذاء لانا نكون قد جمعنا بين المواد الدهنية والسكرية والبيتروجينية

ومن العجب ان يوجد عند الناس خبز من القمح او ذرة وحبوب كالفول والعدس وفاكهة طرية كالعنب والتين والموز والبرتقال ويابسة كالزبيب والتمر والتين اليابس ثم لا يكتفون بهذه الاطعمة ويستغنون عن اللحوم والحاجين وكل الاطعمة الغالية الثمن المتعبة للعدة

وقد اثبتنا في الجدول التالي ما في انواع بعض الفاكهة من الماء والسكر والبروتيدات (اي المواد التي تكوّن اللحم) والمواد الملامة

	ماء	سكر	بروتيد	هلام
التفاح	٨٥	٨	٥ر٠	٥
المشمش	٨١	٥ر٤	٥ر٠	٥ر٦
الموز	٧٧	٢٠	٥ر١	٠٠
الكرز	٨	١٠	٧ر٠	٨ر١
التمر	٣٨	٥٧	٣ر٠	٣ر٠
التين الاخضر	٧٩	١٨	٥ر١	٥ر٠

	ماء	سكر	بروتيد	هلام
التين اليابس	٣١	٥٠	٤٫٠	٣٫٠
العنب	٧٨	١٤	٠٫٦	٠٫٢
الزبيب	٣٣	٥٥	٣٫٥	٠٫٧
البرتقال	٨٧	٤٫٥	٠٫٨	
الشمام	٩٠	٨٫٠	٠٫٥	
البطيخ	٩٢	٧	١٫٠٠	
الخوخ	٨٠	٤٫٥	٠٫٧	٠٫٧
الكمثرى	٨٣	٨٫٢	٠٫٤	٣٫٣
الاناناس	٨٩	٨٫٩	٠٫٤	٠٫٢
البرقوق	٨٥	٦٫٣	٠٫٤	٤٫٦

ولا يخفى ان هذه المواد تختلف باختلاف اصناف النوع الواحد من الفاكهة فالتفاح اصناف كثيرة بعضها سكري كثير السكر وبعضها شرابي كثير الحوامض وكذلك المشمش اللوزي والخوخي والكلابي اصناف كثيرة بعضها يميل حلاوة وبعضها ناشف لا طعم فيه وقس على ذلك الموز والعنب والتين والبرتقال والشمام والبطيخ والخوخ (الدراقن) والكمثرى (الاجاص) فانها كلها ذات اصناف بستانية مختلفة في الجودة واجودها ما كثر سكره ومائيته ونكهته وطعمه وهو اكثرها غذاء واسهلها هضماً

باب التفريط والافراط

اعظم تذكار للعثمانيين الاحرار

لم يكد يُعلن الدستور في البلاد العثمانية حتى قام كثيرون من العلماء يفتون بانهُ مطابق للشرع الشريف كانهم حسبوا ان الناس مرتابون في مطابقته للشرع فقصدوا نزع الريبة من نفوسهم · ومن قبيل ذلك هذا الكتاب الذي وضعهُ احد علماء بيروت وهو كتاب نفيس اثبت فيه مؤلفهُ بالنصوص الصريحة على انواعها ان مجالس الشورى والحرية موافقة للشرع الشريف فاثبت مشروعية مجلس المبعوثان الشوروي باثني عشرة آية ونسم الحرية الى

اقسام مختلفة واستدل على مشروعية كلٍّ منها بالآيات القرآنية ولم يكتفِ بذلك بل نسب الى المسيحيين اموراً يتكرونها فقال مثلاً ان ارهبان القرون الوسطى ذيلوا تعهدين وجعل قولهم في صلاتهم "ابانا الذي في السماوات" من قبيل القياس على أخرى واشار الى ان في ذلك تذليلاً وتعتيراً لباقي الشعوب وسلباً لحرية نفوسهم. ونسي ان الكتاب الذي علَّم اتباعه ان يقولوا في صلواتهم ابانا الذي في السموات قال لم ايضاً وخلق من دم واحد كل امة من الناس يسكنون على وجه الارض وانهُ ليس عند الله محاباة بل كل من يفعل البر مقبول امامهُ. ولكن الجدل في هذه المواضيع لا يجدي نفعاً. والآن نحن نكتب هذه السطور وعلماء الشرع يصدرون الفتاوي في تقبيح ما فعلهُ اهالي اطنه وغيرها من ذبح مواطنيهم المسيحيين كأنهم فعلوا ذلك مدفوعين بدافع ديني. وما دام الناس يعتمدون على الدين في تحليل المعاملات وتحريمها تبقى في هذا التخاذل والتضاغن لانهُ اذا وجد العالم المستنير ادلة على اثبات امر وجد العالم المتطلع ادلة على نفيهِ. وقد اشتدَّ العداء واستحرَّ القتل لعلة الدين بين اصحاب المذاهب المختلفة من الدين الواحد بل بين اصحاب المذهب الواحد فما تولك بهم وهم من اديان مختلفة. ولا ندري لماذا لا يلتفت الناس في معاملاتهم الى اصول اخرى غير الاصول الدينيَّة. فاذا فتشت عن بنَّاء بيتك لا تعتمد في اختيارهِ على آية كتابيَّة بل على مهارتهِ وامانتهِ واذا فتشت عن طبيب يطبب ابنك لم تعتمد من التقائهِ على حديث نبوي بل على ما عليهُ باختبارهِ او بالخبر عن علمهِ وفضلهِ. والناس يعتمدون في زراعتهم وصناعتهم وتجارتهم على علومهم التي توصلوا اليها بالاختبار ولا يدخلون الدين فيها فلماذا لا يعتمدون في سياستهم على علمهم واختبارهم اي على ما هم متفقون فيهِ ومسؤولون عنهُ ولا يقع الشرق الاَّ اذا فصل بين الدين والسياسة وترك كلاً منهما يسير سيرهُ الخاص بهِ. والكتاب حسن في اسلوبهِ شريف في غايتهِ وما اعتراضنا عليهِ الاَّ لان الاختبار يدلنا اننا ان جعلنا الدين اساساً لمسائلنا الاجتماعيَّة فلا تجد واحداً ينادي بالتأليف بين اعضاء الشعب الواحد لاسباب دينيَّة حتى تجد اثنين ينادبان بالتفريق لاسباب دينيَّة. وكل ما ينادي بهِ علماء مصر والشام مما يوجب التأليف بين اكبر ملتين في السلطنة العثمانية لم ينقذ واحداً من القتل ولكن ما نادى بهِ دعاة التفريق بعلة دينية اي دعاة التعصب قتل ثلاثين الفاً

ديوان رستم

بين الشعر الفصيح والشعر العامي من المراثيا والزجل ونحوهما بون شاسع وقد كان ذلك

كذلك من قديم الزمان حتى يظهر لنا ان اللغة المعربة التي نكتب بها وقد كتب بها ابناء العربية من اول زمن التدوين الى الآن لغة موضوعة او منتحة وان لغة التكلم او اللغة العامية كانت دائماً اقرب الى اللغة العامية المستعملة الآن منها الى لغة الكتابة

وقد حاول كثيرون الجري على لغة متوسطة بين اللغة العربية واللغة العامية اما بتهذيب العامية قليلاً حتى تقارب المعربة كما ترى في الزجل الذي نشرناهُ في الجزء الماضي من المقتطف في الكلام على دولة آل عثمان او بادخال كلمات ومصطلحات عامية في اللغة المعربة لكي تصير اقرب تناولاً واسهل فهماً على العامة . ومن هذا القبيل قصائد ومقاطيع كثيرة في ديوان الشاعر العصري احمد افندي رستم اللبناني مولدًا والاميركي داراً كتولهِ في وصف الثوير مستعطفاً رأسهِ

نحن الثوريين كم من معترك ... فيهِ بلعنا الخصم مثل (الشِّبَرَك)!
ارباب شانوفر تميد لهُ الثرى ... فيدكُّ من اجبالها ما لا يُدَكّ
اصحاب جدّ في البلاد بهمنا ... عملٌ وليس بهمنا (طق الحنك)!
نبني البيوت على اساس راسخ ... ليست تزعزعهُ المدافع والشَّكّ
منا المؤالف والرياضيُّ الذي ... لمؤلف افرنج شيئاً ما تركْ
ولنا على صنين من اعمالنا ... نورٌ يشاهدهُ البقاعي في الكرك
والفرق ما بين الثوير وغيرها ... كالفرق ما بين الجواهر والتنك
وبحمد لولى تقيم بيتاً ولا ... في البرج او في ساحة تدعى الحمى
هي في امانٍ لا يخدّش سمعنا ... فيها سوى صوت الضفادع في البرك
وخلاصة الاقوال يا اصحابنا ... ان الثوير تهز عمود الفلك!!

وقولهُ على اثر اجتماع بعض الجرائد العربية في نيويورك لتوحيد جرائدهم

في (أستيفن هوس) قد اجتمعوا ... وجرت اشياء فاستمعوا
اخذوا وردّوا وغبوا طعموا ... والكل بقدرتهِ غالى

إرخي إرخي لا لا لا لا

قالوا سنضمُّ جرائدنا ... يوماً ونُمِمُّ فوائدنا
فيرى الرصفاء مكائدنا ... وتعاين منا الاهوالا

اضرب واطرح لا لا لا لا

منهم من قال انا الراسُ ... خضعت لهابتهِ الناس

وبالغلة ارتفع الكاسُ فانصبَّ (الوسكي) شلالا
آثيفا توكا لا لا لا

قالوا من بعد ان اقترحوا هذا يا اخوان القدحْ
صبوا ليتمَّ لنا الفرحُ ويزيد البسط استكمالا
عندي عندك ترلا لا لا

وقولهُ في التزوج بربة مال

صاح ان تقترن بربة مالٍ وجمال تلفَ العيشة مرَّهْ
دأبها ان تقول آلي ومالي كلما الكوز دقَّ يومًا بجرَّهْ

وفي الديوان قصائد ومقاطيع كثيرة خالية من العامي وبعضها من بليغ النظم ويا حبذا لو خلا من بعض التهم الكاذبة التي يشيعها اوباش لا خلاق لهم كقولهِ مخاطبًا اناسًا في مخيلتهِ

ولدولة المحتلة القطر بعتمُ مبادئكم بالمال والمال يفسدُ
وكيف يعد المرءُ حرًّا وعندهُ ضميرٌ بمال الانكليز يُقيَّدُ

ولا ندري كيف يستحل رجل مثلهُ ان يتهم امةً جليلة الشان مثل امة الانكليز انها تشتري الناس بالمال وتقيد ضمائرهم وهي صاحبة الطول والحول والسيف والمدفع والفضل الاكبر على كل الممالك المسيحية . وقد كان نائبها في هذا القطر مثال العفة والاستقامة وسمو المبادىء الدينية . ولا نقول للناظم اذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه لاننا نبرأ الى الله ان نرمي بفاحشة من لا نعرفهُ ولا نعرف عنهُ شيئًا ولكننا نلوم كل من يستحل اتهام الناس تهمًا كاذبة مثل هذه.

والديوان كبير وفيهِ صور بعض الممدوحين ورسوم هزلية وقد صدرهُ الناظم برسمهِ

معجم الادباء لياقوت الحموي

الجزء الثاني

اهدى الينا حضرة الفاضل الاستاذ مرجليوث الجزء الثاني من هذا الكتاب النفيس وهو كالاول في حسن طبعهِ وتنقيحهِ يبتدئ باحمد بن علوية الاصبهاني الكرماني وينتهي بجودي بن عثمان. ومن الاعلام المشهورين الذين وردت ترجماتهم في هذا الجزء ابن مسكويه وابن عبد ربهِ والميداني والبلاذري وثعلب وابن مسيح واسامة بن مرشد واسحق الموصلي وابن عماتي والجوهري والصاحب بن عباد. وقد ملأت ترجمة ابن عباد سبعين صفحة. والبيكالي والمازني

وابن السراج وابن الفرات وابن قدامة الكاتب وغيرهم . وقد اسهب في ترجمة بعضهم كما تقدم واختصر في ترجمة البعض الآخر . ومما وقفنا عليه حديثاً ولم نرَهُ في هذا المعجم كتاب للامير اسامة ابن منقذ اسمهُ لباب الآداب ألَّفهُ قبل وفاته واهداهُ الى ابنهِ وقد وقعت لنا النسخة الاصلية التي كتبت للمؤلف واهداها الى ابنهِ سنة ٥٨٣ للهجرة كما ذكرنا في الصفحة ٩٥٣ من المجلد الثاني والثلاثين من المقتطف

هذا وانا نقترح على حضرة الاستاذ مرجليوث ان يزيد نفع الكتاب ويلحقهُ بفهرس آخر تذكر فيهِ الاسماء مرتبة حسب شهرتها فيكتب الميداني في حرف الميم والبلاذري في حرف الباء وثعلب في حرف الثاء والجوهري في حرف الجيم والصاحب بن عباد سيف في حرف الصاد وهلم جرًّا تسهيلاً للمراجعة ولو وضعت الاسماء في حقلين او ثلاثة من الصفحة الواحدة والكتاب حسن الطبع والتجليد يحسن ان تحلّى بهِ كل المكاتب العربية

شرح المعلقات

ما اكبر الفرق بين هذا الكتاب والذي قبلهُ معجم الادباء من حيث جودة الورق والطبع والتجليد مع ان الذين طبعوا الكتاب الثاني بذلوا جهدهم على ما يظهر لجعلهِ في الدرجة الاولى بين الكتب المطبوعة في المطابع الوطنية بهذا القطر

والشرح للزوزني وفي المتوفى سنة ٤٧٥ للهجرة فهو من القدم كتب الادب . ويليهِ شرح معلقة النابغة الذبياني ومعلقة الاعشى وقصيدتان للنابغة وهذه الشروح الاخيرة منقولة من الكتبخانة الخديوية ومقابلة على عدة نسخ وقد طبعت بمطبعة دار الكتب العربية الكبرى على نفقة اصحابها مصطفى افندي البابي الحلبي واخويهِ . وشرح المعلقات السبع الاول مسهب كثير الفوائد اللغوية واما شرح المعلقتين الاخيرتين والقصيدتين اللتين تليانهما فعلى اتم الاختصار

درس الهندسة للسنة الثانية الثانوية

كتاب صغير لكنهُ جامع لكثير من القضايا الهندسية فان كان التلامذة لا يتعلمون غيرهُ من الهندسة في سنة كاملة فاشتغالهم بالهندسة قليل جدًّا فاننا كنا نعلم كتب اقليدس كلها في سنة واحدة ولا يرى التلامذة صعوبة في تعلمها . ثم ان رسوم هذا الكتاب لا يظهر الحروف فيها احياناً ففي رسم النظرية الثانية والثلاثين لم يظهر حرف الميم ولا ظهرت الخطوط التي يبرهن بها مساواة المربع الاصغر للمستطيل ل م ب ن وحبذا لو اختيرت الحروف الكبيرة المتبينة في كل كتب التعليم لكي لا تتعب في استيضاحها عيون التلامذة

ترجمة القس وليم هرني

القس الدكتور وليم هرني من خيرة القسوس الاميركيين الذين اقاموا في القطر المصري وهو من بيت اسكتلندي هاجر بو ابواهُ الى اميركا في حداثتهِ فدرس في احدى مدارسها العالية وتمَّ دروسهُ سنة ١٨٦٢ ثم درس العلوم اللاهوتيَّة وأُرسل الى القطر المصري فوصلهُ في ٢١ دسمبر سنة ١٨٦٥ وقضى فيهِ بقية عمرهِ الى ان توفاهُ الله في العشرين من شهر نوفمبر الماضي فيكون قد قضى في هذا القطر ٤٦ سنة واعظاً ومعلماً بكلامهِ وسيرتهِ الطيبة . وقد جمع حضرة عبد الملك افندي تادرس الكدواني خلاصة ترجمتهِ وما قيل في تأبينهِ بالعربيَّة والانكليزيَّة في كتاب واحد ليكون تذكاراً لهُ

باب المسائل

هذا هذا الباب منذ اوَّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجعل فيهِ مسائل للمشتركين التي لا تخرج عن مباحثهِ بحسب المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسألتهُ باسمهِ وألقابهِ وعمَّن اقامهُ اصلهُ واعظاً (٢) اذا لم يرد السائل النشر باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تخرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم نشر السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكرِّر مسألتهُ فان لم نخرجهُ بعد شهر آخر لكون قد اهملنا نشرهُ كان

(١) عقاب الطبيب والحاكم

مصر . الخواجه فكتور سيون بطيطو . هل يعاقب الطبيب اذا اخطأ فقتل المريض بخطاهِ وهل يحاكم الحاكم اذا اخطأ فاضرَّ موكلهُ بخطائهِ . ومَن يطلب معاقبتهما ومن يحكم بخطائهما

ج . ذوو الشأن يطلبون معاقبة الطبيب فالمحكمة تعين ذوي خبرة من الاطباء ينظرون في الامر فاذا وجدوا ان الخطأ كان عن قصد او عن جهل فالقضاة يقدِّرون العقوبة ولكن ذلك قلما يحدث لان الطبيب يقدر دائماً ان يجد وجهاً للدفاع كأن يقول ظننت ان العلَّة كذا لا كذا فعالجتها حسبما تراءت لي . واذا اعترف بخطائهِ اخطأوهُ عن غير قصد وجزاؤهُ طفيف ولكن اذا ثبت انهُ ارتكب جناية لقصد مثلهِ فيعاقب مثل غيرهِ من الجناة

واذا اخطأ الحاكم وشكا منهُ موكلهُ فالمحكمة تنظر في ذلك وتعاقبهُ ولجنة تأديب المحامين تحكم عليهِ بما يستحقهُ من التوبيخ او الشطب

(٣) مذهب داروين وأطفال الناس

الفيوم . ج . م يقتضي مذهب داروين ان يكون الارتقاء من الادنى الى الاعلى وحيث ان الانسان زبدة المخلوقات فيجب ان يكون اقوى منها في كل شيء واذا كان الامر كذلك فلماذا نرى طفل الانسان اضعف من اطفال اكثر الحيوانات اليس ذلك مناقضاً لمذهب داروين

ج . ليس من الضروري ان يكون كل ما في الانسان اقوى من كل ما في الحيوان فعقل الانسان ارقى من عقل الحيوان ويد الانسان ارقى من يد الحيوان ولكن انياب الانسان ليست اقوى من انياب الاسد وسمعهُ ليس احد من سمع الارنب وشمهُ ليس اقوى من شم الكلب وبصرهُ ليس احد من بصر النسر . وليس من الضروري ان يكون الانسان قد ارتقى من حيوان صغارهُ قوية كصغار الفيل والبقر ولا من حيوان قوي الجسم كالاسد والتمر بل المرجح انهُ تولَّد من حيوان ضعيف الجسم لان قوة الجسم تدعو الى شدة الخصام وبعد الحيوانات بعضها عن بعض واما ضعف الجسم فيدعو الى الالفة واعمال الحيلة فتقوى بهِ المراكز العقلية ويظهر لنا ان طفل الانسان المتوحش اقوى قليلاً من طفل الانسان المتمدن اي ان شدة الاعتناء بالاطفال وقلة احتياجهم الى السعي اضعفا بنيتهم ورسخ هذا الضعف فيهم بالوراثة

(٣) قوة الدولة البحرية

حوران المزيريب . نسيم افندي الخوري . نظرت في باب الاخبار العلمية في الصفحة ٤١٢ من المجلد الرابع والثلاثين جدولاً فيهِ محمول السفن الحربية لكل من الدول البحرية ولم اجد ذكراً لدولتنا العثمانية فما هي قوة عمارتها البحرية

ج . لم تذكرها لان دولتنا لا تعد الآن من الدول البحرية ولكنها من الدول البرية وليس ذلك بضائر فان روسيا لم تعد الآن من الدول البحرية والنمسا ليست من الدول البحرية ومع ذلك عند الدولة الآن طرادان محيان محمول كلٍّ منهما ٣٢٥٠ طناً وسرعتهُ ٢٢ ميلاً بحرياً وقد اصلحت المدرعة مسعودية وفيها الآن مدفعان قطر فوهة كلٍّ منهما ٩ بوصات وعشرا البوصة و١٢ مدفعاً قطر فوهة كلٍّ منها ٦ بوصات وتزيد سرعتها على ١٧ ميلاً بحرياً وعندها مدرعات اخرى ولكنها قديمة لا تحسب بين مدرعات هذه الايام . واذا ارادت ان تنشئ لها اسطولاً جديداً لزمها ان ينفق على ذلك مليونين او ثلاثة ملايين من الجنيهات كل سنة على الاقل لان البارجة الواحدة من طراز الدرنوط يكلف بناؤها مليوني جنيه

(٤) صور السماء

الاسكندرية . احمد افندي السيد . وعدتم في الصفحة ٦١ من المجلد الثالث

والثلاثين باتكم سنشرون في جزئين تاليين رسالة عربية في صور السماء وتعلقون عليها شرحاً وجيزاً والآن لم تجزوه هذا الوعد فنرجو التكرم بانجازه

ج . الرسالة العربية امامنا الآن وكنا عازمين ان نعلق الشرح عليها من كتاب انكليزي قديم في علم الفلك يذكر فكاهات كثيرة من صور السماء ولكننا فتشنا عن الكتاب حين الحاجة اليه فلم نجده ولا نتذكر اسم مؤلفه وسنفتش عنه جهدنا لعلنا نجده ونقوم بوعدنا

(٥) اسماء صور السماء

ومنه . باطلاعنا على ما قاله العلامة القزويني في كتاب عجائب المخلوقات عن شرح صور السماء الشمالية والجنوبية والبروج وجدناه قريباً مما جاء في شرح صور السماء في الاطالس الانكليزية والفرنسوية فهل المصدر الذي اخذ منه القزويني هو المصدر الذي نقل عنه فلامريون الفلكي الفرنسوي وغيره وهل كتاب المجسطي لبطليوس هو المعول عليه للآن في شرح صور السماء ولماذا صورت بعض مجاميع النجوم بصور الحيوانات كالحمل والثور وبعضها بصور غيرها كالميزان والسنبلة

ج . ان الاصل واحد كما قلتم فان العرب نقلوا علم الفلك عن اليونان واخذوا عنهم صور مجاميع النجوم واسماءها وكذلك الاوربيون نقلوا عن اليونان وعن العرب ايضاً . واليونان نقلوا عن المصريين والكلدانيين ولا يعتمد الآن على كتاب المجسطي في علم الفلك ولا يعلم لماذا سمى الاقدمون هذا المجموع من النجوم حملاً وذاك ثوراً وذلك اسداً او هلم جرًّا ولكنهم لو لم يسموها بهذه الاسماء لسموها بغيرها من اسماء الحيوانات والاشياء المألوفة عندهم . والظاهر ان اختلاط الامم بعضهم ببعض في الازمنة الغابرة بالحروب والاسفار جعل بعضهم يقتبس تلك الاسماء من غيره فاتفقوا في بعضها واختلفوا في البعض الآخر فمعنى اسم الثريا في المصرية القديمة الكثرة لكثرة نجومها وفي الهندية الدجاجة ولراحها وفي لغات هنود اميركا الرجال والنساء في حلبة الرقص . والمجرة معنى اسمها العربي اثر جر الحبل ومعنى اسمها في الصينية نهر السماء وعند بعض هنود اميركا طريق النفوس . والدب الاكبر يسميه العرب بالنعش وبناته وبعناه في السنسكريت المركبة واسم المركبة فيها شبيه باسم الدب ولعل اليونان اخطأوا فحسبوا ان الدب اسمه فسموه دبًّا بلغتهم . والاسكيمو يسمونه ايلاً والهنود فيلاً ويقولون انه في صورة الفيل

(٦) اصل الحياة

ومنه . لقد ثبت بالدليل ان الكرة الارضية كانت في اول نشأتها سديمًا او مادة في حالة الغازية لا تصلح لحياة النبات والحيوان وعلم بالبرهان ان الحياة لا يمكن توليدها

الاَّ بالتناسل من حي سابق فما هو تعليل وجود النبات والحيوان والانسان على الكرة الارضية

ج . ان كل ما حسبتموهُ مثبتاً بالبرهان والدليل ليس مثبتاً لا بالدليل ولا بالبرهان بل هو مرجح ترجيحاً فالارض يرجَّح انها كانت سديماً ويحتمل انها كانت مواد جامدة من اصلها . ولم يعلم بالبرهان ان الحياة لا يمكن توليدها الاَّ بالتناسل لان البرهان لا يقوم على القضايا السلبيَّة وجهد ما يقال اننا لا نعرف ان حيًّا تولَّد في ايامنا الاَّ بالتناسل من حي آخر ولكن هذا لا ينفي ان يتولَّد الحي من غير الحي في احوال اخرى غير الاحوال التي نعرفها . والظاهر من درس حافر الارض انها لما صلحت لمعيشة الحيوان والنبات ظهرت فيها حيوانات ونبات بسيطة التركيب دنية الرتبة جدًّا لا تكاد تفرق عن بلورات الجماد ثم زادت انواع هذه الحيوانات والنباتات وكثرت تراكيبها وارتقت انواعها على مر الدهور . ولا يعلم الآن كيف تولَّدت الحيوانات الاولى والنباتات الاولى ولم يهتدِ العلماء الى ايجاد احوال مثل تلك الاحوال لتولَّد فيها اجسام حيَّة من اجسام غير حية ولكنهم سائرون في هذا السبيل

(٧) عدد الاقباط

نيويورك . الخواجه مترى نجار . كم عدد الاقباط في القطر المصري

ج . ٦٣٢٢٠٧ حسب الاحصاء الاخير

(٨) باكر صبوحك

ومنهُ . لمن القصيدة التي مطلعها "باكر صبوحك خير العيش باكرهُ"

ج . لكمال الدين ابن النبيه

(٩) ري العراق

ومنهُ . كيف يمكن الحصول على تقرير السر وليم ولككس المهندس على ري العراق

ج . بلغنا ان السير التي طُبعت منهُ نفدت كلها حتى ان صديقاً لنا اراد ترجمتهُ الى الفرنسويَّة فلم يجد غير نسخة واحدة عند المؤلف فاستعارها منهُ

(١٠) رواية الضعاء

ومنهُ . هل ترجمت رواية الضعاء لفكتور هيجو الى العربيَّة

ج . ترجم جزءاً صغيراً منها حافظ افندي ابراهيم الشاعر المصري المشهور وطبعهُ ولم نسمع انهُ طبع غيرهُ او انَّ ترجمتها او ان غيرهُ ترجمها

(١١) الخوف

جامیکا . وندسور كاسل . الخواجه شحاده خليل مالك . لماذا يخاف الانسان وهل الخوف يشمل الناس كلهم وهل يعمُّ الحيوان والنبات

ج . الخوف طبيعي في الانسان والحيوان تولَّد من ملكة حفظ النفس والهرب من الخطر اي اذا وجد في مكان مئة حيوان وهرب خمسون منها من الخطر والخمسون

الاخرى لم تهرب منهُ فسلامة الاولى مضمونة اكثر من سلامة الثانية وبقاء نسل الاولى اضمن من بقاء نسل الثانية فتزيد فيها صفة الهرب من الخطر ويدّ رويدًا لانها مفيدة لحفظ النسل . والظاهر ان هذه الصفة اي الخوف او الابتعاد عن الخطر موجودة جراثيمها في النبات فترى العنبر يثخن قشرهُ لكي ينجو من برد الشتاء والسنط يطبق ورقاتهِ في النهار لكي لا يكثر التبخُّر منها ومن المرجح ان النبات لا يشعر بما يفعل كما ان عندنا نعمل ونحن لا نشعر بعملها اذا كانت في حال الصحة

(١٤٣) المطر والبحر

ومنهُ . من المشهور ان الطبيعة لا تأتي بشيء ليس منهُ منفعة فما هي المنفعة من سقوط المطر فوق البحار

ج . في هذا القول تجوُّز كثير فان بعض اعمال الطبيعة غير نافع او هو نافع للبعض وضار للبعض الآخر فلا نعلم ما هو نفع الطاعون والكوليرا لانها لا ينفعان الانسان ولا الحيوان الاَّ اذا قيل ان الدود يغتذي بجيف الموتى بهما وانجار المقابر تغتذي من ابدانهم المدفونة فيها . وحرارة الشمس تنفع على الكرة الارضيَّة كلها برها وبحرها فيصعد جانب كبير من مياه البحار بخارًا وينعقد مطرًا فاذا وقع كلهُ على الارض خربها فيقع بعضهُ على البر وبعضهُ على البحر ولكنهُ لا يدرك انهُ يخرب البر اذا وقع كلهُ عليهِ فيقع اكثرهُ على البحر ولا يتبع في وقوعهِ قاعدة معلومة بل يجري حسب العوامل الكثيرة التي تؤثر فيهِ واكثرها راجع الى اختلاف حرارة الشمس وما يحدث فيها من الانواء

(١٤٤) الفضيلة والرذيلة

ومنهُ . اجمع الكتَّاب على تحقير الرذيلة وفاعليها والحث على فعل الخير والفضيلة فهل من الممكن ان يتبع الجميع نصائحهم ويعملوا بها وهل يقوم هذا الكون من غير شر ورذيلة وهل الانسان مطالب عن افعالهِ لدى القوانين الطبيعية

ج . لا يبعد ان نقل الشرور رويدًا رويدًا لانها غير نافعة فيبقى النافع الصالح للبقاء ونتبع نصائح ذوي الفضيلة ونعمل بها . ولا شيء يمنع الكون من ان يصير ولا شرَّ فيهِ على الاطلاق . وقوانين الطبيعة صارمة تطالب الانسان فيضطر ان يخضع لها فالذي يكثر من الطعام يتخم والذي يكثر من الحركة يتعب والذي يدور على نفسهِ يصيبهُ الدوار والانسان يحاول ان يضعف سلطة هذه القوانين عليهِ فيمرّن العدَّاء رجليهِ على المشي حتى لا تتعبا والدرويش جسمهُ على الدوران حتى لا يصاب بالدوار ولكن لمقاومة الجسم حدٌّ لا يتعداهُ فجسر الحديد يحمل الاثقال ولا ينكسر ولكن ذلك الى حد محدود فاذا تجاوزنا ذلك الحد وحملناهُ اكثر من طاقتهِ انكسر حتمًا

(١٤) اعلان الدستور العثماني

سان فوس بالبرازيل · الخواجه موسى الحداد · لمن الفضل الاكبر في اعلان الدستور العثماني الاتراك ام للسوريين

ج · الفضل في ذلك لجمعية الاتحاد والترقي واكثر اعضائها من الاتراك والالبانيين

(١٥) مشابهة العربية الانكليزية

ام دومان · عبد الله افندي العربي · نرى مشابهة كبيرة بين بعض الكلمات العربية والكلمات الانكليزية لفظاً ومعنىً مثل guide قائد و good جيد و cat قطة و tail ذيل و gain جنى فما هو سبب هذه المشابهة واي اللغتين اقتبست من الاخرى

ج · بعض هذا التشابه جاء اتفاقاً كما في كلمة guide فانها مشتقة من كلمة witan القوطية ومعناها راقب وعرف ولا علاقة لها بقائد العربية وبعضها من اصل واحد مثل cat الانكليزية فانها من catus اللاتينية ولا يبعد ان يكون العرب نقلوها عن الروم في سالف عهدهم · والكلمات التي اقتبسها العرب من الانكليزية قليلة وكلها حديث لا يوجد في كتب اللغة كلمة ورشة فانها من workshop الانكليزية وهي خاصة بالآلات والمعامل والكلمات التي اقتبستها الانكليزية من العربية بعضها قديم مثل zenith فانها من سمت العربية وبعضها حديث مثل seifu و hadoof

٥

(١٦) عدد العناصر

مدينات (ما بين النهرين) · الخواجه عبد الئيل قرياقس الناويس · كم يبلغ عدد العناصر المكتشفة الى الآن

ج · نحو ثمانين عنصراً

(١٧) القوة المغنطيسية

ومنه · هل تظهر القوة المغنطيسية في غير الحديد من المعادن وهل يجذب المغنطيس غير الحديد

ج · نعم تظهر في معادن كثيرة ولاسيما النكل والكوبلت · والمغنطيس يجذبها كما يجذب الحديد

(١٨) القوة المغنطيسية في الارض

ومنه · ما الذي يرشد الطالب من جهة القوة المغنطيسية في الارض هل هذه القوة قائمة في معدن الحديد او في مادة الكرة الارضية كلها

ج · في مادة الكرة الارضية كلها وسببها حرارة الشمس وفعلها بالارض وجوها ودوران الارض على محورها

(١٩) اسماء المدن والقرى

ومنه · ان بعض المدن والقرى في القطر المصري يسمى باسماء سريانية مثل كفر الدوار وكفر الزيات وكفرطا ومعناها قرية الملاح وقرية الزيات وقرية النحس فما سبب ذلك

ج · لقد سكن القطر المصري شعوب سامية من قديم الزمان لنتهم العبرانية والسريانية فسموا بعض قراها باسماء من لغاتهم

باب الاخبار العلمية

المجلد الرابع والثلاثون

لقد كبر جرم المقتطف فصار يصعب تجليد اجزاء السنة كلها في مجلد واحد ولذلك رأينا ان نقسم كل سنة الى مجلدين لكل منهما فهرس خاص به . وقد نشرنا مع هذا الجزء فهرس الاجزاء الستة الاولى من هذه السنة لتكون المجلد الرابع والثلاثين وستكون اجزاء الستة الاشهر التالية المجلد الخامس والثلاثين

ثروة انكلترا والمانيا

يكثر الكتّاب الانكليز في هذه الايام من المقابلة بين انكلترا والمانيا في كل شيء لانهم يخشون نشوب الحرب بينهما ويقولون ان التأهب للحرب يمنع نشوبها . وقد بيّن احد الكتاب الالمانيين ان المانيا صارت اغنى من بريطانيا فقد كانت ثروة بريطانيا تُقدَّر باثني عشر الف مليون وخمس مئة مليون جنيه وثروة المانيا بعشرة آلاف مليون جنيه فقط اما الآن فثروة بريطانيا تُقدَّر بخمسة عشر الف مليون جنيه وثروة المانيا بسبعة عشر الف مليون وخمس مئة مليون جنيه . ومن رأي احد كتّاب الانكليز ان الفرق بينهما اكثر من ذلك اي ان المانيا اغنى مما تقدم والضرائب التي يدفعها شعبها اقل من الضرائب التي يدفعها الانكليز والنفقات التي ينفقها الانكليز على حريتهم وحريتهم اكثر مما تنفقهُ المانيا على حريتها وحريتها بغير ستين في المئة نحي تقدر ان تنفق على زيادة بوارجها اكثر من الانكليز

الجامعات الاميركية

في الجامعات الاميركية ٢٢٩٠٠٠ تلميذ و٢١٠٠٠ استاذ ومعاون . ويدفع هؤلاء التلامذة اجرة تعليمهم ٣٢٧٠٠٠٠ جنيه كل سنة ويبلغ دخل هذه الجامعات من املاكها واوقافها اكثر من ثمانية ملايين جنيه في السنة

الطيران من اوربا الى اميركا

سُئل تسعة من اشهر المشتغلين بمسألة البلونات والطيارات هل في الامكان السفر من اوربا الى اميركا بآلة طيارة فاجابوا كلهم ما عدا واحداً ان ذلك في حيز الامكان

قال الاول وهو الكونت هنري دولافول ان ذلك ممكن ولكن اكثر الاحياء الآن لا يرونهُ

وقال الثاني وهو المسيو ده لاغرانج ان ذلك ممكن حتماً وسيتم فعلاً باسرع مما يظن الاكثرون

وقال الثالث وهو المستر برسثال سبنسر ان ذلك من الامور السهلة

وقال الرابع وهو الماجور بادن پول ان ذلك الآن من الاحلام

وقال الخامس وهو المستر رولس انهُ يتمم ولكن ليس في ايامنا ولا يتم الاَّ بعد ان تصير الطيارات قادرة على حمل مقادير كثيرة من الوقود ومن الآلات التي تحتاج اليها حين السرورة

وقال السادس وهو الكبتن وندهام ان ذلك يتم في سنوات قليلة ولا يعود ينظر اليهِ كاعجوبة من اعاجيب الدنيا

وقال السابع وهو المستر جرام مكسم ان ذلك ممكن اذا اخترع احد آلة لا يضيع نصف قوتها في ما يوقد فيها

وقال الثامن وهو المستر هوجس يظن ان ذلك سيتم حتماً يوماً ما

وقال التاسع وهو المستر ادج ان ذلك سيتم ويشيع حتماً يوماً ما

ويظهر مما كتبوهُ بالتفصيل ان شكوك المشككين في امكان الطيران الآن لا تزيد على شكوك الذين كانوا يقيمون الادلة الحسابيَّة على انهُ يستحيل قطع الاوقيانوس بالسفن البخاريَّة

الشعر الصناعي

سئلنا منذ شهرين عن الشعر العارية الذي يصل بعض النساء شعورهن بهِ والذي تصنع منهُ المشات هل هو طبيعي او صناعي فاجبنا انهُ طبيعي لان الذين كتبوا عن الشعر العارية لم يقولوا ابداً انهُ صناعي ثم اتفق لنا ان اشترينا مذبَّة لما كثر الذبان فوجدنا ان اكثر شعرها صناعي والطبيعي منهُ قليل جداً ولا يظهر الفرق بينهما الاَّ بالامتحان فاذا شددت بالشعرة الطبيعيَّة رأيتها متينة تكاد تجرح يدك ولا تنقطع واذا شددت بالشعرة الصناعية رأيتها قليلة المتانة تنقطع بسهولة ونظن الآن ان بعض الشعر الذي يباع للنساء صناعي مثل هذا

نفقات المسكرات

طلبت الدوما (مجلس النواب الروسي) ان تزال علامة العقاب الامبراطورية عن قناني المسكرات ويوضع بدلاً منها رسم جمجمة وعظمتين ويكتب تحتها كلمة «سم» بحروف كبيرة . وقد اخذ اهالي باريس يلصقون في شوارعها اعلانات كبيرة يقال فيها ان من يضع مسكرًا في فيهِ ينزع دماغهُ من رأسهِ وماله من كبدهِ وعضلهُ من جسمهِ . وقد قلَّت متطوعية المسكرات في بلاد الانكليز في العام الماضي بما يساوي ستة

ملايين من الجنيهات . وأقفل الاميركيون احد عشر الف حانة سنة ١٩٠٨ ونحو ذلك سنة ١٩٠٧ . واذا استمرَّ اقفال الحانات على هذا المعدَّل أقفلت كلها من الولايات المتحدة الاميركية في عشرين سنة . فاذا تمَّ لها ذلك فنعم لا يتقدَّر لان اهاليها انفقوا في السنة الماضية على المسكرات مئتي مليون جنيه وفي السنة التي قبلها مئة وثمانين مليون جنيه

الوطنية في اليابان

كتبَ مدير مجلة الشرق الاقصى ان دَيْن حكومة اليابان يبلغ الآن ٢٢٣ مليونًا من الجنيهات وان دخل البلاد السنوي كلهُ لا يزيد على ٢٠ مليون جنيه فدخلها قليل جدًّا بالنسبة الى دينها والى نفقاتها ويضطر اليابانيون ان يعطوا نحو ثلث دخلهم لحكومة سنويًّا ولكنهم يفعلون ذلك عن طيب نفس لشدة وطنيتهم

البيوت المسكونة

يعتقد بعض الاوربيين ولاسيما الانكليز ان بعض البيوت القديمة مسكون تتردد عليهِ روح واحد من الذين قتلوا او ماتوا فيهِ وتظهر للذين يبيتون فيهِ والغالب انهم يهجرون تلك البيوت ولو كانت قصورًا مشيدة خوفًا من ان هذه الارواح تؤذي من يبيت فيها . وقد بحث الاستاذ لمبروزو الايطالي في هذا الموضوع الآن وحقق الادلة المقامة على سكن تلك البيوت فاستنتج انها مسكونة حقيقةً تسكنها ارواح بعض الاموات . والظاهر ان الاستاذ سلَّم بكل دعاوي اصحاب الارواح وسيجان من قسم العقول

زلزلة سان فرنسسكو

ذكرنا غير مرة ان سبب زلزلة سان فرنسسكو انتقاد جانب من الارض وهبوطهُ قليلاً وهذا هو السبب الغالب للزلازل . وقد حسبوا ان الجانب الذي انتقدَّ تحدثت منهُ زلزلة سان فرنسسكو تبلغ مساحتهُ اكثر من مليون ميل مكعب

الادوات المسحورة

في دار التحف البريطانية تابوت مصري تدعو لكاتحة آمن را ريشاك انهُ مسحور وكل الذين اتصلوا بهِ كان نحسًا عليهم . وقد بحث الدكتور هرشن في امره فقال انهُ كذلك لان روحًا من الارواح اختارت ان تجمع قوتها فيهِ وتستعملهُ واسطة للاضرار بالناس . ومن الغريب انك تجد بعض علماء الانكليز يصدقون هذه الخرافات

تعقيم الماء بالنور

ومياه القاهرة

وجد بعضهم ان نور المصباح الكهربائي الذي فيهِ بخار الزيبق يقتل الميكروبات

لان اشعتهُ فوق اشعة البنفسجي . وقد عُلق مصباح قوتهُ ٩ امبر في برميل من الحديد مملوء ماء لقتل كل ما فيهِ من الميكروبات في دقيقتين من الزمان . وثبت بعد التجارب الكثيرة ان هذا المصباح يقتل كل الميكروبات العادية في دقيقة من الزمان . ولا بدَّ من ان يكون الماء صافياً لكي تخرقهُ اشعة النور بسهولة والماء المقم كذلك لا ترتفع حرارتهُ الاَّ جزءاً صغيراً من الدرجة ولا تتغير خواصهُ ويقال انهُ يمكن تعقيم مياه المدن بهذا النور فتوضع المصابيح المشار اليها في المواسير الكبرى التي يجري فيها الماء اولاً بحيث يتعرض كلهُ للنور دليقتين من الزمان وذلك بعد ترويقهِ فتموت منهُ كل الميكروبات التي كانت فيهِ

وعسى ان تجرب الحكومة المصريَّة ذلك فاذا ثبت لها ان ماء النيل يتنقى من كل الميكروبات بسهولة بهذه المصابيح لم يبقَ ما يمنع العود الى مياه النيل لشرب سكان العاصمة وشرب كل مدن القطر

سيَّار ابعد من نبتون

لا يخفى ان اثنين من علماء الفلك استدلاَّ على وجود السيار نبتون من الاضطراب الذي يحدث في السيَّار اورانوس . ويحدث اضطراب في حركات نبتون تدل على وجود سيَّار آخر ابعد منهُ عن الشمس ومعرفة ذلك بالحساب صعبة جدًّا لطول العمليات الحسابيَّة الاَّ ان الاستاذ بكرنج الفلكي استخدم الطريقة الحسابيَّة الجديدة وفي الطريقة الرسميَّة نحسب بها اولاً مبادئ نبتون من اضطرابات اورانوس فوجد نتيجتها تطبيق على ما عرف من امر نبتون بالحساب العادي نحسب بها مبادئ هذا السيار فوجد ان طولهُ ٨ و ١٠٥ ومتوسط بعدهِ عن الشمس ٩ و ٥١ بعد الارض عنها وهو يكمل دورتهُ حول الشمس في ٣٧٣ سنة ونصف سنة فيدور كل سنة نحو ٩٦٤ و ٠ الدرجة وجرمهُ $\frac{1}{٣٦٨٠٠٠}$ من جرم الشمس وهو مضاعف جرم الارض

البيسة او بقر الوحش

البيسة كلمة سودانية لنوع من الظباء البيض الطويلة القرون ويسمى في علم الحيوان Oryx beisa وهو مرسوم في الآثار المصرية القديمة ورسومهُ كثيرة تدل على انهُ كان موجوداً بكثرة في القطر المصري ولا يوجد الآن الاَّ في السودان واسمهُ باللسان المصري القديم ماعز فهل كلمة ماعز العربية مأخوذة من كلمة ماعز المصرية

جبال القمر ومصدر النيل

ذكر الشهير بطليموس في جغرافيتهِ ان النيل يجري من ثلوج جبال القمر في قلب افريقية وترجمت جغرافيتهُ الى العربية وضبطت

كلمة القمر في بعض النسخ بضمة وسكون فقيل القُمر . وظن بعض الباحثين ان الكلام على هذه الجبال مقحم ادخلهُ العرب في جغرافية بطليموس ولكن لما اكتشف ستنلي جبل رونزوري في قلب افريقية قال انهُ هو جبل القمر الذي ذكرهُ بطليموس وجغرافيو العرب وقالوا ان النيل يجري من ثلوجهِ وقد سمعنا هذا القول من ستنلي نفسهِ . ثم رأى هذا الجبل كثيرون بعد ستنلي وتحققوا ان منبع النيل في حضيضهِ ورأوا قنتهُ مغطاة بالثلج وانهر الجليد تجري على جوانبهِ وفي جملتهم دوق البروزي الذي قصدهُ سنة ١٩٠٦ كما ابنا في حينهِ وصعد الى اعلى قنة من قننهِ فوجد ارتفاعها ١٦٠٨٠ قدماً فوق سطح البحر فيها قنة ستنلي وفيها اكمة تعلو عنها ٧٣٥ قدماً سماها اكمة مرغريتا وكانت في وكل القنن العالية مغطاة بالثلج ويبقى الثلج عليها على مدار السنة فان حدهُ الاسفل هناك حينما يكون على اقلهِ ١٤٧٠٠ قدم فوق سطح البحر اي ان ٢١١٥ قدماً من ذلك الجبل تبقى مغطاة بالثلج على مدار السنة

الاهتمام بالمستقبل

يدّعي الانكليز انهم يدينون بدين من علّم قائلاً لاتهتموا للغد وهم مع ذلك يهتمون ليس للغد فقط بل لما يأتي بعد خمس مئة سنة او اكثر فقد قال السر وليم رمسي الكيماوي بالامس ان حياة الامم تتوقف على ما في بلادها من القوة الطبيعية التي تستطيع استخدامها والقوة الطبيعية في بلاد الانكليز هي الفحم الحجري المذخور في طبقات ارضها . ولقد بينت اللجنة التي انتدبت للبحث عن مقدارهِ انهُ يكفي ثلثمئة سنة الى ثلثمئة سنة والمتوسط نحو خمس مئة سنة فاذا لم يقتصد في استخراجهِ واستعمالهِ من الآن فالذين يولدون في البلاد الانكليزية بعد خمس مئة سنة لا يجدون فيها الفحم اللازم للوقود ولادارة الآلات وليس في البلاد قوة مائية يمكن الاستغناء بها عن الفحم الحجري ولو كانت فيها لما اغنتها عن الفحم لان القوة المائية التي في اوربا كلها ما عدا بعض انهار روسيا تقدر بمليوني حصان والانكليز يستعملون في آلاتهم كلها قوة بخارية تقدر بثمة مليون حصان . ولا ينتظر ان يستنبط شيء يقوم مقام الفحم الحجري فان الآلات التي تصنع لاستخدام قوة مد البحر تكسرها الامواج والآلات التي تصنع لاستخدام حرارة الشمس تكسّرها العواصف ولا يبقى الا سبيل واحد لايجاد القوة وهو ان تحفر آبار عميقة جداً الى حيث يكون الماء غالياً فيصعد منها ماء غالٍ يدير الآلات البخارية . واذا لم يأخذ الناس اهبتهم من الآن ويهتموا بالمستقبل خربت البلاد وصارت مدينة لندن قرية يسكنها صيادو السمك

الفحم الحجري في اوربا

قيل في المقالة السابقة ان الفحم الحجري الذي في بلاد الانكليز لا يكفيها اكثر من خمس مئة سنة ثم رأينا ان اللجنة التي انتدبت لبحث مقدار الفحم الحجري في انكلترا والمانيا وفرنسا وبلجيكا وهي اكثر البلدان تحاً وجدت ان مقدار الفحم في انكلترا ١٤٠٠٠٠ مليون طن وهي تستخرج منهُ الآن في السنة نحو ٢٦٨ مليون طن . وفي المانيا ١٥٠٠٠٠ مليون طن وهي تستخرج منهُ [illegible] طن . وفي فرنسا ١٧٠٠٠ مليون طن وهي تستخرج منهُ الآن ٣٦ مليون طن وفي بلجيكا ١٦٠٠٠ مليون طن وهي تستخرج منهُ الآن نحو ٢٣ مليون طن . والفحم الذي يستخرج من بلاد الانكليز يصدر منهُ كل سنة نحو ٦٤ مليون طن تأخذ المانيا منها ١٤ مليون طن

البطر في اميركا

كتبت احدى السيدات في مجلة الفورم الاميركية ان اهالي الولايات المتحدة قد بطروا بطراً يفوق الوصف في ما يبدونهُ من الصياح والجلبة في اعيادهم كعيد الحرية وعيد رأس السنة فانهم يخرجون الى الشوارع حينئذٍ يطبلون ويزمرون ويصيحون ويجلبون ويحرقون الالعاب النارية . وقد انفق اهالي مدينة نيويورك على هذين العيدين اخيراً مليونين و ٨٠٠ الف جنيه وقُتل بالعابهم النارية ١١ نفساً وجُرح ٧٦٨ نفساً . وقتل في الولايات المتحدة كلها في عيد ٤ يوليو الماضي اي عيد الحرية ١٦٣ نفساً وجُرح ٥٤٦٠ نفساً وقتل في الستة الاعياد الماضية من اعياد الحرية ١٣٠٠ نفس وجُرح ٢٨٠٠٠ نفس هذا عدا الذين لم يبلغ امرهم رجال الحكومة . ولا شبهة ان التهمة تجلب البطر

والعناية بالحياة قليلة في كل الاعمال باميركا على ما يظهر فقد قتل في سكك الحديد ٩٧٣٧٣ نفساً بين سنة ١٨٩٧ و ١٩٠٧ وجرح ٧٤٩٥٩٢ نفساً وقتل في المعادن ٢٥٩٦٥ نفساً بين سنة ١٨٩٠ و ١٩٠٧ وقتل في مناجم الفحم الحجري وحدها ٣١٢٥ نفساً سنة ١٩٠٧ وجرح ٥٣١٥ وبلغ الذين يصابون بآفات مختلفة من المعدنين في اميركا نحو ٣٥ من عشرة آلاف وهم في فرنسا ثمانية من كل عشرة آلاف وفي انكلترا ١٢ وفي المانيا ١٣ وفي بلجيكا ٩ ومع ذلك يقال ان الولايات المتحدة الاميركية ناجحة اكثر من كل ممالك الارض

خسارة البلاد من السل

قدَّر بعضهم ان داء السل يقتل كل سنة مئتي الف نفس من سكان اميركا فاذا كانت قيمة عمل كل منهم ٣٣٠ جنيهاً في السنة فخسارة البلاد بموتهم ٦٦ مليوناً من الجنيهات

فهرس الجزء السادس من المجلد الرابع والثلاثين

٥٢١ السلطان عبد الحميد

٥٢٧ بلاد الفرس ومستقبلها

٥٢٩ الغزالي . لمحمد افندي الخضري

٥٣٧ معجم الحيوان . للدكتور امين المعلوف (مصوَّرة)

٥٤٢ المعادن وما يستخرج منها

٥٤٨ الاحسان . لنقولا افندي رزق الله

٥٤٩ نشوء الحيوان والنبات . لانيس افندي الياس الخوري (مصوَّرة)

٥٥٩ الفضائل . لنجيب افندي شقرا

٥٦٥ عبد الحميد في نظر الطب . للدكتور شبلي شميل

٥٧٠ نيتشه وابن الانسان . للسلامه افندي موسى

٥٧٤ الثورة الادبية . لامين افندي ريحاني

---

٥١٨ باب المراسلة والمناظرة * مكروبات الامراض والمناعة . الفنغاي والمنغي . البلاتانغرية وداج وعتاب

٥٨٨ باب الزراعة * الزراعة المصرية منذ ستة عام . مزايا القطن المصري وعيوبه حقائق في زراعة القطن . خناق القطن

٥٩٥ باب تدبير المنزل * آداب دعوات العصر . حفظ الشعر وتقويته . الفاكهة في الصيف

٥٩٤ باب التقريظ والانتقاد * اعظم تذكار لعظائم الاحرار . ديوان رستم . معجم الادباء في تاريخ الخطوي . شرح المعلقات . درس الهندسة لسنة الثانية الثانوية . ترجمة النفس وذم هرفي

٦١٤ باب المسائل * عقاب الطبيب والغلي . مذهب ذارون واطمان الناس . قوة الدولة الحربية . دور الماء . الماء صور الماء . اصل الحياة . عدد الالياط . باكر صيوحك ري العراق . رواية الغمام . الحرف المضر والخير . الفضيلة والرذيلة . اعلان الدستور العثماني . مشابهة العربية الانكليزية . عدد العناصر . القوة المنتجبة . القوة المنتجبة في الارض . انماء المدن والقرى

٦١٠ باب الاخبار العلمية * وفيه ١٨ بدة